حين تتحدث الزنازين..

عن معتقلين من إدلب قضوا تحت التعذيب

تأليف وتنفيذ:
جـريدة زيتـون
مركز البراءة للطفولة والتأهيل

حين تتحدث الزنازين

عن معتقلين من إدلب قضوا تحت التعذيب

تأليف وتنفيذ:

جريدة زيتون

رائد رزوق

وعد البلخي

مركز البراءة للطفولة والتأهيل

غادة باكير

هالة حاج علي

نور عباس

تصميم الغلاف: عدنان قعدوني

الطبعة الأولى: ٢٠١٨

نون ٤ للنشر والطباعة والتوزيع

فرع غازي عينتاب - تركيا

خليوي: ٠٠٩٠٥٣٧٢٨٦٤٦٥٦

بريد إلكتروني: m-wahab45@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حين تتحدث الزنازين

عن معتقلين من إدلب قضوا تحت التعذيب

الإهداء

إلى كل الأرواح التي قضت تحت التعذيب في سجون النظام ولم تشهد الحرية
إلى الأمهات والآباء والزوجات والأبناء وكل من انتظر عودتهم
وصبر حين لم يعودوا

مقدمة

ضمن سياق منظومته الأمنية انتهج النظام السوري منذ بدأت الثورة السورية في آذار ٢٠١١ سياسة الاعتقال والتعذيب حتى الموت في سجونه، وذلك بهدف قمع الثورة وبث الرعب في قلوب السوريين الذين كسروا حاجز الخوف بعد أربعين عاما من الديكتاتورية.

يتناول كتيب حين تتحدث الزنازين عن معتقلين من إدلب قضوا تحت التعذيب في معتقلات النظام، الذين وثقتهم منظمات العمل المدني من خلال المجالس المحلية، والمنظمات الإعلامية والحقوقية، إضافة إلى منح النظام ذويهم شهادات وفاة أثناء اعتقال أبنائهم، أو الذين نقل خبر وفاتهم سجناء أفرج عنهم، ولا يشمل الكتيب المختفين قسرياً أو مجهولي المصير.

عمل فريق الكتيب على زيارة ذوي الشهداء والتعرف على حيثيات اعتقال فقيدهم، ومراحل حياته قبل الاعتقال، والتطرق إلى جوانب شخصيته بشكل يُعرِّف القارئ عليه عن كثب، والحصول على صور له وسيرة حياته، والحصول على معلومات تفيد في توثيق شهادته وشخصه في الكتيب.

كما عمل فريق المشروع على تخصيص صفحات تتضمن أسماء الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب ولم يتمكن الفريق من الوصول إلى ذويهم أو الحصول على تفاصيل اعتقالهم أو ضيق الإمكانية، بالإضافة لمحاولة جمع البيانات ضمن الإحصائية التي تمكن من الوصول إليها ضمن المحافظة.

واجه الفريق بعض الصعوبات كوجود أكثر من شهيد لدى العائلة الواحدة، ما جعل من الصعب استثناء أحدهم، إلى جانب ما فرضته الظروف التي مرت بها العائلات السورية من نزوح ودمار لممتلكاتهم منعت توفر الصور أو جودتها، فضلاً عن الأوضاع الأمنية والنفسية التي يعيشها الأهالي، إذ رفض بعضهم الحديث عن شهدائهم بسبب تخوفهم من الاعتقال، ولا سيما وسط مصير إدلب المجهول والأنباء المتواردة حول نية النظام لاقتحام المحافظة، كما لم يعترف الكثيرٍ منهم باستشهاد أبنائهم رغم وثائق صور قيصر، أو ورود أسمائهم في القوائم الأخيرة، فضلاً عن رغبة بعضهم بعدم الخوض بالتفاصيل المؤلمة.

الهدف من الكتيب:

يهدف الكتيب إلى رد الاعتبار للضحايا وإبراز الجريمة على حقيقتها على لسان المقربين من الضحايا، وأنسنة أرقامهم والتذكير بأن تلك الأرقام كانت أناساً لهم حياة وأسر وأحلام، وقد قتلوا تعذيباً في ظلمة السجون بلا رحمة، والنظام الذي وضع أرقامهم على جبينهم بتلك الطريقة كان ينطلق من نظرته الفوقية للسوريين ومن عدم أهليتهم ليكونوا بشراً أحراراً قادرين على الانتفاض عليه.

إن توثيق الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب هدفه تخليد الذكرى ذات البعد المهم في وجدان أهالي المعتقلين، لشعورهم بحصول أبنائهم على حقوقهم، ومساعدتهم على تجاوز آلامهم والاستمرار في الحياة.

كما أن التوثيق عملية مهمة في محاسبة المجرمين مستقبلاً في حال الوصول إلى مرحلة العدالة الانتقالية، وهو ما يحققه الكتيب في توثيق الشهادات والشهود والتواريخ والأمكنة التي تمثل وثيقة تؤكدها أدلة ومعلومات مفيدة لمحاكمة المجرمين.

يحاول الكتيب أن يقدم تعويضاً نفسياً ومعنوياً بسيطاً لذوي الشهداء الذين قتلوا في معتقلات النظام، لا سيما بعد فشل المنظمات والهيئات الدولية في الضغط على النظام السوري لتنفيذ قرارات مجلس الأمن وحماية المعتقلين من الموت داخل مراكز الاحتجاز، ما سمح للنظام بالاستمرار في ارتكاب جرائمه بحق المعتقلين.

تعدُّ فكرة نشر كتيب يتضمن قصص شهداء التعذيب فكرة جديدة لم تطرح مسبقاً، ولا سيما حصر الشهداء من أهالي محافظة إدلب في كتيب واحد، وهي أيضاً فكرة جديدة في طريقة نشر القصص وديمومتها بما له من ميزة الحفظ عند القراء. يأمل مؤلفو الكتيب بأن يكون هذا الجهد خطوة أولى يمكن محاكاتها في مناطق ومحافظات أخرى نحو توثيق كل الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب في سوريا.

ولدي اسمه خالد.. خالد عامر الديري

بوجه أصفر ويدين مرتعشتين تحتضنان الذكرى المؤلمة، وغصة في الصوت، كانت تردد كلماتها وتسترجع ذكريات لا تفارقها عن شاب هو قطعة من روحها، لم يتسن له أن يستمتع بشبابه أو أن يحقق أحلامه، وبين كل كلمة وأخرى كانت تتوقف وهي تقلب حبات سبحتها، محاولةً أن توقف الدموع المنهمرة من عينين كالجمر المشتعل الذي يحرق قلبها.

ولدي اسمه خالد، ثم توقفت قليلاً وهي تتنهد، لتعود وتقول خالد عامر الديري، من مواليد ٥ كانون الثاني ١٩٩٤، اعتقلوه أثناء وجوده في دمشق كانون الأول عام ٢٠١١، هو طالب جامعي في سنته الأولى في قسم التربية وعلم النفس، كان عائداً من جامعته إلى المنزل الذي يقيم به في حي المزة، ألقي القبض عليه من قبل حاجز للنظام بتهمة المشاركة بالمظاهرات، وبقي في المعتقل عدة أشهر فقط، ليخرج منه شهيداً بسبب التعذيب الذي تعرض له على يد السجانين في الفرع ٢١٩.

«أبلغنا المحامي أحمد شهاب الموجود في دمشق، وقد كنا أوكلنا له مهمة الدفاع عنه وإخراجه من السجن بنبأ استشهاده»، قالت أخته التي كانت تحاول متابعة الحديث بدلاً من والدتها التي غلبها البكاء، قبل أن تلحق بوالدتها وتُغرق المكان بصوت نحيبها هي الأخرى، وتفقد القدرة تماماً على الكلام لدقائق، ثم تعود وتتابع:
«لقد كان أخي خالد هادئاً بطبعه، وملتزماً بدراسته، وكل أهالي بلدتنا جوباس تشهد بأخلاقه وأدبه واحترامه للآخرين، كان يعشق كرة القدم، كما كان يعشق فلسطين منذ صغره ويتمنى الشهادة على أرضها، ولم يكن يعلم أنه سيلاقي حتفه في سجون بلده وتحت التعذيب على يد أبناء وطنه».

وككل الأمهات، يبقى أولادهن صغاراً في نظرهن مهما كبروا، ويخشين عليهم من الجوع وقلة النوم وما إلى ذلك كأي طفل، شعرت أم خالد بالخوف عليه منذ اعتقاله، سيما أنه كان نحيل الجسم، ضعيف الشهية، لا يولي للطعام أهمية أمام دراسته، بالإضافة إلى حدسها كأم، مضيفةً: «كانت دراسته تأخذ كل وقته، فلم يكن يجلس سوى لحظات معنا على المائدة يتناول بضع لقيمات ويعود إلى غرفته، عاش حياته هنا متنقلاً من مدرسته إلى منزله إلى المسجد، كل وقته للدراسة وقراءة القرآن، لم نكن نتخيل أن تكون نهاية حياته بهذه السرعة، وقد كنا نتأمل أن يتمكن المحامي من إثبات براءته من التهم التي نسبت له لا أن يبلغنا برحيله».

وعن كيفية تلقيهم لخبر اعتقاله ونبأ استشهاده قالت أخت خالد الثانية: «بينما كان أخي في إدلب، تلقى اتصالاً هاتفياً من زميل لخالد في جامعة دمشق، أبلغه باعتقاله، عاد أخي أدراجه مسرعاً لا يعرف كيف سينقل لنا الخبر، كانت لحظات من الحيرة والوجع والتساؤلات التي لا تنتهي، وأصبحت العائلة كلها في قلق وخوف، ولا سيما أن والدي مسافر وغير موجود بيننا».

وأضافت: «ومنذ ذلك الحين داومت على البقاء بجوار الهاتف، أملاً بسماع أخبار مفرحة، إلى أن اتصل شخص من دمشق يحمل لنا رسالةً من المحامي في أيار عام ٢٠١٢، وهي نبأ استشهاد خالد، كان النبأ قاتلاً ومرعباً بالنسبة لي، ولم أكن أدرك كيف علي أن أبلغ أمي التي تنتظر عودته حياً»، احتضنت صورة أخيها وغرقت بدموعها.

تابعت الأم بحسرة: «طلب منا أن نذهب إلى القابون لإحضار أوراقه وساعته وشهادة وفاته، إلا أننا خشينا من الذهاب إلى دمشق واعتقال النظام لابني الثاني».

«ما زلت حتى هذه اللحظة لا أصدق ما حدث، مازال فراغه قاتلاً، وصوت ضحكته مع ابنة شقيقته التي كان يحبها جداً ترن في قلبي قبل أذني، وما زلت حتى اللحظة أحتفظ بقميصه المفضل لديه، والذي كان يحمل اسم فلسطين».

واختتمت الأم حديثها قائلة: «منذ أن تلقيت نبأ استشهاده في عام ٢٠١٢ وحتى هذه اللحظة، أحيا معه في كل تفصيل من تفاصيل حياتي، وأتخيل كيف كان سيكون شكله اليوم، ومن هي عروسته التي كان سيختارها، وما شكل أطفاله، الذين حرموني من احتضانهم والفرح بهم».

للفنان نجاح البقاعي

حلم بأن يكون إماماً وكان.. الشهيد عبد المنعم محمود عوض

مازالت ابنة الشهيد الكبرى تواظب على كتابة مذكراتها اليومية بالتفصيل، وتدون كل ما يجري معها أو مع عائلتها، وكأنها تخبره بما يجري معهم، كما تكتب له رسائل يومية، وترسم لوحات عنه وعن كيفية استقبالهم له، وتحلم أن يأتي يوماً ويقرأ ما كتبته، ويرى ما رسمته له، وكأنه ما يزال حياً.
بينما فقدت والدته من شدة بكائها رغبتها في الحياة، تحول والده من رجل جبار قوي البنية، إلى رجل عجوز منهك، لم يتخيل أولاده يوماً أن يكون بهذا الضعف والعجز.

أما أخوه الأصغر وصديق طفولته وشبابه، فلا يحب أن يرى صوره، ولا أن يتحدث عنه، كي لا يسترجع ذكرياته الجميلة معه، وتنقلب إلى حزن ووجع.

الشهيد عبد المنعم محمود عوض، من مواليد سراقب عام ١٩٧٤ خريج معهد الفتح الإسلامي بدمشق، يحمل إجازة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

حنون بطبعه، متسامح، دائم الابتسامة حتى في وجه من يخطئ بحقه، تميز بحديثه الشيق والجذاب، دون كذب أو نفاق، وكان إذا جلس مع الصغير تحدث إليه بمستوى عقله، وإذا جلس إلى الشاب أصبح من سنه، وإذا جلس إلى العجوز ارتقى بالحديث إلى عمره، بالإضافة إلى أنه مستمع جيد، يحترم الرأي الآخر، ويتقبل الانتقاد، يميز بين وقت المزاح و بين وقت الجد، يحترم المواعيد، كما يحترم خصوصيات الآخرين، ما جعل كل من عرفه يحبه، ويرتاح للتعامل معه.
مثقف، منفتح على الحياة، يحب القراءة والاطلاع، ولديه مكتبة متميزة يعتني بمحتوياتها ويرتبها بشكل دائم، أما أكثر ما يضحكه فهو لقبه الذي أطلقه عليه أصدقاؤه وعائلته «الشيخ العصري».

حلم منذ طفولته أن يكون إمام مسجد، وكثيراً ما كان يقف في غرفته ويلقي الخطب وكأنه خطيب فعلاً، وعمل جاهداً لتحقيق حلمه الذي كان سبباً باعتقاله ومن ثم استشهاده.

هكذا وصفه أخوه وصديقه، الذي يصغره ببضعة أعوام، وهو يجول بنظراته الحائرة ما بين مكتبة عبد المنعم، ونافذة غرفته المفتوحة على ليل يحمل في صمته صخباً وحزناً ووجعاً لا حدود لها ويسترجع ذكرياته عنه، فيقول:

«لا أقوى على النظر إلى صورته مع أنها محفورة في قلبي، وبعد اعتقاله أحضرت مكتبته إلى منزلي كي أعتني بكتبه».

«لقد أعاد ترتيب الكتب بنفس الطريقة التي كان عبد المنعم يحب أن يرتب كتبه فيها، بينما احتفظت والدته بأوراقه وصور شهاداته»، قالت زوجة أخي عبد المنعم، مضيفةً:
«كان عبد المنعم خلوقاً ومهذباً ولطيفاً في تعامله مع عائلته ومعنا، لقد عشنا أجمل أيامنا معه، كان يصحبنا مع عائلته إلى المطاعم والملاهي والحدائق ويفرح حين يرى أطفالنا يلعبون ويضحكون، وعلى الرغم من أنه إمام مسجد إلا أنه لم يكن متشدداً أبداً».

أما ابن عم الشهيد الذي كانت قد احمرت عيناه من البكاء طوال الحديث عن عبد المنعم فقال:
«ما زلت أذكر قامته المتوسطة، وعينيه البنيتين، ووجهه الحنطي الذي تزينه لحية يعتني بها كما يعتني بشعره الأسود، عرف عنه حبه للنكتة ومراعاته لكل الناس، لا يُملّ من حديثه مهما طال».

تفاصيل الاعتقال والاستشهاد
كان عبد المنعم ضد النظام قولاً وفعلاً، وهو أول من دعا للمظاهرات في إحدى خطب الجمعة في جامع الحي، فقد كان خطيباً مميزاً ومتمكناً وله محبوه ممن يحضرون خطبه، كما كان أول من طالب بالمظاهرات لإسقاط النظام نصرة لأهالي درعا، اعتقل في ٢٤ آذار عام ٢٠١٢، وبقي في سجن إدلب ٧ أشهر، ثم حوّل إلى دمشق، حيث استشهد في المعتقل عام ٢٠١٥»، تنهد الأخ مضيفاً:
«علمت باستشهاد أخي من شاب في مدينة دوما، لازم عبد المنعم في السجن ثلاث سنوات، وأبلغني أنه شاهد عبد المنعم لحظة استشهاده تحت التعذيب، وأكد لي بتفاصيل دقيقة لا يعلمها سوى أشخاص مقربين منا، وكانت زوجته التي دأبت على متابعة الصفحات المختصة بالمعتقلين قد قرأت اسم عبد المنعم ونبأ استشهاده، لأتواصل أنا مع الشاب الذي نشر الخبر وأتأكد من استشهاد أخي، وذلك بعد مرور قرابة ٥ سنوات على اعتقاله».

توقف الأخ عن الحديث حاملاً فنجان قهوته، وكأنه يغطي مرارة ذكرياته بمرارة القهوة، ثم تابع قائلاً:
«استشهد أخي تاركاً خلفه زوجة وأطفالاً ثلاثة، ابنته الكبرى زهراء تبلغ من العمر الآن أحد عشر عاماً، وشيماء ثمانية أعوام، ومحمود الذي كان عمره عاماً واحداً أصبح عمره اليوم سبعة».

وأضاف: «لم يكن من السهل على زوجته أن تسمع بهذا النبأ، فقد دمرت حياتها وتغيرت كل تفاصيلها، فهي من دمشق وكانت تعيش معنا في سراقب، ولكنها بعد استشهاده صحبت أولادها وعادت إلى دمشق للإقامة في بيت ذويها، وما زالت حتى هذه اللحظة تقول أنا زوجة عبد المنعم ولست أرملته، وقد أثر هذا الأمر على الأطفال كثيراً، وبذلك خسرنا زوجة أخي وأولاده، فنحن لا نستطيع زيارتهم خشية من الاعتقال على يد النظام، وينحصر تواصلنا معهم على الهاتف».

لم تتوان عائلة عبد المنعم خلال السنوات الماضية عن المحاولة لإطلاق سراحه من سجون النظام، إذ استعانوا بمحامين وضباط ومسؤولين، وعرضوا عليهم مبالغ كبيرة لتحويله للقضاء، وراجعوا المشفى العسكري في المزة المعروف باسم «٦١١»، كما توجهت زوجته إلى وزير العدل وراجعت عدة فروع أمنية، دون أي نتيجة، فقد كانت كل الخطب والدروس التي ألقاها منذ بدء الثورة، موجودة على هاتفه المحمول الذي كان بحوزته عند اعتقاله، وكان كلامه واضحاً وصريحاً بضرورة التصدي للنظام، مع أنه كان دائماً يؤكد على ضرورة المقاومة السلمية، وعدم اللجوء للعنف أو التخريب.

توقف الجميع عن الكلام وكأنهم يستعيدون أنفاسهم من رحلة شاقة محملة بالوجع ثم قال الأخ بحسرة:
«لم يكن عبد المنعم يشجع على حمل السلاح أو انتهاج طريق القتل، لم يكن يحب العنف ولكنه لاقى الكثير منه في المعتقل، فقد أخبرني ذلك الشاب أنهم في المعتقل لا يستخدمون الاسم للنداء على المعتقلين بل رقماً يحفظه المعتقل منذ لحظة دخوله، وفي إحدى المرات طرق باب الزنزانة ولم يكونوا يعلمون كم الساعة، ولكنها تجاوزت منتصف الليل، ومعنى هذه الدقات أن عليهم أن يتجهوا نحو الحائط، ونادى السجانون على رقم عبد المنعم، وطلبوا منه أن يقف ويتراجع خطوتين باتجاه الباب ثم اصطحبوه معهم».

عاد السجانون مصطحبين عبد المنعم ووجبة الإفطار للمعتقلين، ما جعلهم يدركون أن الصباح قد حلّ، وكرروا العملية في اليوم التالي، ولكنهم عادوا به وكأنه ليس هو، كانت أسنانه مكسرة، وكذلك أصابعه، ولديه أظافر مقلّعة، والدماء تغطي جسده، وآثار القيود على معصميه، ما يؤكد أنهم علقوه بالسقف ساعات طويلة «شبحوه»، كما كانت إحدى عينيه غير ظاهرة من شدة الورم، وكان عاجزاً عن الحركة أو الكلام، وتناوب زملاؤه في المعتقل على العناية به وغسل وجهه، في محاولة للتخفيف من ألمه، لكن السجانين بعد نحو ساعتين تقريباً نادوا عليه، لم يكن يقوى على المشي فسحبوه وأعادوه في حالة أسوأ، وفي الليلة الثالثة أعادوه إلى الزنزانة فاقداً للوعي، ملفوفاً بغطاء، ليستشهد بين زملائه بعد وقت قصير من شدة التعذيب الذي تعرض له، بكاه زملاؤه وودعوه، فقد كان بالنسبة لهم مصدراً للأمل والصبر، حسب ما نقله أخو عبد المنعم عن زميل عبد المنعم في المعتقل.

توقف أخو الشهيد عبد المنعم عن الكلام الذي كان طوال حديثه يحاول أن يكون متماسكاً وقوياً، وثبت نظراته في الأرض، وكأنه غادر إلى ذكرياته مع شقيقه، محاولاً الهرب من شبح تفاصيل استشهاده.

من لوحات الفنان نجاح البقاعي

البائع المتجول.. الشهيد محمد إسماعيل الخاني

بقامته المتوسطة وسمرته الجذّابة وطيبته وبساطته، كان يتجوّل في شوارع قريته معرشورين والقرى والبلدات المحيطة بها، حاملاً بضاعته ومسؤولية تأمين لقمة عيش عائلته، إذ ترك «محمد إسماعيل الخاني» مواليد عام ١٩٧٨ تعليمه منذ صغره، نتيجة ظروف عائلته المادية الصعبة، ليدخل سوق العمل مبكراً كبائع متجول، ويبقى في مهنته تلك حتى اعتقاله. كان «محمد» إنساناً بسيطاً ومحبوباً من قبل الجميع، وذلك لأمانته، ورفضه للغش أو الخداع، ومراعاته لأحوال الناس المادية بالرغم من بساطة حالته هو الآخر.

اعتقل محمد على أحد حواجز الجيش في قرية «الزعلانة» القرية الصغيرة القريبة من بلدته، وذلك في شباط عام ٢٠١٢، أبلغنا سائق السيارة التي كان يستقلها محمد أنَّ الحاجز اعتقله، توقف الرجل السبعيني «إسماعيل الخاني»، الذي خطت حكايات الظلم والقهر والفقر حروفها تجاعيد على وجهه الذي كانت قد غطته دموع حزن على ولده محمد وإخوته الثلاثة، الذين غيبتهم السجون أو غارات الطائرات الروسية.

«بعد اعتقال محمد نقل إلى المركز الثقافي في معرة النعمان، إذ كان النظام قد اتخذه في تلك الفترة نقطة عسكرية، يجمع فيه الشباب المعتقلين قبل نقلهم إلى السجون الرسمية، وتنقل محمد بعدها بين عدة فروع أمنية وسجون، بدءاً من سجن الرقة وانتهاءً بالفرع ٢١٥ بدمشق الذي استشهد فيه بحسب ما أظهرت صور قيصر»، وأضاف أخو الشهيد محمد الذي تدارك بكاء والده ليكمل عنه الحديث: «كان زملاء محمد في السجون، يتواصلون معنا خلال السنة الأولى من اعتقاله، ويخبروننا عن التعذيب الذي يتعرض له، ولكن أخباره انقطعت بعدها بشكل كامل، ولم نعد نعرف أين هو أو ماذا حل به، وكانت آخر معلومة لدينا أنه في سجن الرقة، لنفاجأ بعد تسرب صور قيصر، وفي تموز عام ٢٠١٦ بالتحديد، أن صورته بين الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب في الفرع ٢١٥».

تابعت خالة الشهيد الحديث عن ابن أختها قائلة: «كانت تردنا أخبار عن سوء حالته الصحية في السجن، وإصابته بمرض السل، وكنا نقف عاجزين، غير قادرين على تقديم أية مساعدة له».

وبعد تنهيدة طويلة: «ربما كان موته أرحم مما كان يلاقيه في السجن».

أحد الناجين من سجون النظام أخبرنا أن محمد كان يتعرض للتعذيب بوحشية، ويمضي ساعات طويلة في التحقيق، ليعيده السجانون بعدها ويرموه على أرض الزنزانة كخرقة بالية، يحاول زملاؤه تقديم ما يستطيعون من المساعدة له حتى يستعيد وعيه، قالها والد محمد وصمت.

العائلة والنشاط

يقول أخو الشهيد محمد: «كان محمد إنساناً بسيطاً جداً، لا يشغل باله سوى تأمين لقمة الخبز لأولاده الأربعة، حتى إنه لم يشارك في المظاهرات على عكسنا نحن باقي إخوته، ورغم ذلك اعتُقل وعُذّب حتى الموت».

وأضافت خالته: «كان كل همه تربية أولاده، وكان شديد الخوف عليهم، وها هو ذا قد تركهم مكسورين في غيابه، مشتاقين لحضوره بينهم، في كل مناسبة يفتقدون وجوده، ويتحدثون عنه، أما زوجته فهي دائمة الحزن منذ لحظة اعتقاله، وبعد استشهاده فقدت الرغبة بالحياة».

الأخ الأصغر والشهيد الأول.. مصعب الخاني

لم يكن محمد وحده من استشهد في عائلة إسماعيل الخاني، إذ كان أخوه الأصغر مصعب ذو الثلاثين عاماً، وهو أب لثلاثة أطفال، وعضو تنسيقية قريته، وأول المشاركين في المظاهرات والداعين لها، كما كان الإعلامي الذي يصورها، استشهد قبل محمد، وتعرض للتعذيب الشديد حتى الموت، ولكنه لم يصمد بين أيدي عناصر الإجرام لأكثر من ٣ ساعات، كان ذلك في الشهر نفسه الذي اعتقل فيه محمد.

في شباط عام ٢٠١٢، كان مصعب مع أحد رفاقه يسيران في القرية، وكان هناك حاجز للنظام ضمن القرية، فأطلق النار عليهما وأصيب صديقه، وظن الجيش أنه مات فتركوه، واعتقلوا مصعباً ليصحبوه إلى قرية خان السبل.

بدأ شباب القرية بالبحث عنه مباشرة لعلهم يستطيعون الوصول إليه وتحريره، ولكن للأسف وجدوا جثته بعد ثلاث ساعات فقط من اعتقاله، مرمية على الطريق العام بين قريته والقرية المجاورة، وكانت آثار التعذيب واضحة على مصعب، وقد تم تعذيبه حتى الموت.

ربما كان استشهاد مصعب بهذه السرعة، ورؤية والده له بهذا المنظر، وخبرته لمدى إجرام النظام وعناصره، عبر ما شاهده من آثار التعذيب على جسده، هو ما زاده خوفاً على محمد، وإصراراً على استنفاد كل الفرص المتاحة وغير المتاحة لإنقاذ ابنه الثاني من براثن النظام، ولا سيما أن الوقت لم يسعفه لإنقاذ ابنه الأول، ولم تكن إلا بضع ساعات ليعود إليه جسداً معذباً ومشوهاً بلا روح.

يقول الوالد: «بالرغم من أنني بسيط الحال، ولا أملك ثروة، إلا أنني بذلت جهدي لأنقذه، ولجأت إلى أحد المحامين للكشف عن مصيره، ولكنه لم يصل إلى نتيجة، واتبعت سبلاً كثيرة، ووعدني بعضهم بالمساعدة، غير أنها كانت حالات نصب واحتيال، وكنت راضياً بأي مبلغ أو خسارة مادية لو أن أحدهم تمكن من الوصول إلى محمد أو إنقاذه من الموت.. حرق قلبي محمد كم لاقى من ويلات وألم حتى مات بين أيديهم».
أحنى والد محمد رأسه باكياً عاجزاً، فبعد هذه الكلمة وتلك الدموع لم يبق ما يقال.

بين السجن والقبر
حالات الاختفاء القسري في سورية

قالت منظمة العفو الدولية في تقريرها «بين السجن والقبر: حالات الاختفاء القسري في سوريا»، المكونِ من ٧٢ صفحة، إن عشرات الآلاف من السوريين هم ضحايا للاختفاء القسري، معرفةً الاختفاء القسري بأنه عندما يقبض على الشخص ويعتقل أو يختطف من جانب الدولة أو وكلائها ممن يتصرفون باسمها، وينكر هؤلاء فيما بعد أن الشخص محتجز أو يخفون مكان وجوده، بما يضعه خارج نطاق حماية القانون.
وأكدت المنظمة أن المختفون في سوريا المعارضين للنظام، يعزلون عن العالم الخارجي، ويحشرون في زنازين سرية مكتظة، حيث التعذيب مسألة روتينية، ويتفشى المرض وتصبح الوفاة أمراً عادياً، ويجبر أهالي هؤلاء على أن يعيشوا في حالة من اليأس، بينما لا يجدون أمامهم سوى قلة من الطرق الآمنة، إن وجدت، للعثور على أحبائهم.
ووفقا للشبكة السورية لحقوق الإنسان، فقد تعرض ٨٢ ألف شخص للاختفاء القسري على أيدي الحكومة السورية منذ عام ٢٠١١.

منظمة العفو الدولية، ٥ تشرين الثاني ٢٠١٥

نريد أن تبقى ذكراه حيّةً بيننا
الشهيد عبد الكريم عبود شعبان

منذ اللحظة الأولى، ولمجرد ذكرها اسمه، شَحُبَ وجهها فجأة وقد غطته دموعها، التي أخذت فرصتها بالاقتران مع صوتها المخنوق، ربما هي ذكرياتها معه، وتفاصيل حياتهما التي لا تغيب عنها، هي من كانت تقف خلف حزن أخت «عبد الكريم»:
«أخي عبد الكريم من مواليد آذار ١٩٩٢، كان طالباً جامعياً يدرس سكرتارية في حلب، اعتقل في منزل صديق له في حلب في حزيران ٢٠١٢، كنا دائماً ننتظر خروجه من المعتقل ولكن في عام ٢٠١٧، وبعد اعتقاله بنحو أربع سنوات تأكدنا أنه استشهد تحت التعذيب في سجن صيدنايا بعد أن نُقل إليه من فرع المخابرات الجوية»، وأضافت:

«كنا في كل مرة نسمع فيها عن معتقل خرج من السجن نذهب إليه علّنا نحصل عن أية معلومة عنه، وفي إحدى المرات توجهنا إلى بلدة «بابيلا» لزيارة معتقل أُخليَ سبيله، وسؤاله عن عبد الكريم، وبالفعل أخبرنا أن أخي كان معه في نفس الزنزانة، وحدثنا عن التعذيب الذي كان يتعرض له عبد الكريم، والوحشية التي تعرض لها، فقد كان يرجع من التعذيب وآثار الضرب والكدمات ظاهرة عليه، وذلك بغية إجباره على التوقيع على أنه قتل سارية أحمد حسون، بالإضافة إلى التهم الموجهة له منذ لحظة اعتقاله كالمشاركة في مظاهرات جامعة حلب».

صمتت الأخت عاجزة عن متابعة الحديث لتكمل أختها الكبرى قائلة: «لقد أخبرنا هذا الشاب أنه أشفق على عبد الكريم من شدة التعذيب، ونصحه أن يعترف بما يريدون، أملاً في تخفيف تعذيبهم له أو التوقف عنه، فحجم التعذيب الذي كان يتعرض له يدل على أن النظام مصمم على تصفية عبد الكريم بأية تهمة، وبالفعل اعترف عبد الكريم ووقع على اعترافاته استجابة لنصيحة زميله في المعتقل بحسب ما أخبرنا به»، مردفة:
«وبعد مرور سنة ونصف على اعتقال عبد الكريم، خرج أحد رجال مدينتنا سراقب من السجن، وكعادتنا ذهبنا إليه، وأخبرنا أنه تعرف إلى عبد الكريم في السجن، والتقاه قبلها في مطار منغ العسكري عند نقلهما إلى فرع المخابرات الجوية بدمشق، وخلال التحقيق وبعد إنكار الشاب للتهم الموجهة إليه، أبلغه المحققون بوجود شاهد ضده وهو عبد الكريم، وكان شعره طويلاً، ووجهه شاحباً، بالإضافة إلى أنه كان جائعاً جداً لأنهم حين قدموا له تفاحة أكلها بطريقة تؤكد أنهم يعذبونه بالتجويع».

«كانت أمي دائماً كلما سمعت عما يلاقيه أخي في السجن، تقول إن الموت قد يكون أرحم له من هذا الموت اليومي، ولكنها اليوم وبعد أن تأكدنا من نبأ استشهاده تبكيه وحدها، وتحمل قهراً وحزناً لا يحتمله بشر، على ما تعرض له من تعذيب ومعاناة في سجنه، حتى إنها لم تقوَ على الاحتفاظ بأغراضه»، تابعت شقيقته الثانية التي كانت تتحدث بصوت متقطع: «عبد الكريم كان شاباً وسيماً يحب الحياة، ويحب القراءة والكتابة، وما زلت أحتفظ بدفتره الذي كان يكتب فيه وأوراقه وشهاداته».

أومأت بيدها وأحنت رأسها ولم تعد قادرةً على كتمان بكائها، وكأنها تذكرت ما يؤلمها أكثر من كل تفاصيل سجنه، ثم عادت للحديث:
«بعد سنوات من اعتقاله، وعجزنا عن معرفة مصيره، طلبنا من محامية في السلمية أن تتولى مهمة السؤال عنه ومعرفة مصيره، وكان ذلك في أيلول عام ٢٠١٧، فأخبرتنا أنه استشهد في حزيران عام ٢٠١٤، ورغم ذلك كنا ننكر موت عبد الكريم، ونرفض تقبل الأمر، حتى إننا لجأنا إلى أحد الأشخاص في ريف حلب، سمعنا أنه يعمل على إطلاق سراح المعتقلين، وأبدينا له استعدادنا لدفع أي مبلغ يطلبه، إلا أنه عاد ليؤكد لنا استشهاد أخي في سجن صيدنايا قبل سنوات، وتطابق حديثه مع حديث المحامية».

أجهشت بالبكاء وعلا صوت بكائها أكثر وأكثر وهي تردد:
«لقد خسرنا الكثير من شبّاننا وأحبائنا على يد النظام، قتلوا عبد الكريم في السجن، وقتلوا أخي الأكبر أحمد وعمي عماد بعد اعتقالهما بثلاثة أيام عندما دخل الجيش إلى سراقب، كما قتلوا ابن أختي عمار، وهو طالب جامعي أيضاً في قسم اللغة العربية، ثم عادوا ليقتلوا أخته بقذائفهم التي أطلقوها من معمل القرميد، لقد خسرناهم جميعاً».

«نحن الآن واثقون من استشهاد عبد الكريم، ولكننا نحيا وكأنه بيننا، نتحدث عنه باستمرار ومطوّلاً، ونتذكر طيبته وحبه للحياة، ونحدث أطفالنا عنه رغم أنهم لا يتذكرونه، أو أنهم ولدوا بعد وفاته، إلا أننا نريد أن تبقى ذكراه حيّةً بيننا بعد أن رحل هو عنّا»، بهذه العبارة ختمت أخت عبد الكريم حديثها.

من لوحات الفنان نجاح البقاعي

الرجل الطموح.. وحلمه الضائع بعد الموت.. الشهيد إياد أحمد مصطفى الأزن

كان مولعاً بأولاده جداً، ولا يشغله سوى دراستهم وحياتهم، وكثيراً ما يحدثهم عن آماله بهم، وعن أحلامه برؤيتهم أطباء وصيادلة مثل أعمامهم، إذ كان الوحيد الذي لم يكمل تعليمه بين إخوته، نظراً لاستلامه مكان والده في العمل بمجال المنظفات.

كان مصراً على إكمال أولاده دراستهم، ويعمل ليل نهار لتأمين متطلباتهم، ويسافر بين المحافظات لأجل ذلك، كانت سعادته كبيرة حين التحق ابنه الأكبر بالجامعة، وكان فخوراً جداً به، ولكن لم يتابع فيما بعد أي من أولاده تعليمه.

لدى «إياد مصطفى الأزن» ثلاثة أبناء من زوجته الأولى، هاجر الشابان الأكبر والأوسط إلى ألمانيا عقب إبلاغهما بنبأ استشهاد والدهما، وبقي الشاب الثالث مع والدته في قريتهم معرشورين، بينما عادت زوجة الشهيد إياد الثانية مع أطفالها الأربعة إلى قريتها تلمنس.

اعتُقل «إياد مصطفى الأزن» مواليد كانون الأول عام ١٩٧٥، بينما كان مع ابنه وبعض الطلاب في منزل بحماة، ليتقدم ابنه لامتحانات الشهادة الثانوية لعام ٢٠١٢ هناك، وفي مساء أحد أيام الامتحانات، وبينما كان ابن إياد وزملاؤه يدرسون للامتحان، اقتحم ثلاثة رجال المنزل، وحاولوا اعتقال إياد، فحاول مقاومتهم، والتخلص من أيديهم والهرب، لكنهم ضربوه ورموه من أعلى درج المنزل للأسفل، ثم اقتادوه بسيارتهم إلى جهة مجهولة، ليعود ابنه دون أن يتابع امتحاناته.

بين ابنها الوحيد الذي بقي إلى جانبها، والذي كان يتنهد بين الفينة والأخرى، وهو يعيد بذاكرته تفاصيل اعتقال الوالد واستشهاده، وبين شجيرات في الخارج كان قد غرسها إياد بيديه في حديقته الصغيرة التي دأب على الاعتناء بها قبل اعتقاله، كانت زوجته الثكلى تتنقل بعينيها وهي تتحدث عن خسارة زوجها، وتشرد.. أولادها ودمار حياتهم ومستقبلهم، وضياع حلم زوجها الشهيد، بوجع لا حدود له، بدا واضحاً في حشرجة صوتها، التي كانت تزداد كلما وقعت عيناها على ابنها المكلوم.

أما ابنها فقد كانت عيناه تشتعلان غضباً وهو يقول: «اعتقل والدي في حزيران عام ٢٠١٢،

ولكننا لم نعلم باستشهاده حتى حزيران عام ٢٠١٧، وخلال تلك السنوات كان أعمامي يحاولون الوصول إليه ومعرفة مصيره عن طريق المحامين، على أمل أن يُطلَق سراحه».
تدخلت زوجة إياد قائلة: «سعينا كثيراً للوصول إليه، ودفعنا مبالغ طائلة لإطلاق سراحه، ولكننا لم نحصل على أي مساعدة، وحتى المحامون الذين أوكلنا لهم الدفاع عنه لم يتمكنوا من إنقاذه، كانت كلها عمليات نصب فقط لا غير».

نبأ الاستشهاد

«كنا نحيا على أمل عودته، إلى أن أبلغنا أحد المعتقلين الذين أُطلق سراحهم، أن إياد استشهد بين يديه في سجن صيدنايا» قالت زوجة إياد والألم يعتصر قلبها، مضيفةً:
«سبّب الخبر لنا فاجعة كبيرة، وخسائر كثيرة، ليست مادية، وإنما أكبر من ذلك بكثير، فقد خشيت على أولادي عندما علمت باستشهاد والدهم، فترك ولدايَ الأكبر والأوسط تعليمهما وهاجرا إلى ألمانيا، بينما بقي ابني الأصغر معي، ولكنه ترك هو الآخر دراسته، وبعد أن كان المدلل أصبح يعمل في أحد المطاعم، ويتحمل ظروفاً قاسية لم يعتدها من قبل، أما أولاد إياد من زوجته الثانية، فعمر أكبرهم ١٦ عاماً، وأصغرهم طفلة في السادسة، تنادي شقيقها «بابا حمودي»، وكأنها ترفض أن تعيش حياتها دون أب».

أصبحت الدموع سيدة الموقف، ليسود الصمت لفترة قبل أن يستدرك ابن إياد الموقف، ويخرج عن الصمت معبراً بنفسه عما يجول في خاطره بعد استشهاد والده قائلاً:
«كان أبي يهتم بنا كثيراً، ولم يكن يسمح لنا بالعمل حتى معه، يستأجر عمالاً ويوصينا بالاهتمام بدراستنا فقط، وها أنا ذا تركت دراستي واضطررت للعمل كل يوم بعد غيابه»، توقف الابن باكياً ثم عاد ليقول: «كلما تعرضت لمشكلة أو موقف ما، أقول لنفسي لو كان أبي إلى جانبي لأرشدني إلى الحل، وهان كل صعب عليّ، لقد أثر غيابه بي كثيراً، وأنا أفتقده جداً»، احتضن بكاؤه بكاء أمه ليتحولا إلى صرخات وأنات.

بعد اعتقال إياد عانى أولاده حالة نفسية سيئة، وانطووا على أنفسهم، وكانوا يرفضون أي مظهر للفرح، وحتى الأعياد والمناسبات، ومع كل تكبيرة عيد كانوا يتوزعون في أنحاء المنزل، يبكي كل واحد منهم بمفرده، لتبدأ أمهم رحلة مواساتهم والتخفيف عنهم، بينما هي بحاجة لمن يفعل ذلك معها، وأما والدة إياد فقد أصيبت بعد استشهاد ابنها بمرض في القلب من شدة حزنها، ولم تقطع زوجته الثانية علاقاتها بالعائلة، وما تزال الزيارات المتبادلة مستمرة حتى هذه اللحظة.

إياد.. الرجل الطموح

تعلم زوجة إياد أن شهادتها بزوجها مجروحة، على حدّ تعبيرها، إلا أنها تصرّ على ذكر مناقبه كما تراه، فقد كان وسيماً، كريماً، طيب القلب، اجتماعي الطبع، حسن المعشر، يحب أهل بلدته، ولا يتوانى عن مساعدة أي إنسان يلجأ إليه، يفكر بالآخرين أكثر مما يفكر بنفسه.

أذكر أننا في فترة سابقة قبل اعتقاله تعرضت البلدة لأزمة خبز فكان يشتريه من محافظة اللاذقية وينقله على حسابه ويوزعه مجاناً على الناس كما أنه يوزع اللحم بنفسه على بعض

أهالي البلدة.
بينما يصفه أحد أصدقائه بـ «الطموح»، المُجدّ في عمله الذي لا يعرف إلى الهزيمة أو الضعف سبيلاً، وإذا وضع هدفاً نصب عينيه فلا بد أن يحققه.

ويؤكد ابن إياد أن تصميم والده على النجاح، وطموحه العالي ورفضه للخسارة والفشل، وتميزه في عمله وعلاقاته، أكثر ما يعجبه في والده، بحسب تعبيره، مضيفاً:
«مع أننا على ثقة بأنه استشهد، إلا أنني لا أحب أن أصدق ذلك، وكثيراً ما أتخيله على قيد الحياة، وأنه سيعود يوماً، وما زلت حتى هذه اللحظة أحتفظ بأغراضه ودفاتره وجهازه المحمول، وأنظر إلى خط يده، وأحلم أن أراه ثانية».
«ليس هناك خسارة تعادل خسارتي لأبي، وأكثر ما يؤلمني أنه عُذّب حتى الموت».

الاعتقالات التعسفية والإخفاء القسري والتعذيب والوفيات في الحجز

تستمر القوات الحكومية في ارتكاب الاعتقال التعسفي وسوء المعاملة والتعذيب والإخفاء القسري على نطاق واسع ومنهجي في سوريا، في مناخ من الإفلات من العقاب. تنتشر أيضا حالات الوفاة في الحجز الحكومي بسبب التعذيب وسوء المعاملة والتجويع والضرب والمرض، المنتشر في نطاق واسع، ولقي ١٢٦٧٩ شخصا على الأقل حتفهم في الاحتجاز بين مارس/آذار ٢٠١١ ويونيو/حزيران ٢٠١٦، وفقا لمراقبين محليين.

أشار تقرير أصدرته «لجنة الأمم المتحدة الدولية المستقلة لتقصي الحقائق في سوريا» في سبتمبر/أيلول إلى أنه رغم قلة بلاغات حالات العنف الجنسي بسبب مكابدة الصدمة وخشية الوصم، إلا أنها استطاعت توثيق بعض حالات العنف الجنسي ضد المعتقلين والمعتقلات ارتكبها مسؤولون حكوميون.

استخدمت قوات الأمن الحكومية القوة المفرطة لقمع تمرد داخل السجن المركزي في حماة، الذي بدأ في ١ مايو/أيار، ما أسفر عن وقوع اصابات، وفقا للسجناء الذين تحدثوا إلى هيومن رايتس ووتش.

اعتقلت القوات السورية جديع عبد الله نوفل، مدير «المركز السوري للديمقراطية والحقوق المدنية» في ١ أبريل/نيسان عند نقطة تفتيش على الحدود في طريقه إلى لبنان. اعتقل نوفل سابقا عام ٢٠١٤ وعام ١٩٩٢. احتجزه فرع المخابرات العسكرية رقم ٢٣٥، ومنعه من لقاء محامين وعائلته. لايزال مصير باسل خرطبيل (٣٤ عاما)، المدافع عن حرية التعبير، مجهولا مع معلومات غير مؤكدة تشير إلى أنه قد حوكم وحكم عليه بالإعدام من قبل محكمة عسكرية في مقر الشرطة العسكرية السورية في القابون، والمعروفة بسمعتها السيئة بسبب مداولاتها السرية القاصرة عن تحقيق العدل.

التقرير العالمي ٢٠١٧ - هيومن رايتس ووتش

لم يقبل أن يبقَ في جيش يقتل أبناء بلده.. الشهيد محمد عبد الوهاب الضعيف

من مواليد ١٩٨٣، رقيب في الجيش، وطالب كلية الحقوق في السنة الرابعة، لم يقبل أن يبقَى في جيش يقتل أبناء بلده فقرر الانشقاق، صاحب نكتة وخفيف الدم حتى لُقب في بلدته حاس بـ «الحمصي»، كان مولعاً بالرياضة، ويلعب كرة القدم، نشيطاً وحالماً جداً، قوي البنية، طويل القامة، أشقر ذا عينين خضراوين، كان شاباً وسيماً، وأجمل أولادي، لم أتخيل أن أخسره بهذه الطريقة البشعة، ولم يخطر ببالي يوماً أن يموت تحت التعذيب، وأنا الذي كنت أحميه منذ صغره من النسمة.

بهذه الكلمات وصف الأب ابنه الشهيد «محمد عبد الوهاب الضعيف»، بغصة واضحة على صوته، وربما أراد أن يتجاوز الحلقة الأصعب في الحديث، فقرر أن يبدأ من حيث تنتهي الحكاية.

يقول «عبد الوهاب الضعيف» والد الشهيد محمد:
«أبلغني شاب من أبناء بلدة أطمة، خرج من سجن صيدنايا، أن ثلاثة من السجانين أخرجوا محمد من الزنزانة وهم يحملون هراوات حديدية، وما إن أصبحوا خارج الزنزانة حتى انهالوا عليه بالضرب بالهراوات، وبدأ محمد يصرخ، واستمروا بضربه حتى غاب صوته تماماً، ولم يعد بعدها إلى الزنزانة، وتناقل المعتقلون فيما بينهم نبأ استشهاده بعد أن ضُرب على رأسه بالهراوة بشدة، وكان ذلك في عام ٢٠١٥».

صمت الأب وقد تلونت عيناه باللون الأحمر، وكأن الدمع يحرقهما، رافضاً مغادرتهما، ثم عاد بعد دقائق صمت استطاع فيها التنفس، ليتذكر كيف اعتقل ابنه:
«في السابع من آذار عام ٢٠١٢، ولدى اقتحام الجيش بلدتنا حاس، جرت حملة اعتقالات واسعة، وكنت قد حذرته من البقاء في منزله فهو منشق عن الجيش، ومن المؤكد أنه سيعتقل، لكنني لم أفهم حتى اللحظة ما الذي جعله يبقى لآخر لحظة في منزله، وصل عناصر الجيش إلى هناك، وبدؤوا يطلقون الرصاص بكثافة، فحاول الهرب لكنه أصيب بثلاث رصاصات قبل أن يعتقل». وأضاف الأب:
«أعرف مقدار حقدهم عليه، فقد كان عنصراً على أحد الحواجز العسكرية، وتواصل مع الثوار حتى يؤمن وسيلة للهرب، وبالفعل قام بتسليم الحاجز للثوار، وعاد إلى البلدة، وبعد اعتقاله، ورغم يقيني بصعوبة إنقاذه، إلا أنني حاولت كثيراً، ودفعت مبالغ كبيرة، واكتشفت

أنها عمليات نصب واحتيال يقوم بها أشخاص كنت أتواصل معهم من أصحاب السلطة، وما يؤلمني أنني لم أحصل حتى على شهادة وفاته، لأننا نخشى الذهاب للشرطة العسكرية في دمشق خوفاً من الاعتقال».

بعد استشهاد محمد بنحو عام، توفيت والدته، فقد كرَّت المصائب عليها دفعةً واحدة، استشهد محمد، ثم استشهد أخوه وأصيب ابنها الثالث جراء غارة للطيران الحربي على البلدة، فماتت أمهم من شدة حزنها على أولادها.

ترك الشهيد «محمد الضعيف» ولدين عمرهما تسع وسبع سنوات، ابنه الكبير ما زال يتذكر أباه، أما الصغير فلا يعرفه سوى بالصور، كان عمره سنة واحدة عندما اعتقل والده، والذي ترك وصيةً لأهله، أخبرهم بها شاب من بلدة تفتناز، خرج من السجن عام ٢٠١٤، قبل استشهاد محمد، طلب فيها أن يحفظ ولداه القرآن.

يقول والد الشهيد محمد: «بعد زواجِ أمهما، نتنازع عليهما، فهم تارة معها وتارة أخرى معنا، وهي تحاول ألا تذكره أمامهما أبداً، فحسب قناعتها تريد لهما أن يعيشا طفولتهما، ونحن لم نخبرهما بأن والدهما استشهد، وحين يتحدثان عنه أمامنا نخبرهما بأنه سيعود يوماً ما».
يردف الأب الصلب والدمعة ما زالت تأبى الانهمار، لتزيد في احمرار عينيه واختناقه، وتنتقل إلى وجهه وصوته:
«وما زلت رغم قناعتي التامة بأنه استشهد، أعيش على أمل ضعيف أن يرجع إلي وإلى أولاده».

لعينيه تنظم القصائد.. الشهيد بسيم خالد الجمعة

في كوخه الطيني الصغير على أطراف بلدته الغدفة، يجلس الخال يفرغ ما في جعبته من حزن وانكسار، فينظم القصائد، ويرثي ابن أخته المدلل، الذي كان كما يقال بالعامية «حصته» في عائلة أخته، بعد أن عذبته حتى الموت يد الغدر في سجون النظام، بعد خروجه في المظاهرات ضدها.

الشهيد «بسيم خالد الجمعة» مواليد الأول من كانون الثاني عام ١٩٩٢، كان طالباً في كلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة حلب، شارك في الحراك الطلابي بساحة الجامعة منذ اندلاع الثورة، وفي ساحة سعد الله الجابري اعتقل للمرة الأولى أثناء زيارة وفد المراقبين الدوليين، وأطلق سراحه بعد شهر من اعتقاله.

وعلى الرغم مما لاقاه، إلا أن الاعتقال الأول زاده حماسةً واندفاعاً، لا بل وإصراراً على المتابعة وبقوة أكبر، فبدأ بالدعوة للمظاهرات في الحرم الجامعي، والتنسيق لها وتصويرها، ولم يقتصر على الجامعة بل وسع دائرة نشاطه، ليستغل وجوده في أي مكان ويشارك في مظاهراته.

في خريف عام ٢٠١٣، وبينما كان في زيارة لعائلة عمه، خرج مع ابن عمه في إحدى المظاهرات، ليعتقلا معاً قرب منطقة الفحامة بدمشق، وليستشهدا معاً تحت التعذيب بعد أربعة أشهر من اعتقالهما، وهما الطالبان الجامعيان.

بدأت العائلة عملية البحث عن ابنها بين الفروع الأمنية للنظام، وفي منتصف تشرين الثاني عام ٢٠١٤، قام في تلك الفترة عم بسيم بمراجعة فرع الشرطة العسكرية في حي القابون بدمشق، لتكون نهاية البحث، ويسمع ما لا يحب سماعه، إذ قام الفرع بإبلاغه باستشهاد ابنه وابن أخيه بسيم، وتسليمه بطاقتيهما الشخصيتين.

ونظراً لنشاطه الثوري الكبير، كانت عائلة الشهيد بسيم منذ لحظة اعتقاله، تتوقع أن يتم قتل ابنها، ولكن مع ذلك كانت تصطنع الأمل لتواسي نفسها به، وكان تأكيد الاحتمال وتحوله إلى حقيقة، فاجعةً كبيرةً لها، وكان وقع الخبر عليها صعباً جداً، ولا سيما على والدة بسيم، التي انهارت كلياً. وفي كل مناسبة أو حدث، تفتقد عائلة بسيم شهيدها، وتتحول المناسبة إلى جلسة رثاء واستعادة للذكريات، وللحديث عن بسيم، وفرد صوره، وأغراضه التي ما زالت عائلته تحتفظ بجميعها في منزلها.

بسيم.. الشاب المتمرد

كان بسيم شاباً بهيّ الطلة، طويل القامة، مفعماً بالنشاط والحيوية، معطاء ومتفانياً، مندفعاً ومتحمساً، مقبلاً على الحياة بشغف، مضرباً للمثل بأخلاقه العالية، يحب مساعدة الآخرين، لكنه متمرد، فقد كان نشاطه سبباً لخوف والديه عليه، ومعارضتهم لسفره إلى دمشق في تلك الظروف، غير أنه ذهب ولم يتردد بالمشاركة بالمظاهرة.

يتحدث خال الشهيد «بسيم جمعة» والغصة تملأ قلبه، وتطغى على صوته، وبين كل جملة وأخرى، كانت تنطلق من صدره زفرة ألم وحسرة: «كان بسيم دائم البحث والتعلم، يسعى وراء كل معلومة، كل ما يراه أو يسمعه يصبح هدفاً لبحثه، صديقه الانترنت، ولكن ذلك لم يكن يحد من نشاطه الاجتماعي، فكان لديه العديد من الأصدقاء، الذين يعدونه مرجعاً لهم في كثير من المجالات، ولا سيما إذا تعلق الأمر بإصلاح أعطال كهربائية، فقد كانت هوايته المفضلة إلى جانب حبه للمعرفة والاطلاع».

غص الخال وتنهد بحسرة مضيفاً: «لقد استشهد شباب كثر وليس بسيماً فقط، لكن استعادة الذكريات وتخيل الأحبة أمر صعب جداً».

لم يتمالك الخال نفسه، فأجهش ببكاء طويل، وهو يرمي سجائره بتوتر واضح على يديه المرتجفتين، ثم تابع: «مهما تحدثت عنه لن أفي ذلك الشاب الجميل حقه، وقد كتبت قصيدة رثاء فيه بعد استشهاده، لعل كل من يقرؤها يتعرف إليه، أقول فيها:

كَعَهْدِكَ لا تَروحُ ولا تُقِيْمُ ... ملأْتَ الكوْنَ كوناً يا بسيمُ
تُرَجِّعُ طعمَ صوتكَ قبَّراتٌ ... فيهرعُ كالفراشاتِ النّسيم
تُبَسِّمُ باسمكَ الأغمارَ كانتْ ... فهذا الصيفُ بيدرهُ يتيم
وماذا.. بعدما عيناكَ غابتْ ... وأمّكَ ما بغيرهما تهيم؟!
هتفتَ فزغردت مهجُ الصبايا ... ويُكرمُ بالزغاريد الكريم
وشبٌّ بمأتم الأبطال عرسٌ ... فغصٌّ بِسُمّ فعلته اللئيم
دموعُ الجُرحِ في المنديل تَغْنَى ... وتُنْبِتُ في القصيدة ما يدوم
لطيفكَ زورقٌ يحتلُّ عيني ... بِلَوْعَةِ شطِّها أبَداً يعوم

«في النهاية كلنا شهداء، والكل تآمر على هذا الشعب، ولم ندرك بعد لمَ كل هذا التآمر، إن كنا نحن لا نستحق الحياة، ألا يستحق العالم أن يكون لديه القليل من الإنسانية، ليقف ضد هذا الظلم»، بهذه الكلمات أنهى كلماته عن ابن أخته ولكن دموعه لم تنتهِ.

أريد أن أعرف أين قبر ابني وأين ذهبوا بجثته؟ الشهيد حذيفة أحمد الطراف

في بلدته الصغيرة الأليفة، ذات الطابع القروي البسيط الهادئ «حاس»، وضمن عائلة ودودة انعكست صفات قريتها على أفرادها، وزادت عليها بالمستوى العلمي العالي لأفرادها، ترعرع «حذيفة أحمد الطراف» ونشأ ودرس حتى دخوله الجامعة.

والد حذيفة مساعد مهندس، أما أبناؤه فأكبرهم طبيب جراحة عامة «يوسف»، وكان قد استشهد جراء قصف الطيران الحربي لمنزل والديه يوم مجزرة حاس في ٢٧ تشرين الأول عام ٢٠١٦، والأخ الثاني هو «طراف» أخصائي الجراحة البولية، وثالثهم «مصطفى» خريج هندسة طيران، وهو مقيم خارج البلد منذ زمن بعيد، ورابعهم «قتيبة» الذي لم يستطع إكمال دراسته «هندسة مدنية» بسبب الاعتقالات التعسفية التي كان أخوه حذيفة (الخامس بين إخوته) من ضحاياها، وكذلك حال أخيه الأصغر «عبيدة» الذي لم يتمكن هو الآخر من متابعة دراسته «هندسة حاسبات» بعد اعتقال حذيفة.

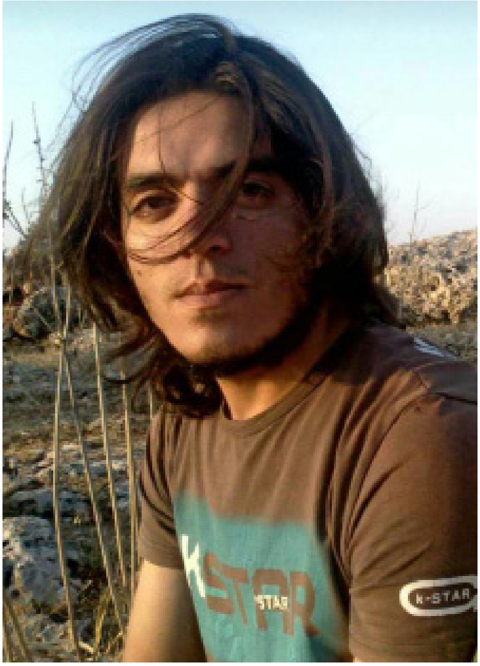

وفي هذا الوسط ذي الثقافة العلمية العالية، لم يكن حذيفة أقل شأناً، بل كان من الطلاب الأوائل ليس على مستوى بلدته أو محافظته فقط، بل حتى على مستوى سورية، إذ نجح في الشهادة الثانوية بمجموع تام تنقصه علامة واحدة، وقرر أن يسير على درب أخويه الكبيرين، فالتحق بكلية الطب البشري بجامعة دمشق، وبدأ مشواره العلمي، الذي لم يتمكن من إتمامه.

كان حذيفة يعشق العلم والتعلم، إلى أن بدأت الثورة التي شاركت العلم ومكانته في قلب حذيفة، فانخرط في صفوفها منذ بدايتها، وشارك في المظاهرات السلمية التي انطلقت من جامعات دمشق، وزاد من كرهه للظلم والإجرام الأسدي، اعتقال قوات النظام لأقرب صديق إلى قلبه.

بقي حذيفة على هذا الحال يواظب على دراسته كما يواظب على مشاركته بالمظاهرات، إلى أن كان يوم الثالث من كانون الأول عام ٢٠١٢، وكعادته توجه حذيفة إلى مكتبة الجامعة للدراسة، وبينما هو في طريقه إلى هناك وإذ بخفافيش الظلام ينتظرونه.

اعتُقل حذيفة قبل أن يصل إلى المكتبة، لتبدأ رحلته مع أفرع الظلم والظلام والإجرام، وعرفت عائلته بخبر اعتقاله من خلال زملائه في الجامعة، كما عرفت أن ابنها اعتقل لصالح الفرع ٢١٥، كان وقع الخبر كارثياً، ولم تعد تدري ماذا تفعل، الحيرة والحزن سيطرتا على حياة عائلته بأكملها، لتصحوَ بعدها وتبدأ بالسعي لخلاص ابنها من سجنه.

يقول «أحمد الطراف» والد الشهيد حذيفة: «ككثير من ذوي المعتقلين بدأنا بالسعي إلى الوساطات والمحامين عسى أن يفرج عن ابننا أو أن نهون عليه، إلا أنها وكعادتها ما هي إلا وساطات للابتزاز والنصب على الناس والمتاجرة بمشاعرهم وعواطفهم.. وعود وتسويف.. ومع مضي الوقت علمنا أنها لم تكن إلا أكاذيب وحيل ومماطلة لكسب الوقت والمال، وبقينا على هذه الحال حتى الحادي عشر من أيار عام ٢٠١٤، حيث خرج أحد المعتقلين من بلدة دير شرقي، كان في المعتقل ذاته الذي يقبع فيه حذيفة، وأخبرنا بنهاية رحلة طويلة من العذاب تعرض لها حذيفة في سجون الظلام الأسدي».

بملامح الحزن والقهر على وجه والد الشهيد حذيفة، لم تعد عيناه قادرة على الامتناع، بينما كان أخوه الصغير عبيدة عاجزاً عن الكلام، يرسل بصمته حنقه المكظوم.

وأما والدة حذيفة فكانت تحاول جاهدة أن تبقى صامدة أمام الحديث عن فلذة كبدها، بينما عبرت ملامح وجهها عما يملأ فؤادها، وبدت وكأن الأرض ضاقت بها، أو كأنها في عالم آخر ذهبت إليه بأفكارها بعيداً إلى الماضي، وهي تتلمس صورة حذيفة في بطاقته الشخصية، وتقلب تارةً أخرى جلاءاته المدرسية، وكأنها تريد أن تقول «أنا التي سهرت على راحته الليالي لأراه طبيباً»، دون أن تنسى أخاه الذي استشهد بعده، فهي أم لشهيدين.

بكى الأب شاباً خلوقاً طيب القلب، من الصعب على من عرفه أن ينساه فكيف بأبيه، وتكلم عن مدى حرقة قلبه، والحق الذي سلبه إياه هو وعائلته هؤلاء المجرمون، إذ استكثروا عليهم توديع أبنائهم ودفنهم، ليقول والدموع تتساقط من أسفل ذقنه إلى قلبه مباشرةً: «أن تدفن ولدك بيدك أهون بكثير مما أنا فيه.. أريد أن أعرف فقط أين قبر ابني وماذا فعلوا بجثته؟!».

ومن الحب ما قتل.. تهور ثائر الشهيد محمد إبراهيم الفضل

«ثمانية شبان لو أردت تعليق صورهم على الحائط لامتلأ، ثمانية من أبناء إخوتي فقدناهم حتى لم يبق في العائلة أي شاب على قيد الحياة».. بهذه الكلمات تحدثت عمتهم الخمسينية شقيقة إبراهيم الفضل عن شباب عائلتها الذين غابوا في السجون أو استشهدوا بغارات طيران، مسترجعة صورهم وأسماءهم وصفاتهم وهي تعاند دمعها بعد هذا الكم الكبير من الخسارات.

«ابن أخي محمد إبراهيم فضل من مواليد إحسم ١٩٨٩، أقاموا في دمشق بسبب عمل الأب في مجال السيارات، لكن بعد وفاة زوجته في عام ٢٠٠٩ متأثرة بمرض السرطان عادوا إلى إحسم».

تصف العمة شخصية الشهيد محمد بالقوة والعناد والجرأة التي تصل في كثير من الأحيان إلى حد التهور، منذ طفولته كان طفلاً مشاغباً وشقياً، وتذكر كيف كان يرمي باب المنزل بالحجارة حين يجبره والده للذهاب إلى المدرسة، لم يرأبوه جدوى من تغيير الباب إلا بعد أن كبر محمد وكف عن شقاوته.

في خدمته العسكرية كان يرفض الانصياع للأوامر وتعرض للسجن عدة مرات نتيجة لتمرده، ما كبد والده مبالغ مالية كبيرة يدفعها للضباط مقابل عدم التحاق محمد بقطعته العسكرية. أسمر البشرة ممشوق القامة ذو جسم رياضي قوي، التحق بالثورة من بدايتها وشارك

بالمظاهرات السلمية، كما شارك بحمل السلاح حين تسلحت الثورة، ما جعله هدفا رئيسا لقوات الأمن والنظام الذين حاولوا اعتقاله بشكل خاص عدة مرات فالتجأ إلى الجبل مع الكثيرين من الثوار.

تقول عمته إنه بالرغم من شخصيته القوية إلا أنه كان رقيق القلب وعاطفياً، فقد خاطر في إحدى المرات تحت ضغط شوقه لبلدته، بالدخول إليها رغم انتشار حواجز النظام في الطرقات، وعبر الأسطحة تمكن من الوصول إلى منزله، والجلوس على سطحه ليشرب المتة ويسخر من عناصر الحواجز القريبة.

وتضيف: «أتعبنا كثيراً حتى أقنعناه بمغادرة احسم وعودته للجبل، لا سيما تحت ضغط خوف اخته عليه من عملاء النظام والمخبرين أن يشوا به لقوات النظام الموجودة في البلدة».

اعتقاله

كان لمحمد حبيبة عاهدها على الزواج بها، تقطن في قرية جوزيف، وحدث أنه حين كان في قرية دير سنبل وكانت حينها معقلاً للثوار، أخبرته باتصال هاتفي بمحاولة أهلها تزويجها من شاب آخر، فقرر التوجه إلى أهلها لخطبتها برغم تحذير رفاقه من مغبة المخاطرة والدخول إلى قرية جوزيف الواقعة تحت سيطرة النظام، ومع عناده توجه إلى إحدى خالاته المقيمة في بلدة البارة في جبل الزاوية، التي رافقته بالفعل إلى قرية جوزيف وتمت خطبة الحبيبين.

بعد انتهاء الخطبة حاولت خالته أن تصحبه معها إلى البارة لكنه أحب أن يقضي ليلته في منزل خطيبته، ليتمكن أحد عيون النظام في جوزف بإبلاغ قوات النظام عن مكان وجوده، وفي الساعة الخامسة والنصف صباحاً من يوم ٢٠ آذار ٢٠١٢، اقتحموا المنزل واعتقلوه، وحين توسلت خطيبته لهم ليتركوه، صدها الضابط بقوله: «اقرئي الفاتحة على روحه».

تم إرساله إلى معسكر الموت في قرية إبلين، وهو مزرعة تم تسميتها بهذا الاسم نتيجة لقتل أغلب المعتقلين الذين دخلوها.

تروي العمة عن استشهاد محمد: «أبلغنا أحد الشبان الذين أفرج عنهم من مشروع الموت أن محمداً تعرض للتعذيب بوحشية، فقد تم سلخ ساعده الذي يحمل وشم «رضاك يا أمي»، كما قطعوا أنفه وعضوه الذكري، كما تعرض للحرق بالأسيد، ورغم ذلك لم يكن يطلب الرحمة منهم، مرددا صراخه «يا الله».

فارق محمد الحياة في ١٤ حزيران ٢٠١٤، قبل أن يقوم عناصر النظام برمي جثته مع اثنين آخرين على مزبلة أوساخ في قرية جوزف وهم عراة تماماً، كما منعوا اقتراب أحد منهم، وكل من حاول سحبهم كان يتم إطلاق النار عليه.

بقيت جثثهم عدة أيام في ذلك المكان القذر، وخاطرت أخته بالذهاب كي تتأكد من جثته، لكن وبعد تعرفها عليه لم تستطع إخراجه، ما تركها بحالة نفسية سيئة ما تزال تعاني منها

حتى اليوم.

ثلة من شبان القرية الذين لم يهن عليهم ترك الجثث على هذه الحالة قاموا بحفر ثلاثة قبور في غابة جوزف مخاطرين بحياتهم، ليتمكنوا بعدها من سحب الجثث ودفنها.

وما تنفك العمة حتى اليوم تذهب لزيارة قبره في الغابة، غير مصدقة أن حياة محمد الشاب القوي وصاحب الروح المرحة والطموح تنتهي بهذه الوحشية.

خسرت العائلة أخوين آخرين، أحدهما استشهد بقصف الطيران، واعتقل الآخر وانقطعت أخباره، بعد آخر زيارة قامت بها عمته له في سجن حلب المركزي، ومكالمة هاتفية معه أخبرها خلالها بأن قرار إخلاء سبيله تم توقيعه في ٢٠١٤، مؤكدا إطلاق سراحه في اليوم التالي وطالبا منهم البحث له عن عروس، لكن لم يخرج حتى اليوم.

أخبر أحد المفرج عنهم أنه تم تحويله إلى أمن الدولة في دمشق وبالرغم من مساعينا للوصول له، لم تعترف أي جهة بوجوده لديها وذلك منذ أربع سنوات مضت.

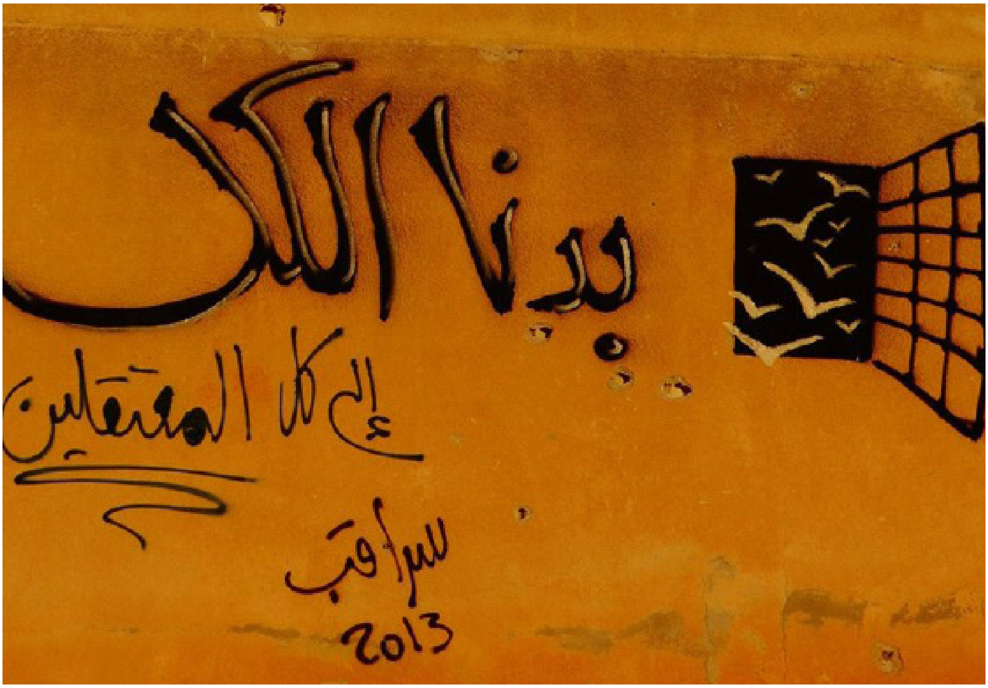

«كم تحمل من الوجع حتى مات بين أيديهم».. الشهيد محمد جمال أرسلان

«يا أمي.. أنا لا أحتمل صفعة واحدة، عندما كنت صغيراً، وكان والدي يضربني، كنت أرتدي الكثير من الثياب حتى لا أتوجع»، منذ بدء الثورة، كلما سمع عن شاب اعتقلته قوات النظام، كانت تلك جملته المعتادة لأمه، ربما كان يستعد بها لما هو آت، فمشاركته بالثورة وإيمانه بها جعلاه من ضمن قوائم المطلوبين للنظام.

وربما لم يكن النظام يعلم بنشاطه، كما لم يكن هو يعلم أنه سيكون أحد المعتقلين في يوم ما، ولكن أحد مخبري النظام المقربين من عائلته، كان سبباً باستشهاده واستشهاد ابن خالتهً أدهم، وفقاً لما تقوله عائلته.

الشهيد «محمد جمال أرسلان» مواليد عام ١٩٩٢، ابن بلدة الجانودية بريف جسر الشغور، كان طالباً في كلية التربية بجامعة تشرين في اللاذقية، وسيمٌ ومَرِح، لا يعرف الحقد أو الكره، يعشق السياحة والسفر وبناء العلاقات.

عشقَ الثورة، وبدأ يحرض الجنود على الحواجز القريبة من مكان سكنه على الانشقاق، ويؤمّنهم في منزله ريثما يتم مساعدتهم للوصول إلى بلداتهم.

تقول صديقة محمد وملامح الحزن بادية على وجهها: «كان محمد شاباً رائعاً وطموحاً، ولكنه مندفعٌ ومتحمسٌ إلى حد التهور، لم يكن يحسب أي حساب لسلامته، كان واثقاً من نفسه ومؤمناً بثورته، إنه خسارةٌ فعلاً».

اعتقال محمد واستشهاده

كونه الشاب الوحيد لوالديه، كان معتاداً على محادثة أمه يومياً، ولكن على غير عادته مرّ يومان ولم يأتِ فيهما محمد إلى المنزل، ولم يتصل بعائلته، التي انتابها القلق، فما كان من أمه إلا أن ذهبت إلى جامعته لتسأل عنه، فأخبرها زملاؤه أن فرع أمن الدولة اعتقل محمداً في الثامن والعشرين من شباط ٢٠١٢.

نزل الخبر على رأسها كالصاعقة، فتوجهت للبحث عنه، وبدأت تتصل ببعض الضباط وتتفاوض معهم لإطلاق سراحه، ودفعت الكثير من المال دون جدوى، ثم أبلغوها بأن محمداً قد حوِّل إلى دمشق.

لم يكن والده قادراً على الذهاب بمفرده إلى الشرطة العسكرية في دمشق، كان هول المصيبة قد أفقده الشجاعة، إلى جانب خوفه الشديد من سماع أخبار سيئة، فحاول الهروب منها ومن المجهول، ولكن لا مفر، فقد وصل النبأ الأول باستشهاد ابن خالته الذي اعتقل قبله بأيام قليلة، فلم يعد للصبر مكان، ومهما كانت النتيجة لا بد من الذهاب إلى دمشق.

تتحدث خالته أم أدهم بقلب محروق عليه وعلى ابنها فتقول: «في عام ٢٠١٥، وبعد أن علمنا باستشهاد أدهم، ذهبت ابنتي برفقة زوج خالتها أبي محمد إلى دمشق، مخاطرين بحياتهما أملاً بالوصول إلى محمد، وبدأا بالسؤال عنه، وصلوا إلى القابون وكانت النهاية».

أضافت خالة الشهيد «محمد» وهي تحاول تمالك نفسها: «في القابون أخبروا ابنتي أن محمداً استشهد، وأن جثته في البراد بمشفى تشرين العسكري بدمشق، وأعطوها ورقة تحويل للمشفى كي تحصل على شهادة وفاة له».

خرجت ابنة خالة الشهيد محمد من مقر الشرطة العسكرية في القابون، وكان والد محمد بانتظارها في الخارج، ينتظر أن تخبره بنبأ يطفئ نار قلبه، كانت الورقة في يدها، والغصة واضحة على صوتها، إلا أنها لم تقوَ على إخباره بما عرفته، كما لم تتجرأ على الذهاب إلى المشفى.

سألها زوج خالتها عن الورقة فأجابته بأنهم طلبوا إليها مراجعتهم بعد شهر، خوفه من الورقة، وأمله بحياة ابنه منعاه من قراءتها، عادت ابنة خالة محمد إلى البلدة برفقة أبيه، وأبلغت الجميع باستشهاد محمد، بحسب خالة الشهيد محمد التي أضافت وهي تبكي:
«طوال مدة سجنه كانت عائلته تصارع لإنقاذه من بين براثن الموت، إلى أن كانت بداية عام ٢٠١٥، حيث استقر به المطاف في براد مشفى تشرين العسكري، ولم تعد جثته، كما لم يقوَ أحد على الذهاب لإحضار شهادة وفاته».

أجهشت خالة الشهيد «محمد جمال أرسلان» بالبكاء وهي تتساءل: «يا قلبي كم تحمّل من الوجع حتى مات بين أيديهم؟!».

نصادق على ما ورد في التقرير الطبي من عنف وشدة

الشهيد محمد خير الدين عبيد

«شوهد على المغدور آثار العنف والشدة حيث توجد عدة سمجات على الطرف الأيسر من الوجه الوجنة اليسرى، وكدمات على الوجه الداخلي للشفة السفلى، وكدمات واسعة متعددة على الكتف الأيمن والعضد الأيمن من الناحية الوحشية والخلفية، ومن الناحية الخلفية للظهر بكامله كدمات واسعة أسفل الخاصرة اليسرى، وكدمتان دائريتان على شكل سوارين على المعصمين، وكدمات على ظهر اليدين اليمنى واليسرى، وكدمة على الإصبع الرابع والخامس والثالث لليد اليسرى، وكدمة صغيرة رضيّة على رأس القضيب، مع وجود كدمتين على الوجه الأمامي السفلي للخصيتين».

«نصادق على ما ورد في التقرير الطبي من أوصاف ومشاهدات وشدة وعنف، ونضيف لدى معاينة المغدور محمد خير عبيد وجود شحوب شديد في ملتحمة العينين، يعود ذلك إلى النزف الهضمي العلوي، وإصابته كذلك بتناذر هرمي مع قصور كلوي حاد وانقطاع للبول، وعليه فإن سبب الوفاة هو النهي العصبي الناجم عن الصدمة الألمية بسبب الرضوض».

شاب وسيم أشقر بعيون بنية وشعر خرنوبي، ذو لحية خفيفة وشارب، من مواليد السادس من كانون الثاني عام ١٩٨٤، طوله ١٨٥ سنتيمتراً، نحيل الجسم، سبّاح ماهر، ومولع بركوب الخيل، خريج كلية الشريعة، والداعية في مساجد إدلب، والموظف لدى مديرية الصحة.

محضر ضبط كشف وخبرة طبية ثلاثية، تقرير الطب الشرعي واللجنة الطبية، شهادة جامعية،

صور شخصية، وصورةٌ محفوظةٌ بالذاكرة لجثةٍ هامدة، بعيدة كل البعد عن الصور المطبوعة والمحفورة في القلب والعينين.

بين تلك الأوراق والصور المنثورةِ أمامه، وبين تلك الصورة التي لا يمكنه نقلها إلى الورق سوى عبر الكلمات، تاه أخو الشهيد «محمد خير الدين عبيد»، وهو يجري المقارنة، لم تسعفه الكلمات، ولا تكفه التقارير المكتوبة لوصف ما رأته عيناه، إذ لا يمكن لأي جمال أن يمحوَ قبحَ ما اقترفته أيديهم، وبعد رؤيته جثة أخيه على ذلك النحو، وقراءته تلك الأوراق كلها، وما سبق مقتطفات بسيطة منها، إذ تعطي التقارير وصفاً شاملاً أكثر مما ذكر، لم يعد للحياة عنده أية بهجة.

الاعتقال

في ١٦ آذار عام ٢٠١٢، داهمت مجموعة من عناصر فرع الأمن العسكري بإدلب منزل خال الشهيد «محمد خير الدين عبيد»، واعتقلا معاً، وبعد ثمانية عشر يوماً أُفرج عن الخال ليبقى محمد في سجون الفرع، وطوال هذه المدة لم يتم استجواب محمد على الإطلاق، وفقاً لما نقله شقيق الشهيد عن خاله.

كانت عائلة «محمد» تعمل قبل إخلاء سبيل الخال للوصول إليه، ولم تكن تعلم أنه موجود في فرع الأمن العسكري، ولكن وضع إدلب كان صعباً جداً نتيجةً لاقتحام الجيش للمدينة، ما حال دون أن تتمكن أُسرة محمد من إنقاذه قبل فوات الأوان.

بعد ٢٢ يوماً فقط من اعتقاله، حوِّل محمد إلى مشفى ابن سينا وهو بحالة صحية سيئة بسبب التعذيب الذي تعرض له، وكان صديق محمد يعمل ممرضاً في المشفى.

صُدِم الممرض عندما رأى صديقه بتلك الحال، ولم يستطع أن يخفي معرفته له وتأثره بحاله، فتم تهديده بإلحاقه به إذا أخبر عائلته، فلم يجرؤ على التفوه بكلمة، واكتفى بالاهتمام بصديقه، وبدل له ثيابه، وبقي «محمد» في المشفى من الصباح حتى العصر، حيث كان قد استعاد عافيته قليلاً، فعاد عناصر الأمن لاصطحابه إلى الفرع، ليعيدوه بعد الفجر وقد فارق الحياة، وكان ذلك في الثامن من نيسان عام ٢٠١٢.

لم يعد للصمت مجال مهما كان الثمن بالنسبة للمرض والصديق، فما كان منه إلا أن أبلغ عائلة «محمد» باستشهاده، وبأن جثته موجودة في الطب الشرعي، علّهم يحصلون عليها، بحسب أخي الشهيد «محمد»، الذي ساعده عمله كمحامٍ، ومعرفته لجميع العاملين في سلك القضاء على التحرك الفوري.

وأضاف شقيق الشهيد الذي كان يعاني صعوبة في استعادة ذكرياته عن أخيه، واسترجاع تلك الصورة:

«ذهبت إلى الطب الشرعي وتأكدت من وجوده، وقد كان ظاهراً للعيان آثار التعذيب الشديد التي تعرض له، وواجهتنا صعوبات في الحصول على جثته لأنهم رفضوا تسليمنا إياها، ولكني

قمت بالتواصل مع أحد القضاة وحاولت جاهداً لاستلام الجثة، واتفقت معهم على استلامها شريطة القول: إن العصابات المسلحة هي من قتلته، ولدى خروج جنازته كان الجيش يحيط بنا حتى لا تتحول جنازته إلى مظاهرة، فأخي كان رجل دين محبوباً لدى أهالي مدينتنا، وقد تأثر الجميع بنبأ استشهاده تحت التعذيب».

كان الخبر قاسياً جداً على عائلة الشهيد «محمد»، ولا سيما على والدته التي فقدت وعيها عند سماع الخبر، وعانت على إثره من حالة نفسية صعبة، ولم تكن حال زوجته التي لم يكن قد مضى على زواجهما سوى خمسة أشهر فقط بأفضل من حال والدته، أما الأخ الذي شاهد جثة أخيه فما يزال يعاني من تلك الصورة حتى اللحظة.

وما تزال مكتبة «محمد» الغنية بالكتب، وصوره، وثيابه كلها في مكانها، ولا يمر يوم على عائلته دون أن تتحدث وتُحدث عنه، وتعير كتبه لكل من يطلبها، كي لا يُنسى الشاب الودود الطيب القلب والخلوق، الذي حمل فكراً مميزاً، وابتسامةً دائمةً في وجوه الجميع.

في سجنه، وفي عزّ محنته، كان محمد يهتم بمن معه في الزنزانة، ويُخفّف عنهم آلام السجن والاضطهاد الذي كانوا يلاقونه، ويدعوهم للصبر والثبات، بهذا ختم شقيق الشهيد حديثه بما علمه من أحد المعتقلين المفرج عنهم، وقد رافق الشهيد «محمد خير الدين عبيد» في سجنه.

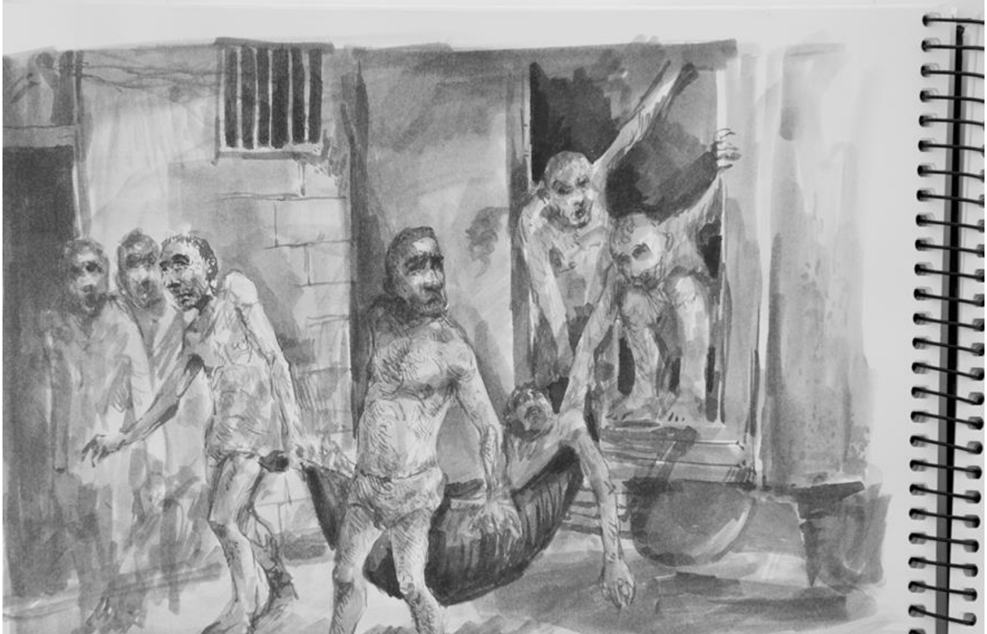
من لوحات الفنان نجاح البقاعي

حرموني حتى من قبر له.. الشهيد أحمد خالد عباس

كانت صوره كما مصنوعاته الفخارية التي كان قد اعتاد صنعها بإتقان، وخط عليها حروفه بتميّز، موزعة في كل أرجاء المنزل، وكأن عائلته تريد إبقاء كل ما له صلة به حياً، ما يوحي لها أن أحمد ما يزال موجوداً بينهم.

منذ صغره وهو مثال للهدوء والاتزان وطاعة الوالدين، وكان قد تخرج من الكلية الحربية - كلية المدرعات في حمص عام ٢٠١١، لكنه نتيجةً للثورة وما رافقها من أحداث وعدم تسريح العسكريين، لم يتمكن من رؤية هدية تخرجه التي أراد والده أن يفاجئه بها، قبل أن يتفاجأ هو باعتقال أحمد ومن ثم باستشهاده في سجون النظام.

وُلد أحمد خالد عباس ابن مدينة كفرنبل في ٣ آب عام ١٩٩١، درس في مدينته إلى أن التحق بالكلية الحربية في حمص، وتخرج منها برتبة ضابط.

لدى أحمد أخوان، أحدهما لحق بأحمد واستشهد بعده بأشهر، وأخفى معه سر استشهاد أخيه أحمد، الذي ظهر لاحقاً، أما الثالث فيبلغ من العمر الآن ١٦ عاماً، ولا يرفع ناظريه عن شاشة هاتفه الجوال التي خصص خلفيتها لصورة أخويه.

بيدين مرتجفتين ونظرات حائرة تحاول التستر بتجهيز لفافة من التبغ، وبصوت يكسوه الانكسار وتخفيه الغصة بين حين وآخر قال والد أحمد:
«لا أذكر أن أحمد قال لي يوماً لا عن أي طلب طلبته منه، كنت أنتظر تخرجه بفارغ الصبر وقد اشتريت له سيارة كهدية، وأردتها أن تكون مفاجأةً له حين يعود للبلدة متخرجاً، ولم أكن أعلم أن مفاجأتي ستكون اعتقاله وأنه لن يرى سيارته أبداً».

صمت الوالد طويلاً وهو يشعل لفافته وتنهد بحسرة أعوامه التي تجاوزت الستين تاركةً على وجهه خرائط من القهر والحزن لخسارة ولده ثم قال: «اعتقل أحمد في ٢٥ أيار عام ٢٠١٢، أثناء وجوده في الكلية الحربية بعد أن استلم قرار فرزه إلى إحدى المدن السورية، فقد كان برتبة ضابط، واكتشف أمره مع اثنين من زملائه يخططون للانشقاق عن الجيش، وللأسف استشهد ثلاثتهم تحت التعذيب»، مضيفاً:
«كان أحمد يتحدث إلي عبر الهاتف بين حين وآخر، وفي إحدى المرات أخبرني أنه يتوقع اعتقاله من قبل قوات النظام بعد شكوك راودتهم عن نيته بالانشقاق، وبعد هذا الحديث اعتقل ورفاقه، وبذلت جهدي لأنقذه من السجن، لم أترك محامياً إلا وطلبت منه مساعدتي، إلا أنني لم أحصل على نتيجة، عرضت مبالغ كبيرة على كل من وصلت إليهم من محامين وضباط مقابل إطلاق سراحه لكن دون جدوى».

بقي والد أحمد على هذه الحال قرابة عامين يتأمل مع عائلته عودة ابنهم في أية لحظة، دون أن يعلموا باستشهاده، قبل عام، سئم والده الانتظار، ويئس من سلامته، فما كان منه إلا أن توجه في عام ٢٠١٤ إلى دمشق للبحث عن ابنه، وبعد عشرين يوماً من البحث والتنقل من فرع أمنيٍّ لآخر، حصل والد أحمد من أحد تلك الفروع على «رقم» لم يكن يعلم أنه رقم النهايةً.

يقول «خالد عباس» والد أحمد: «أعطوني رقماً وطلبوا مني مراجعة الطب الشرعي، وهناك أخبروني أن أحمد توفي منذ عام، فقد كان قد مر عامان على اعتقاله حين ذهبت إلى دمشق لأدرك أنه متوفى منذ عام مضى، كانت لحظات قاسية جداً، فقد كنت أتمنى أن أعود لعائلتي ومعي خبر يفرحهم، ولكن صدمتي كانت أنني تأكدت من وفاته حين سلموني وثيقة تثبت وفاته في عام ٢٠١٣»، مضيفاً: «في تلك اللحظات كان الموت أخف وطأةً علي من الخبر، فأنا الذي عشت عامين على أمل أن أراه، لأصدم أنه قد قتل تحت التعذيب وأخفيت جثته، لقد حرموني حتى من جثته ومن أن يكون لديه قبر».

«عدت إلى كفرنبل، وأعلنت نبأ استشهاده، وكان ولدي الثاني قد استشهد أيضاً في إحدى الغارات الجوية على المدينة، لأتفاجأ بأنه وحده كان على علم باستشهاد أحمد، وأصر على إنكار الأمر وعدم إبلاغنا به، أخبرني صديقه بذلك».

غاصت الكلمات في قلب والد أحمد تحت وطأة بكائه ولديه، ثم رفع رأسه قائلاً:

«رغم كل حزني إلا أنني أفتخر بهما، فقد كان ولداي رجلين استشهدا في سبيل هذه الثورة».
كان الأب يرسل نظراته خلف سحب الدخان التي ينفثها بتوتر واضح، وهو يراقب ابنه البالغ ١٦ عاماً، وقد احمرت عيناه من البكاء، وهو يصغي لحديث والده عن شقيقه الأكبر، فأضاف الأب قائلاً: «توجعني ذكرياتي عنه، وفراغه الذي تركه في المنزل وفي حياتي، ويؤلمني الحزن بين أهل بيتي، فولدي هذا، يضع صورة شقيقيه اللذين استشهدا خلفية على هاتفه، ويطيل النظر إليهما، وقد طلبت منه أن يمحو هذه الصورة، لأنها سبب في حزنه الدائم وصمته، ولديّ قناعة بأنه لا فائدة من تعذيب أرواحنا بصورهما ونحن واثقون أنهما لم ولن يعودا».

علا صوت بكاء والد أحمد على صوت كل الكلمات، أحنى رأسه للأسفل، وغرق في نشيجه مع ولده اليافع، ليعود ويتابع: «لقد كان أحمد من أنبل الشباب»، ثم استدرك قائلاً:

«أعلم أن شهادتي به مجروحة، ولكن كل من في المدينة يشهد على نبل أخلاقه وحبه لأهله وأهل بلده».

«نعم لقد كان أحمد من أجمل الشباب وأفضلهم خلقاً في المدينة، يحب مساعدة الآخرين، وقد كان مبدعاً في الرسم وصناعة الفخار والرسم عليه، كانت هذه هوايته المفضلة»، قالها أحد الحاضرين من أبناء مدينة كفرنبل مقاطعاً والد أحمد، وخاتماً لحديثه.
ربما كان والد أحمد يواسي ابنه المتبقي معه، ناسياً أنه هو نفسه كان قد وزع صور أحمد ومصنوعاته الفخارية في أرجاء المنزل.

«محمد صالح الشمروخي.. كيف هي السماء؟»

لعل العبارة التي كتبت على أحد جدران سراقب الفرعية والمنسية «محمد صالح الشمروخي.. كيف هي السماء» تختصر علاقة الشمروخي ابن الخامسة والعشرين عاما بأهل مدينته سراقب ونظرتهم إليه، كما وتوحي تلك الكلمات بهالة التقدير التي يكنها الشارع الثائر لشهيد عاش ثورته، وقضى وهو نقي على مبادئها.

هادئ رزين، ذو أدب وخلق وذكاء، ونظرة عميقة وبعيدة للثورة التي آمن بها سلمية وعادلة ومحقة، وهي ما جعلت منه اسماً يصعب نسيانه في السنوات اللاحقة المليئة بالفوضى.

تقول معلمته في المرحلة الابتدائية: إنه لم يكن طفلا عادياً، فقد حاز فضلاً عن عينين بنيتين واسعتين، فصاحة اللسان، وملكة اللغة، وهو ما برز فيما بعد بهتافاته السلمية في الثورة، جامعاً حوله الصغار من أبناء الحي الذين أحبوه لرقته ولطافته، معلماً لهم تفضيل الحق ومحاربة الظلم مهما بلغت كلفته.

ولد محمد صالح الشمروخي في مدينة سراقب في ١٤ أيار ١٩٨٧، دفعه ميله للشعر لدراسة اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة حلب، وشارك في أولى المظاهرات التي اندلعت في سورية، ورغم كراهيته المعلنة للسلاح ورفضه الصريح لتسلح الثورة إلا أن ذلك لم يمنع النظام السوري من وضع اسمه على قائمة المطلوبين في وقت مبكر، وفي الشهور الأولى للثورة.

كان يوم الثامن والعشرين من آذار ٢٠١٢ يوما حاراً، حين عثر الأهالي على جثة محمد مرمية في إحدى المقابر، وقد شوهها التعذيب الذي تعرض له خلال أيام قليلة من اعتقال قوات النظام له بعد اقتحامهم مدينة سراقب قبل ثلاثة أيام في ٢٥ من الشهر نفسه.

تروي والدة محمد التي ما تزال تعيش حالة الفقد الشديد وكأن ابنها قد استشهد للتو، إنها حين كانت تمسح جسد ابنها النحيل بعدما جلبوه لها، وجدت وجهه قد تشوّه كما كُسرت يده مضيفة:

«رفض محمد مغادرة سراقب كما فعل معظم شبان المدينة الذين خرجوا في ذلك اليوم خوفاً من الاعتقال، مجيباً على نصيحتي بالخروج بأنه لا يستطيع ترك مدينته مهما كانت الأسباب».
وتضيف الأم الثكلى: «بعد دخول عدد من عناصر قوات النظام منزلنا، التجأ محمد إلى منزل جيران لنا فيه حديقة واسعة وأشجار وأعشاب طويلة مكنته من التواري بينها، وبعد تفتيش منزل الجيران ومغادرتهم، جمع الجنود عدداً من شباب الحي ووضعوهم على أحد الجدران مهددين بإطلاق الرصاص عليهم».

تكمل أم محمد قصة استشهاد ابنها: «خاف محمد على شباب حارته وأراد أن يلقي نظرة عليهم، فخرج من مخبئه وعندها رآه الجنود فاعتقلوه واصطحبوه إلى أحد منازل الحي الذي حولوه لثكنة عسكرية لهم يجمعون فيها المعتقلين».

بعد أن عرفوا أنه أحد المطلوبين لهم لمشاركته بالمظاهرات عذبوه بشدة، وكان أهالي الحي يسمعون صوته، وهو يرفض تأليه بشار، مصراً على وحدة الخالق، ليستشهد بعد ثلاثة أيام».
وتردف: «أذكر أنه زاد قلقي في ذلك اليوم، إذ لم أكن قادرة على المكوث بمكان، وأشعر أني أكاد أختنق، حين نادى الجيران علي واصطحبوني إلى منزل شقيقي، أخبروني هناك أنهم وجدوا جثة محمد ملقاة في المقبرة».

كانت رجله مكسورة والآثار واضحة على جسمه، وتدل على وحشية تعذيبهم لهم، لم يتحمل بين أيديهم سوى ثلاثة أيام ليفارق الحياة.
تغرق الأم بالبكاء وهي تردد:
«كان وجهه مشوهاً جداً، هذا الشاب الجميل لم يكن يستحق ذلك أبداً لقد كان جميلاً ووديعاً، ولا يحب العنف والظلم».

لم تجد الأم ما يخفي توترها سوى دمية صغيرة تحركها بين يديها، هي لطفلة صغيرة تجلس بجوارها قالت: إنها ابنة صديقه التي أحبها كثيراً «ها قد صار لديهم أولاد بينما هو انتهت

حياته بأبشع طرق القتل».

كان محمد متحمساً لاستكمال تعليمه، له شخصية قوية وجريئة مع ثقة بالنفس، يمتلك موهبة قيادية منذ صغره، فلم يكن يخاف أن يتحدث على مكروفون المدرسة بكل طلاقة.
لم يحتمل الوالدان غيابه، ولم يستطيعا أن يسدا النقص في حياتهما، كما عجزا عن النظر في عيون بعضهما تجنباً للبكاء، ورغم محاولة والده المكابرة على جرحه إلا أنه توفي بعد عام ونصف كمداً وحزناً.

ما زالت أم محمد تحتفظ بأشيائه البسيطة: كتبه، دفاتره، كنزته الصوفية المنسوجة بألوان علم الثورة، صندوق ذكرياته المحبب إليه، كما ما تزال تراه في زوايا المنزل يقرأ ويضحك، تضع صورته على برامج التواصل في هاتفها النقال، كرهت المنزل وغادرته لفترة طويلة بعد عجزها عن البقاء فيه بدونه.

وضعت أم محمد في نهاية حديثها يدها على رأس الطفلة الصغيرة بجوارها وغطت عينيها بيدها الأخرى وتوقفت عن الكلام.

ابني وابن أخي في لحظة واحدة
الشهيد محمد سعيد الجمعة

«ولدي من مواليد عام ١٩٩٤، التحق بالجامعة في عام ٢٠١٢، كان يدرس في كلية التربية بدمشق»، للوهلة الأولى قد تبدو هذه الكلمات عادية، لكنها عندما تكون من أب مكلوم بولده، فهي تختزن الكثير، بينما يأبى صوت بكاء الأم إلا أن يعلن، مترافقاً بصرخاتِ قلبها الملوّع، «آخ.. آخ..».

«كم كان يحب الشام ويحب الدراسة، ويعشق الرياضة، كان يلعب كرة القدم في أحد النوادي الرياضية.. يا روحي يا محمد»، قالتها أم محمد وصمتت.

«كان يتميز بطوله، البالغ نحو مترين، عندما كان في المدرسة، طلبوه لينضم إلى منتخب سورية الدولي لكرة السلة، ورغم معرفتي بحبه للرياضة، إلا أنني رفضت ذلك، وطلبت منه الاهتمام بدراسته، ولاحقاً اختار كرة القدم، لقد كان هادئاً متّزناً، أبيض الوجه، لا تفارقه الابتسامة» قالها والد محمد، ثم أضاف:
«منذ استشهاده وحتى اليوم، لم نعرف طعم الحياة، ففي كل لحظة نحيا غصة فراقه، وننظر بحرقة إلى خزانته وأشيائه وصوره».

قالت الأم، وهي تواصل نحيبها: «لا أقوى على النظر إلى صورته، وكلما شاهدتها أشعر بالنيران تحرق قلبي، وأعياني المرض، لم يعد للحياة معنى بعد غيابه».

اعتقل «محمد سعيد الجمعة» في خريف عام ٢٠١٣، قرب كلية التربية بدمشق، بعد خروجه من قلب مظاهرة مع ابن عمه الذي كان قادماً من بلدتهما الغدفة لزيارته.

اعتقلت قوات النظام محمد وابن عمه اللذين شاركا معاً في المظاهرة، ليتشاركا لاحقاً المصير، وهما الطالبان الجامعيان اللذان اعتادا الخروج كل بمفرده في مظاهرات جامعته، وتشاء الأقدار أن يعتقلا في أول مظاهرةٍ ترافقا فيها.

إحدى زميلات محمد في الجامعة، أبلغت عائلته باعتقاله مع ابن عمه، فكانت الكارثة بالنسبة للعائلة، ونظراً لاعتقال الشابين في دمشق، وإقامة عائلة محمد هناك، فقد تولى والد محمد مهمة

البحث عن ابنه وابن أخيه، ولينتهي به المطاف في منتصف تشرين الثاني عام ٢٠١٤ مع بطاقتين شخصيتين وشهادة وفاة لم يكن يتمنى أن يراها في حياته.

يقول «سعيد الجمعة» والد الشهيد محمد: «راجعت العديد من الأفرع الأمنية للسؤال عن ابني محمد وابن أخي.. في فرع الشرطة العسكرية أعطوني ورقة لمراجعة مشفى المجتهد، وبعد البحث في سجلات المشفى، فوجئت باسم ابني وابن أخي، وقد استشهدا بعد اعتقالهما بأربعة أشهر، لم أعرف ما الشعور الذي انتابني حينها، وعلى من أحزن، إنهما ابني وابن أخي».
صمت والد الشهيد محمد، وكأنه يعيش تلك المشاعر هذه اللحظات لأول مرة، ليعود ويواصل حديثه:
«كانت زوجة أخي عندي في دمشق، وقد جاءت تريد التوصل لخبر يبرد نار قلبها، وكانت تنتظرني في المنزل علّني أحمل لها ذلك الخبر الذي تريده، ولكن ماذا عساي أن أفعل، وبماذا أخبرها، وهي التي تتأمل غير ما وصلت إليه».

بدا والد محمد كمن يحدث نفسه، ويستعيد حيرته تلك، وتوتره في ذلك اليوم، ليستطرد قائلاً:
«عدت إلى المنزل، وحاولت ألا أظهر لزوجتي وزوجة أخي أيّ شيء، وتذرعت بخيبة أملي لعدم توصلي لنتيجة، ثم ذهبت إلى باب مصلى، وأحضرت شهادة وفاة لابني، ومن ثم توجهت برفقة العائلة إلى الغدفة، وبعد وصولي أخبرت الجميع بنبأ استشهاد محمد وابن أخي بسيم، وسلمت هويته لأهله، وأقمنا عزاء لهما، كانت أياماً عصيبة، أتمنى ألا تمر على أحد».

أجهش والد الشهيد «محمد سعيد الجمعة» بالبكاء وهو يردد: «لقد حرقوا قلبي.. ابني وابن أخي في اللحظة نفسها».

«قولوا لإخوتي يديروا بالهن على أولادي».. الشهيد خالد عز الدين نجم

«هاد مو أبو عمار، هاد نحيف كتير، أبو عمار كان سمين، يا الله شو عاملين فيه»، كانت تلك الكلمات التي ظلٍ يرددها صديق الشهيد «خالد نجم» على مدى الأيام الثلاثة التي بقيت فيها جثة الشهيد ملقاةً في أرض الزنزانة وسط المعتقلين، بانتظار أن يكتمل عدد جثث الشهداء، وتصبح عشر جثث لإخراجها من المعتقل.

الشهيد «خالد عز الدين نجم»، الملقب «أبو عمار»، من مواليد ٥ كانون الثاني ١٩٧٦، متزوج وله خمسة أطفال، ولد واحد وأربع بنات، كانت وصيته الوحيدة قبل استشهاده العناية بأولاده، الذين من أجلهم كان يعمل طوال الوقت في أرضه الزراعية، وينقل منتجات تلك الأرض ومحاصيلها بسيارته إلى الأسواق، لتأمين حياةٍ كريمة لهم.

الاعتقال والاستشهاد

في ١٧ أيلول عام ٢٠١٢، كان «أبو عمار» في طريقه إلى دمشق لبيع ما جناه من أرضه الزراعية في السوق، وعند وصوله إلى حاجز «حسيا» بمحافظة حمص، اعتقل وحجزت سيارته بما فيها، طلب إلى الحاجز السماح له بإجراء مكالمة هاتفية، وبالفعل اتصل بعائلة زوجته الذين يقيمون في حمص.

توجه بعض أفراد عائلة الزوجة إلى حسيا مباشرةً، لكنهم لم يجدوا صهرهم «خالد»، كانت سيارته ما تزال موجودةً عند الحاجز، فأبلغهم عناصر الحاجز بأن السيارة حُجزت بغرض التعبئة للجيش، في حين نقل خالد إلى فرع الأمن العسكري في حمص، عندها قام أهل الزوجة على الفور بتوكيل محامٍ للدفاع عنه، والاستعانة بمسؤولين في الجيش، تمكنوا عن طريقهم من التأكد بوجوده فيٍ الفرع، والاطلاع على ملفه بعد ثلاثة أيام من اعتقاله، ولكن المفاجأة كانت بأن «خالد» متهم بتمويل الإرهاب، وليس هذا فحسب وإنمًا بتوقيع خالد على التهمة واعترافه بالإكراه عليها.

حاولت عائلة خالد وعائلة زوجته بكل الوسائل منع نقله من حمص إلى دمشق أو غيرها، ودفعوا مبالغ مالية كبيرة، ولكن دون فائدة، فبعد أربعين يوماً من اعتقاله في حمص نقل إلى دمشق، وعلمت عائلته عبر أحد المعتقلين بأنه في دمشق، وأنه بقي في سجن دمشق أربعين يوماً أيضاً، ليستشهد في أوائل كانون الأول من العام نفسه، أي بعد ثمانين يوماً من اعتقاله دون أن تعلم عائلته بذلك.

لم يطُل الأمر كثيراً، إذ بعد مرور ثلاثة أشهر ونصف على اعتقاله، وفي الرابع من كانون الثاني عام ٢٠١٣ بالتحديد، خرج معتقل من أبناء مدينة خان شيخون، وأبلغهم باستشهاد خالد من شدة التعذيب الذي تعرض له.

تقول زوجة الشهيد «خالد عز الدين نجم»: ودموعها تسبق كلماتها، «بعد استشهاد خالد وصل إلى السجن ذاته صديقه وابن مدينته خان شيخون، وعندما علم زملاؤه بأنه من المدينة نفسها أخبروه باستشهاد معتقل من أبنائها، وقالوا له اسمه ووصيته، فهرع صديقه ليتأكد من الخبر، وكانت صدمته حين رآه بذلك الشكل الذي كان عليه»، وأضافت الزوجة وصوتها يزداد اختناقاً:
«انهار صديق زوجي أمام المعتقلين، وبدأ يردد: هاد مو أبو عمار، هاد مو أبو عمار، هاد نحيف كتير، أبو عمار كان سمين، يا الله شو عاملين فيه يا الله»، ثم توقفت عن الكلام لفترة قبل أن تتابع:
«كان خالد مصاباً بمرض السكري، وخلّف التعذيب والضرب الشديد الذي تعرض له جروحاً في جسده، ما لبثت أن التهبت وتحولت إلى دمامل وظهر فيها الدود، نتيجة لوضع المعتقلات وعدم معالجته أو نقله إلى المستشفى، فأصيب بحمى شديدة جداً، دخل على إثرها بغيبوبة لمدة ثلاثة أيام، كان يستيقظ فيها لبضع دقائق يردد خلالها وصيته أمام زملائه:
«قولوا لإخواتي يديروا بالهن على أولادي»، ثم يفقد وعيه مجدداً».

استشهد خالد بعد ثلاثة أيام من إصابته بالغيبوبة، وبقيت جثته في الزنزانة ثلاثة أيام أخرى، إذ كانوا يجمعون جثث الشهداء حتى يصل عددها عشرة ثم يخرجونهم، وظل صديقهُ طوال الأيام الثلاثة ينظر إليه غير مصدقٍ ما يراه، هل يعقل أنه تبدل بهذا الشكل وفقد حياته خلال ثمانين يوماً؟، وفقاً لما نقلته زوجةُ الشهيد «خالد نجم» عن صديقه المعتقل السابق.

«كان مثالاً للأب الحنون المتفهم لأولاده، وكان خبر استشهاده صعباً جداً علينا، وتعرضت ابنتي الصغيرة على إثر الصدمة لأزمةٍ نفسيةٍ، مازالت تخضع للعلاج منها حتى الآن، في حين ما يزال إخوتها الأربعة يشعرون بالنقص، ودائماً هناك غصة عندهم، ولاسيما عندما يجتمعون مع العائلة، لقد ساندتنا عائلتي وعائلة زوجي، وعملوا بوصيته، ولكن بالرغم من ذلك أولادي يفتقدون له ويحتاجون لوجوده، ولا أملك سوى أن أقول لهم:
إن الله أحبه واختاره شهيداً إلى جواره، وإننا سنجتمع معه في الجنة، وأنا أذكره دوماً أمامهم في البيت وفي دعواتي، فقد كان خير زوج لي، وخير أب لأبنائه»، بهذه الكلمات ختمت زوجة الشهيد «خالد عز الدين نجم» حديثها، لتَنفرد بنفسها مع ذكرى زوجها وصوره التي تملأ المنزل.

اعتُقل أمام موظفي الأمم المتحدة
الشهيد محمود أحمد حزاريني

إن كان ملايين السوريين قد قتلوا على مرأى وأسماع العالم كله، وأولهم دعاة الإنسانية وحقوق الإنسان المزعومين، والمنظمات الدولية التي لطالما ادعت مناصرتها للمظلومين فلم يخرج عنها سوى أرقام لقرارات على الورق، فليس من الغريب أن يعتقل شخص أو عشرات الأشخاص أمام موظفي تلك المنظمات.

أجبره الجوع والحصار على مدى ٢٥ شهراً، أن يتجه لاستلام سلة إغاثية قد تسدّ رمق عائلته لبضعة أيام، وذلك بعد سقوط أكثر من ٢٠٠ شهيداً بسبب الجوع والحصار في مخيم اليرموك، حيث كان يقطن ابن قرية حزارين منذ عشرات السنوات.

بينما كان «محمود أحمد حزاريني» في ساحة الريجة وسط مخيم اليرموك في تموز عام ٢٠١٥، ينتظر أن يحصل على سلة إغاثية من الأمم المتحدة، قامت قوات النظام باعتقاله، ومن المعروف أن معتقلي جنوب دمشق يتم تحويلهم إلى فرع الأمن الموجود على المتحلق الجنوبي، والمعروف باسم «فرع فلسطين»، الذائع صيته حتى قبل بداية الثورة السورية بسنوات طويلة، وكان اسمه كافياً ليدبّ الرعب في نفس كل من يسمعه.

لم تتأكد عائلة «محمود» في البداية من مكان وجوده، وذلك لأن جميع أفرادها مطلوبون للنظام بسبب انخراطهم في الثورة منذ بدايتها، ومن بينهم رب الأسرة «محمود»، وهو ما منعهم من السؤال، وحدّ من قدرتهم على التحرك، كما حال لاحقاً دون حصولهم على جثة والدهم محمود، حتى بعد أن عرفوا أن جثته في براد مشفى دمشق (المجتهد).

على الرغم من أن الشهيد «محمود أحمد حزاريني»، المولود في عام ١٩٥٦، كان يتمتع بجسد قوي لا يوحي بكبر سنه، إلا أن إجرام النظام أكبر من أن تحتمله قوة جسد ولا لياقة الشباب، ما زاد من جرم محمود أمام الجلاد، وبالتالي قسوته وسوء معاملته أكثر، هو أن الشهيد كان مساعداً أول في الجيش السوري، وتقاعد عام ٢٠٠٠.

لم يكن الوقت في صالح «محمود» وعائلته، إذ سرعان ما وصلهم نبأ استشهاده، ولكن هذه المرة ليس قيلاً عن قال، ولا عبر شهادة وفاة أو كلمة «مات» من الشرطة العسكرية، كان أحد أقرباء «محمود» في المشفى يبحث في براداتها عن جثة لمتوفى يخصه للتأكد منها قبل استلامها، وبسبب الكنية كانت جثة الشهيد محمود أقرب إليه، فكانت صدمته برؤية جثة شهيدٍ من أقربائه بالإضافة للمتوفي الذي جاء لاستلام جثته.

كان ذلك بعد شهر ونصف من اعتقال محمود، أي في أيلول عام ٢٠١٥، ولكن لا يمكن لقريبه أن يستلم جثته، ولا حتى أنٍ يفصح عن معرفته ودرجة قرابته، فغادر وأبلغ عائلة الشهيد، التي لم تستطع أن تحرك ساكناً، أو تطالب بجثته نظراً لوضعها، وبعد الحادثة بنحو شهرٍ ونصف، أي مرور ٣ أشهر على اعتقال محمود جاء تأكيد الخبر مرةً أخرى من قبل معتقل أُفرج عنه وتواصل مع عائلة محمود ليبلغها باستشهاده في السجن تحت التعذيب قبل مدة.

بوجه شاحب وعينين تفيضان دمعاً، يقول ابن أخت الشهيد محمود: «كان خالي طيب القلب، محبوباً من الجميع، وكان يقيم في دمشق، ومع بداية الثورة شارك فيها مع كل أولاده، ودفعوا ضريبة مشاركتهم غالية، فخالي استشهد في السجن، وابنه البالغ من العمر ١٩ عاماً استشهد برصاصة قناص عند مفرق حجيرة في بداية الثورة، ثم استشهد اثنان من أولاده في درعا، ولم يبق من أولاده سوى ابن منهم هاجر إلى خارج سورية، أما زوجة خالي فلم تحتمل كل هذه المصائب التي حلت بأسرتها فأصيبت بأزمة قلبية وماتت».

كان يتحدث وهو يقلب علاقة مفاتيح بيديه، يحاول أن يخفي بصوت تلك المعادن غصة واضحة على صوته، وهو يستعيد ذكرَيات خال ودود كان يراه في زيارات متباعدة للعائلة، ليختم بالقول:
«لقد عاني خالي من الذل والحصار في مخيم اليرموك، وكان هو وعائلته يأكلون الحشائش، وهذا ما أجبره على الذهاب للحصول على المعونات، لأنه لم يعد يحتمل جوع أفراد عائلته، وأراد تقديم الطعام لهم، ولم يكن يتخيل أن تصل به الحال إلى هذا المستوى أو أن يتعرض للاعتقال أمام منظمة الأمم المتحدة».

ما بين جرجناز وحلب..
حاجز للنظام يخطف حياة «قتيبة محمد الدغيم»

بدا يوماً عادياً صباح الثاني عشر من آذار عام ٢٠١٢، حين تناول «قتيبة محمد دغيم» ابن مدينة جرجناز في ريف إدلب الجنوبي فطوره، ومر ليطمئن على حال والده المتعب قبل توجهه إلى مدينة حلب حيث يعمل في صحيفة الجماهير.

ونظراً للحالة التي تمر بها البلاد نصح الوالد ابنه بعدم الذهاب إلى العمل في ذلك اليوم، لأن قلقاً غير مبرر قد تملك قلبه، ورغم حرص قتيبة على رضى والده إلا أن وضعهم المعيشي لا يسمح له بالاستهتار بالعمل أو الغياب عنه، لا سيما أن كلاً من عائلة قتيبة المكونة من زوجته وأربعة أطفال أكبرهم لم يتجاوز العاشرة وعائلة أهله، كانتا تعتمدان على مرتب الابن لتعيش به بعد تعب الأب.

قتيبة ذو الثلاثين عاماً درس الاقتصاد في جامعة حلب، قبل أن يرسل في منحة لدراسة هندسة المعلوماتية في اليمن، ثم ليعود إلى سورية، ويعمل في صحيفة الجماهير، تساعده زوجته التي تعمل في التعليم لبناء أسرتهما، الأسرة التي تدمرت بعد رحلته الصباحية تلك والتي كانت أولى خطواته في مسلسل الموت تحت التعذيب.

حاجز قوات النظام كان بانتظار السيارات القادمة إلى حلب ليختار من ركابها المطلوبين وسكان المدن المغضوب عليها المنتشرة في الريف الادلبي، ليرسلهم إلى زنازين الموت، أنزل قتيبة على ذلك الحاجز، واقتيد إلى فرع الأمن العسكري في مدينة حلب.

أخبر أحد السجناء الذين أفرج عنهم فيما بعد أهل قتيبة أنهما بقيا في فرع الأمن العسكري حتى بداية العام ٢٠١٤، لينقلا إلى سجن صيدنايا، هناك بقي قتيبة ونقل الآخر إلى سجن حماه المركزي.

في سجن حماه تمكن أهل السجين وهم من قرية «الرفة» في ريف جرجناز من زيارته، وقد أوصاهم بإبلاغ أهل قتيبة بأنه قد توفي في زنزانته، وظل إلى جانب جثته ليلة كاملة قبل أن يأخذه السجانون.

أطلق سراح السجين فيما بعد، وحين التقى بأهل قتيبة تراجع عن روايته في موت قتيبة، وأكد أن قتيبة لم يكن متوفى حين أخذه من السجن، لكنه كان على وشك الموت من كثرة التعذيب، ولم يره بعدها أبدا، هذا ما أوقع أهل قتيبة في حيرة من أمرهم وعدم اليقين لا من موت ابنهم ولا من حياته.

تزوجت زوجة قتيبة من أخيه الذي قضت زوجته جراء القصف الجوي على منزلهما، وتعيش اليوم مع أبنائها في تركيا.

أكدت اللوائح التي أصدرها النظام مؤخرا بأسماء الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب، استشهاد قتيبة إذ ورد اسمه وتاريخ وفاته في ٢٠١٥/١١/٢٢.

ربما لم يكن ذنب قتيبة ذي الوجه الأبيض والشعر الأشقر سوى أنه من بلدة ثائرة، ولربما كما قال والده أن وشاية صغيرة من أحد عملاء النظام أودت بحياته بهذا الشكل القاسي، لكن من المؤكد أن خيال أطفاله ظل مرسوماً على زجاج عينيه طويلاً قبل أن يغلقهما الظلم.

لو تكلم الموتى
الوفيات الجماعية والتعذيب في المعتقلات السورية

صنفت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الصور التي سربها المصور السابق في الشرطة العسكرية السورية، والذي يعرف باسمه المستعار «قيصر»، عن معتقلين ماتوا تحت التعذيب داخل السجون الحكومية في سوريا، والتي نُشرت في أوائل عام ٢٠١٤ إلى ٣ فئات من الصور، صور «الوفيات في الحجز»، وهي الفئة الأكبر من الصور، والتي ركز التقرير على تحليلها، وتضم ٢٨٧٠٧ صور، التُقط أكبر عدد منها ضمن ٥ فروع أمنية، وأجرت تحقيقات حولها على مدى ٩ أشهر.

وقال «نديم حوري» نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة آنذاك: «حققنا بدقة في عشرات الحالات والشهادات، وواثقون أن صور قيصر تقدم دليلاً موثقاً ودامغاً على ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في سوريا».

وأضاف «حوري: «لا يساورنا الشك في أن من ظهروا في صور قيصر جُوّعوا وضُربوا وعُذبوا بطريقة منهجية، وعلى نطاق جماعي»، داعياً من يدفعون من أجل السلام في سوريا أن يكفلوا وقف هذه الجرائم، ومحاسبة المشرفين على هذا النظام عن جرائمهم.

منظمة هيومن رايتس ووتش، ١٦ كانون الأول ٢٠١٥

كانوا يتسلون بتعذيبه..
الشهيد أدهم غازي مرشان

أن تأتيك الطعنة من الخلف أو أن تكون الطعنة من عدو أو من غريب أو منافس، فهو أمر طبيعي، أما أن يكون من طعنك ممن تعدهم أقرب الناس إليك، وتكون الطعنة سبباً باعتقالك ومن ثم موتك، وليس أي موت، الموت تحت التعذيب في مسالخ النظام، فهو ما لم يكن مألوفاً قبل عهد الأسد.

من داخل قاعة المحاضرات في كلية الهندسة بجامعة تشرين، اعتقلته دورية تابعة لفرع أمن الدولة في ٢١ شباط عام ٢٠١٢، والسبب تقرير استهدفه هو وابن خالته، كتبه أحد مخبري النظام المقربين من العائلة، أدهم وابن خالته محمد مؤمِنَانِ بالثورة منذ لحظتها الأولى، وشاركا في مظاهراتها منذ بدايتها حتى اعتقالهما.

«أدهم غازي مرشان» من مواليد ١٩٩٠، تربى في منزله بين سبعة إخوة، تميز عنهم بنشاطه وعشقه للعلم والدراسة، إلى جانب الرياضة، وحبه لتكوين الصداقات، كان قوي البنية ورياضياً، ومدلل العائلة، التي ما زالت تحتفظ بأركيلته التي كان يحبها أيضاً.

أينما نظرت في منزله، ترى صور أدهم موزعةً على جدرانه، أما صورته الأجمل فهي تلك المظللة بقلم الرصاص، والملصقة على باب الخزانة، وكانت رسمتها جارة له.

الاعتقال والاستشهاد

بين فخر الأب بولده، ودموع الأم، كانت الذكريات المؤلمة تستعاد في بيت ما زال طيف الغائب حاضراً فيه، الغائب الذي اعتقله فرع أمن الدولة من قاعة المحاضرات في جامعة تشرين في ٢١ شباط عام ٢٠١٢.

يقول «غازي مرشان» والد الشهيد أدهم: «فور اعتقاله ذهبت إلى اللاذقية، وبدأت بالسؤال عنه ومحاولة الوصول إليه، فأخبروني أنه نقل إلى صحنايا، ولكنني لم أعثر عليه، وفي بداية عام ٢٠١٣ قيل لنا إنه في صيدنايا، فتوجهت أمه وأخته إلى دمشق، ولكنهما لم تصلا إلى نتيجة أيضاً، وانقطعت أخباره عنا مدة طويلة، ولم نستطع الذهاب إلى دمشق خلالها خوفاً من اعتقال النظام»، مضيفاً:

«بقيت أخبار أدهم مقطوعة حتى عام ٢٠١٥، حين اتصل شاب مفرج عنه من سجن صيدنايا بأحد أقاربي، وأبلغه أن أدهم استشهد في السجن تحت التعذيب».

كان والد الشهيد أدهم يتحدث بصعوبة في السابق، ويتظاهر بالقوة، إلا أنه انهار باكياً فجأة،

ليختلط بكاؤه مع بكاء والدة الشهيد، التي لم تتوقف عن البكاء كل الوقت، وليعلوَ بكاؤهما فوق كل شيءٍ حولهما.

توقف الأب عن البكاء وقال:
«بإمكاني أن أتخيل أن يطلق شخصٌ ما الرصاص على آخر فيقتله، ولكنني لا أستطيع تخيل أن هناك إنسان قادر على تعذيب إنسان آخر حتى الموت، أية وحشية تلك التي يمتلكونها»، مضيفاً بغضب: «لقد حدثني أحد المفرج عنهم عن قسوة التعذيب التي كانوا يلاقونها، وقال لي بأن السجانين كانوا يسوقونهم وهم مقيدون بالسلاسل، وعليهم نزول ثلاثين درجة للأسفل، وعندما يصبح آخر معتقل على أعلىٍ درجة، يقوم السجانة بركلهم بأرجلهم أو دفعهم ليتساقطَ المعتقلون فوق بعضهم بعضاً، فيصاب بعضهم بكسور، وآخرون بجروح، ويموت بعض منهم جراء سقوط زملائهم فوقهم وبقائهم لساعات على هذه الحال، دون أن يستطيع أحد منهم النهوض، إلى أن يقرر السجانة أن يساعدوا المعتقلين على النهوض».

ثم عاد والد الشهيد للحديث عن ابنه وهو يمثل بجسده ما رواه له ذلك الشاب قائلاً: «لقد علقوا أدهم بالسقف ثماني ساعات متواصلة، هكذا أخبرني الشاب، لقد كان ابني شاباً بعمر الورد، واستشهد تحت التعذيب بين أيديهم».

بعد وصول نبأ استشهاد أدهم، أقامت عائلته عزاءً له في بلدتهم الجانودية، وبعد عدة أشهر جاء إليهم رجل من اللاذقية يدعى أبو العبد، جاء يسأل عن أدهم، كان معه فيِ السجن، وأفرج عنه قبل أن يستشهد أدهم، تفاجأ الرجل باستشهاد أدهم وبدأ بالبكاء حزناً عليه، لم يكن يعلم بذلك، وروى لوالد الشهيد كيف قضى ثلاثة أشهرٍ برفقة ابنه أدهم.

قال لي أبو العبد: «لقد نمنا على سواعد بعضنا أنا وأدهم ثلاثة أشهر، كنا في نفس الزنزانة نعيش ملتصقين، ولأن المكان مكتظ بالمعتقلين، كان لكل معتقل بلاطة واحدة ينام عليها على جنبه، فكنت تارة أضع يدي تحت رأسه، وأخرى يضع يده تحت رأسي، ثم خرجت أنا وبقي أدهم، لقد كان شاباً طيباً».

حبس الوالد دموعه في عينيه، وأخفى تنهداته بدخان السجائر الذي ملأ المكان، بينما كانت والدة أدهم تكفكف دموعها باستمرار، لتتأمل صورة أدهم الموجودة على باب الخزانة، ثم تعود لتمسح دموعها مرة أخرى لتمعن النظر في صوره الموزعة على الجدران.

رفع والد الشهيد «أدهم غازي مرشان» رأسه، وقال وعيناه تفيضان بالدمع: «منذ اعتقاله وحتى هذه اللحظة، لا يمر يوم دون أن أبكيه، وأشعر كم كان يتوجع، بينما هم يتسلون بتعذيبه، ويستمتعون بصوت صراخه، في قلبي حقد على سجانيه لو مزج بماء البحر لأصبح البحر أسود»، عاد للصمت وهو يدخن سيجارته السابعة دون أن يشعر بارتياح أو هدوء.

من مقاعد الجامعة إلى جثة في الظلام.. الشهيد أحمد ياسر حاج أحمد

لم تستطع أم أحمد الجلوس معنا أو مراجعة ذكرياتها عن ابنها، محاولةً الهروب من فتح جرح لم ولن يندمل، بينما كان أبو أحمد يقاوم بكبرياء دموعاً لا تقوى على الانهمار، وفي الوقت ذاته ترفض البقاء داخل عينيه، فكانت الغصة في صوته تتغلب على محاولاته، مترافقةً مع قطرات من العرق تغطي جبينه مع كل كلمة أو ذكرى يسترجعها عن ابنه الشهيد.

«أحمد ياسر حاج أحمد» مواليد سراقب عام ١٩٩٠، كان طالباً في السنة الثالثة بكلية الكيمياء بجامعة حلب، وطالباً في كلية الطب بجامعة بيروت، عندما تم اعتقاله.

ورغم أن أحمد كان الولد الثالث للعائلة، إلا أن والده يجهل حتى هذه اللحظة سر تعلقه به منذ ولادته أكثر من إخوته جميعاً، فقد كان الطفل المدلل ومن ثم الشاب المدلل الذي لا يُرفض له طلب.

تم اعتقال أحمد في تشرين الثاني عام ٢٠١١، حيث كان متوجهاً بدراجته النارية عن طريق الخطأ على أتوستراد حلب - دمشق، حين صادفه حاجز للنظام بجوار معمل الزيت الذي كان قد حوله النظام إلى ثكنة عسكرية، يديرها شبيح مجرم يدعى محمد ياسين البكور ويكنى بـ «الشابوري»، المسؤول عن الكثير من الجرائم التي تمت في حاجز معمل الزيت جنوب مدينة سراقب بريف إدلب الشرقي لأكثر من عامين إبان انطلاق الثورة الثورة السورية.

قام عناصر الحاجز بإطلاق الرصاص على أحمد، فأصيب أحمد في قدمه وتم إدخاله إلى معمل الزيت، ليتم بعدها إرساله إلى أحد فروع الأمن في مدينة إدلب، وليحول فيما بعد إلى فرع ٢١٥ بدمشق، حيث استشهد هناك.

وبينما كانت مدينته سراقب تحت مرمى نيران جيش النظام، وكانت عائلته نازحة إلى خارج المدينة، باستثناء والده الذي بقي في منزله رافضاً الخروج، دون أن يعلم أن بقاءه سيحمل له نبأً لا يودّ سماعه.

قبل دخول الجيش لمدينة سراقب بأيام قليلة وبعد مرور ستة أشهر على اعتقاله، لم يألُ خلالها أبو أحمد جهداً في سبيل إطلاق سراح ابنه، باءت جميع جهوده بالفشل، تلقى اتصالاً

هاتفياً في آذار عام ٢٠١٢ من فرع أمن إدلب، أبلغوه فيه باستشهاد أحمد، وطلبوا إليه التوجه إلى دمشق لاستلام جثة ابنه وأغراضه الشخصية.

بصوتٍ خافت تخنقه العبرة يصف والد أحمد تلك اللحظة:
«كانت أقسى لحظة في حياتي، كنت في المنزل وحدي، كانت سراقب خاليةً تقريباً من النساء والأطفال، ومن ضمن النازحين عائلتي، وذلك بسبب علمنا بنية النظام لاقتحام سراقب، لم يكن في الحي سوى الرجال، وبعد انتهاء المكالمة مع الفرع»، صمت الأب وأطرق رأسه بالأرض مخفياً دموعه التي عجز عن سجنها.

ثم تابع وقد شحب وجهه مردفاً بصوت متقطع: «شعرت بانعدام الهواء، وبأن المنزلِ وقع على صدري، خرجت منه دون وجهة، وعلى غير هدىً صادفت إخوتي وأولادهم وبعضاً من رجال الحي في الشارع، فقلت لهم: لقد استشهد أحمد في السجن ويجب أن نذهب لاستلام جثته، لم يتفوه أحد منهم بأية كلمة»، وكذلك أبو أحمد الذي عاد للصمت مجدداً لالتقاط أنفاسه واستجماع قواه لمتابعة الحديث.

تدخلت زوجة أبي أحمد الثانية: «كنت مع بناتي في قرية ليست ببعيدة عن سراقب، كنت أشعر بالغصة والخوف دون أن أعرف سببهما، وكل ظنّي أن دخول الجيش إلى سراقب، وخوفي من اعتقال زوجي كابنه أحمد، هي أسباب شعوري ذاك، إلا أن وقتاً قصيراً مضى على حالتي تلك، ليصل إلينا نبأ استشهاد أحمد ابن زوجي، ويحمل لي التفسير الحقيقي لغصتي وخوفي»، مضيفةً:
«كان خبراً لا يحتمل، فأحمد شاب حنون مجدّ ومثابر، كان يحلم بمستقبل مميز، وبسبب تميزه كان ينتقل في دراسته بين جامعة حلب وجامعة لبنان، حيث كان يدرس الطب إلى جانب دراسته الكيمياء، كما كان مغرماً بكرة القدم، ويلعب ضمن إحدى الفرق الرياضية في سراقب، كان يحب الحياة ويحلم بتحقيق الكثير فيها».

صمتت قليلاً قبل أن تتابع وقد بدا الاضطراب والتوتر واضحاً على وجهها وحركات جسدها:
«تألمت كثيراً وبتُّ أحاول تخيّل حالة أم أحمد في هذه اللحظات، إذ لم تكن معنا في القرية ذاتها، وبدأت دعواتها لابنها أحمد طيلة الأشهر الماضية بأن يخلصه اللّه من بين أيدي هؤلاء الوحوش والمجرمين بأي طريقةٍ، حتى ولو كان خلاصه بالموت، تتردد على مسامعي وفي ذهني، فقد كنا نسمع الكثير عن وحشية سجاني النظام في تعذيبهم للمعتقلين، وكانت أم أحمد تدعو له بالراحة من عذابهم».

توجه بعض الأقارب إلى دمشق، واستلموا جثة أحمد وحاجياته، وحينما عادوا به إلى مسقط رأسه شيعته المدينة بمظاهرة حاشدة، شارك بها كل أبناء سراقب، ليس للوحشية الفجة التي قتله بها النظام، ولا لكونه طالباً ناجحاً في جامعته، بل لموقعه في قلب كل من عرفه، لا سيما بعد مشاركته بالثورة ومظاهراتها وازدياد عدد أصدقائه.

أحب الثورة وآمن بها، ورأى أن إسقاط النظام هو الشرط الأول لبناء سورية الوطن، كان

ككل السوريين الذين يدركون وحشية النظام المجرم والذي ثُبت حجم إجرامه بتعذيبه حتى الموت، فقد روى أحد الناجين من سجون النظام أن أحمد كان يتعرض لتعذيب شديد وبكل الطرق، فقد تعمد السجانون ضربه على قدمه المصابة، ولم يتم تقديم أي علاج له طيلة فترة اعتقاله، الذي استمر ستة أشهر.

يستطرد الوالد قائلاً: «كانت أيام انتظار وصول جثته صعبة على والدته، التي كانت صابرة وراضية بقضاء اللّه، رغم استمرار حزنها ومعاناتها حتى الآن، فهي ما تزال تذكر تعذيبه في كل مناسبة، كما تذكر كيف كان يحيا أمامها، وما زلت أتأمل صورته المعلقة على حائط غرفتي أحياناً، وأحياناً أخرى لا أقوى على النظر إليها».

الاختفاء القسري، الوفاة في الاحتجاز، الاعتقالات التعسفية، والتعذيب

لا يزال الاحتجاز التعسفي وسوء المعاملة والتعذيب والاختفاء القسري متفش في سوريا. في عام ٢٠١٧، وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان أكثر من ٤،٢٥٢ حالًة اعتقال تعسفي، معظمها على يد القوات الحكومية. لا يزال أكثر من ٨٠ ألف شخص حتى أغسطس/آب ٢٠١٧ مختفين، وفقا للشبكة السورية لحقوق الإنسان.
في آب/أغسطس، كشفت زوجة باسل خرطبيل، مهندس كمبيوتر ومدافع عن حرية التعبير اُعتقل في عام ٢٠١٢، تلقيها تأكيدا بإعدام القوات الحكومية لزوجها في المعتقل عام ٢٠١٥ وإخفاء مصيره. كما نفذت الحكومة السورية اعتقالات تعسفية بموجب قانون يجرم «الجماع غير الطبيعي».

التقرير العالمي ٢٠١٨- هيومن رايتس ووتش

عندما أكبر سأصبح أستاذاً للغة العربية مثل أبي.. الشهيد محمد علي أحمد السيد

«عندما أكبر سأصبح أستاذاً للغة العربية مثل أبي»، هذا حلم ابنه الذي لما يتجاوز الثامنة من عمره، أن يكون مدرساً للغة العربية مثل أبيه الذي قتلته يد الإجرام في سجون النظام.

كان والده شديداً جداً على أبنائه بما يتعلق بتعليمهم المدرسي، ولا سيما مع ابنه الأكبر أحمد، أراد له أن يكون مميزاً في دراسته، والأول على مدرسته، لذلك كان يقسو عليه، بينما لم يسعفه الوقت ليكون كذلك مع بقية أولاده الصغار، أو ربما لا يتذكرون شدته جيداً لأنهم كانوا صغاراً.

خمسة أولاد، ثلاثة صبية وابنتان، كانوا كل حياته، يحبهم ويريد لهم مستقبلاً زاهراً، لا سيما أنه خريج كلية الآداب قسم اللغة العربية، والمدرس الذي خرّج أجيالاً على مدى سنوات تدريسه في مدارس بلدته جرجناز.

الشهيد «محمد علي أحمد السيد» من مواليد آذار عام ١٩٦٨، متوسط الطول، نحيل الجسم، حنطيّ البشرة، ذو عينين عسليتين، يعشق المطالعة وكتابة الشعر.

تقول زوجته وهي التي مازالت تحتفظ بكتب زوجها وقصائده التي نظمت حروفها أفكاره وخطتها يداه، ولا تفوّت يوماً واحداً دون أن تعود إليها، وتتحدث مع أولادها عن والدهم، بينما يجلس ابنها أحمد يتابع بوجهه الأصفر الشاحب كلمات أمه، وصوتها ونظراتها، ويداري دموعه ويفرك كفيه ببعضهما من غير حولٍ ولا قوة.

عرف عن محمد بأنه من أوائل المحرضين على التظاهر ضد النظام، كان يصمم اللافتات، ويحث الشباب على الخروج بالمظاهرات، ولا يتهاون مع كل من يحاول منع الشباب من التظاهر، بحسب أحد جيران الشهيد الذي أضاف: «في إحدى خُطب الجمعة ببداية الثورة، كان إمام الجامع يحاول منع الأهالي من

إثارة المشاكل في البلدة، والخروج إلى التظاهر، فقاطعه الأستاذ محمد، ومنعه من مواصلة كلامه، وشجع الشباب على التظاهر ضد النظام الذي يدمر درعا».

اعتقل محمد من منزله حين اقتحم الجيش بلدته جرجناز في ٢٩ آذار عام ٢٠١٢، ونقل إلى فرع الشرطة العسكرية بإدلب، وبدأت عائلته بالتوسط علّها تتمكن من إخراجه من السجن، ولكن دون فائدة، ثم أُفرج عن أحد المعتقلين من سجن إدلب ليخبر زوجة محمد بأن محمد يحتاج بعض الملابس، فذهب والدها لزيارته والاطمئنان عليه، ولكنهم لم يسمحوا له برؤيته.

بعد شهر من اعتقال محمد، نقل إلى حلب، ومن ثم إلى حمص فحماة، ليستقر به المطاف في دمشق، وفي محاولاتها لمعرفة مكانه ذهبت زوجته إلى دمشق مرتين بحثاً عنه، ولم يقر أي فرع بوجوده لديه، ليخرج بعدها أحد المعتقلين من بلدة قريبة اسمها تحتايا، ويبلغ عائلة محمد بأنه استشهد في السادس من آذار عام ٢٠١٣، مؤكداً لهم أنه استشهد بسبب التعذيب الذي تعرَّض له في فرع المخابرات الجوية ٢١٥ /حي المزة/ بدمشق.

تقول زوجته: «بعد أن وصلنا نبأ استشهاد محمد عدت إلى دمشق للسؤال عنه، فأرسلت إلى مشفى تشرين العسكري في الحادي عشر من أيار عام ٢٠١٣، وهناك استلمت شهادة وفاته».

وأضافت: «منذ مدة بسيطة، قرأنا عن أحد المفرج عنهم من المعتقل، الذي كان في تركيا ويعاني غيبوبة ويتلقى العلاج هناك، وبعد تعافيه كتب عن بعض المعتقلين الذين كانوا معه في السجن، ومن بينهم تحدث عن زوجي، وطبعاً نحن كنا على علم باستشهاده، وكنت قد أحضرت شهادة الوفاة الخاصة به».

كانت زوجة الشهيد، التي تعاني إصابةٍ تعرضت لها جراء غارة للطيران الروسي، تتحدث بصعوبةٍ وألم أشدّ من معاناة إصابتها، في منزل مازال شبح الحزن والكآبة يخيم عليه بطريقةٍ غريبةً، وتبدو على وجوه قاطنيه لوعة الاشتياق، لرجل كان له حضور مميز، ليس في بيته فقط بل في بلدته كلها.

عاشا فقيرين وماتا فقيرين بتهمة تمويل الإرهاب

الشهيدان عبد الستار ومحمد أحمد عليوي

في كل بقاع الأرض، يلزم للاعتقال تهمة، وللمحاكمة أدلة وبراهين تثبت التهمة، باستثناء سورية، ولا سيما بعد الثورة، فقد كانت التهم تُعد بعد الاعتقال، وكل الأدلة والبراهين تستخلص من المعتقلين أثناء تعذيبهم. لم يجد نظام الأسد له تهمة سوى تمويل الإرهاب، وهو العامل البسيط الذي هرب من الفقر في قريته الصغيرة «ترملا» إلى لبنان للعمل، لم يكن يعلم أن حظه السيء سيجعله أحد المعتقلين لمجرد توجهه إلى لبنان.

ومن السخرية أنه اتهم بتمويل الإرهاب، وهو ابن الأسرة المتواضعة التي حال وضعها المادي دون إكمال أبنائها تعليمهم، ودخولهم سوق العمل في سن مبكرة، وكان من بينهم عبد الستار، الذي بقي وضعه المادي متوسطاً أو تحت الوسط حتى اعتقاله بتلك التهمة، ولم يدر من اختارها له أنه يمضي أيامه بين لبنان و«ترملا»، ليجمع ما يسد به حاجة أولاده الأربعة، وأنه عاش فقيراً وسيموت كذلك، والتهمة «تمويل».

اعتقل «عبد الستار أحمد عليوي» وشقيقه محمد في ١٤ شباط عام ٢٠١٣ على حاجز الدبوسية أثناء توجههما إلى لبنان للعمل، وفور وصول الخبر لعائلتهما، قامت بتوكيل محام، وتواصلت مع مسؤولين لإطلاق سراحهما، ولكن دون جدوى، فقد حصل أخوهما الثالث عند سؤاله عنهما بعد أربعة أشهر من اعتقالهما على شهادة وفاة لأخيه محمد، بينما بقي مصير عبد الستار مجهولاً آنذاك.

لم يتوقف الأخ الثالث عن السؤال عن عبد الستار والبحث عنه، ولكنه قبل أن يحصل على نتيجة، خرج أحد المعتقلين من السجن، وأبلغ عائلة عبد الستار باستشهاده تحت التعذيب، ولحاقه بأخيه وصديقه محمد، ليكونا شريكين بالمصير، كما كانا في حياتهما.

فعاد أخو عبد الستار مجدداً، في كانون الأول عام ٢٠١٣، وهو بين مصدق للخبر وغير مصدق،

يعلم أن الاحتمال بصحته كبير، ويتمنى ألا يكون كذلك، ولكن ما حدث كان عكس ما تمناه، فقد عاد للمرة الثانية بشهادة وفاة، سببها أزمة قلبية، بينما أكد لهم الشاب الذي أبلغهم النبأ، أن عبد الستار استشهد نتيجة للتعذيب الشديد، وأن تهمته هي تمويل الإرهاب.
تتحدث زوجة أخيه بحرقة: «عبد الستار من مواليد ١٩٧٥، وهو رجل بسيط طيب، مُحبٌ ومحبوب، طويل القامة قوي البنية، يرسم ابتسامته على وجهه الأبيض، ولذلك كانت الصدمة كبيرة باعتقاله وأكبر باستشهاده، ولا سيما بالنسبة للعائلة»، مضيفةً:
«كان وقع نبأ استشهاده كارثياً على أولاده، ولم يتحملوا فكرة البقاء في سورية، فهاجروا تاركين خلفهم قريتهم وأهلهم وذكرياتهم مع أبيهم، أما والد عبد الستار ووالدته، فما يزالان يحاولان العيش بعد خسارة ولديهما، وخسارة عائلة عبد الستار»، واستطردت:
«لم يبق منه سوى صوره التي نحتفظ بها، وأحاديثنا عن طيبته وروحه المرحة».

متى سنزور أبي في الجنة؟.. الشهيد محمد أحمد عليوي

عملها كعنصر في الشرطة الحرة النسائية في مخفر قريتها «ترملا»، دفعها للمكابرة والتظاهر بالقوة ومحاولة التغلب على ضعفها، وحبس دموعها قدر المستطاع، لكن قلب الزوجة المخلصة، وأم الأولاد الخمسة لأب رحل عنهم دون وداع، كان دائماً حاضراً خلال حديثها، وفي صوتها الذي كان ينم عن مدى الوجع والقهر والتعب الذي يعتريها منذ رحيله، وأول ما تصفه به:
«كان جميلاً بلونه الأسمر وتلك الشامة على خده»، توقفت فجأة عن الكلام، ربما تذكرت ما كانت قد عاهدت نفسها عليه بألا تضعف، ثم تابعت:
«زوجي محمد أحمد عليوي، من مواليد أوائل كانون الثاني عام ١٩٦٩، كان بسيطاً جداً لا يطمح إلا أن يرى أولاده سعداء في حياتهم، وألا يحرمهم من أي شيء قادر على تأمينه لهم، اجتماعي بطبعه، بسيط في حياته، لا يحب المشاكل ولا العنف، صديق للجميع، لم يشارك بالثورة خوفاً من اعتقاله أثناء سفره المتكرر إلى عمله في لبنان، لكنه لم يعد من سفرته الأخيرة في ١٤ شباط عام ٢٠١٣، فقد اعتقله النظام هو وشقيقه على حاجز الدبوسية على الحدود السورية اللبنانية، حسبما أبلغنا سائق السيارة التي كانا يستقلانها».

سعت عائلة «محمد أحمد عليوي» مباشرة لكشف مصيره وإطلاق سراحه، وخلال محاولاتها أخبرها أحد من لجأت إليهم في مدينة جبلة أنها مشكلة تشابه أسماء وستُحل قريباً، وبدأت الأيام تمر دون أن تحل المشكلة بل على العكس تفاقمت.

وكان محمد وشقيقه يُنقلان من فرع لآخر ما بين حمص ودمشق، وبعد أربعة أشهر وفي ١٢ حزيران عام ٢٠١٣ بالتحديد، قام الشقيق الثالث لمحمد، والمقيم في دمشق بالسؤال عنه، فحصل على شهادة وفاة لمحمد، كتب فيها أن سبب الوفاة هو المرض، فلا يمكن للنظام أن يكتب فيها أن الوفاة كانت بسبب التعذيب في السجن كما كانت السبب بموت أخيه..!

سجن صيدنايا هو المكان الذي تذبح الحكومة السورية شعبها فيه

كل أسبوع، يتم اقتياد ٢٠ إلى ٥٠ شخص من زنزاناتهم من أجل شنقهم في منتصف ًالليل. حوالي ١٣ ألف شخص قتلوا في سجن صيدنايا منذ عام ٢٠١١، بسرية تامة. وقتل آخرون في صيدنايا بعد أن تعرضوا للتعذيب بشكل مستمر ومنهجي، وحُرموا من الطعام والماء والأدوية والرعاية الطبية. تحمّل جثث القتلى في صيدنايا في شاحنات نقل وتدفن في مقابر جماعية. ومن غير المعقول أن تطبّق هذه الممارسات على نطاق واسع وبشكل منهجي من دون الحصول على اذن من أعلى المستويات في الحكومة السورية.

أبو محمّد، حارس سابق في صيدنايا: «صيدنايا هو نهاية الحياة – نهاية الإنسانية»

«يُسمح لأي عنصر بضربهم، إلى حين وصول الضابط. كنا نعلم مسبقاً أنهم سيموتون في أي حال، لذا كنا نفعل ما بوسعنا من أجل إيذائهم»

«إذا وضعت أذنيك على الأرض، بإمكانك سماع صوت شبيه بالغرغرة. ويدوم هذا الصوت لمدة ١٠ دقائق ... كنا ننام وعلى مسمعنا أصوات أشخاص يختنقون حتى الموت. هذا كان أمر طبيعي بالنسبة لي آنذاك»

منظمة العفو الدولية، ١٢ شباط ٢٠١٧

بين السجن والقبر

حالات الاختفاء القسري في سوريا

منظمة العفو الدولية

وعده بألا يعود إلا معه.. ولكنه عاد بجثته
الشهيد حسن يحيى الحمد

مصرا على دراسته آثر «حسن يحيى الحمد» ابن قرية مرديخ في ريف سراقب الجنوبي ذو الثمانية عشرعاما، الابتعاد عن الحراك الثوري في منطقته، وبسبب صعوبة التنقل ما بين مدينة طرطوس حيث جامعته وقريته مرديخ وبسبب مشاجرة وقعت بينه وبين أحد أقرانه في قريته فضل والد حسن إقامة ولده في طرطوس حتى يكمل تعليمه وهو ما فعله حسن بشكل فعلي.

لم يطل الوقت حتى اعترضت دورية لقوات الأمن طريق حسن أثناء ذهابه إلى جامعته وقامت باعتقاله في صباح ٣١ تشرين الأول ٢٠١٣، لتنتهي أحلام شاب وأحلام عائلة وتطلعات أب وأم في تخرج ولدهم وفرحتهم به.

كان برفقة حسن أثناء اعتقاله زميل له من أبناء قرية مرديخ قد تمكن من النجاة من الاعتقال ليسافر بعدها إلى قريته، لكنه كان أسير الحيرة والارتباك، فهو لا يجرؤ على أن يخبر أهل حسن ولا هو قادر على كتم الخبر عنهم، وبعد بضعة أيام قرر إخبارهم بما جرى.

لام أهل حسن صديق ابنهم كثيرا على كتمه للخبر عدة أيام، وذلك لما كان في اعتقادهم أنه وقت ثمين يمكن فيه السعي لإخراج ابنهم، وبدؤوا فورا بالعمل على إطلاق سراحه عبر الوساطات التي كلفتهم مبالغ ضخمة، أوقعت الوالد في دين بلغ عشرين ألف دولار، متعرضا لحالات كثيرة من النصب والاحتيال من قبل ضباط وسماسرة مستغلين عواطف الأهل لأي معلومة تخص ابنهم.

وبعد محاولات كثيرة فاشلة قرر الوالدان التوجه بنفسيهما إلى دمشق للبحث عن ابنهما، وخاضا في دوامة الأفرع الأمنية، مع بذل الكثير من المال تأكدا من وجود ابنهما في سجن عدرا، ومن بعد جهد وتكلفة كبيرة تمكنا من الحصول على تصريح بزيارته في السجن.

في سوريا الأسد أن تجلس مع ابنك وتراه هو أحد الأحلام الصعبة.

جلس أبو حسن وأمه مع ولدهما في ذات المكان واستنشقا ذات الهواء، ورغم أنه كان يتألم بعض الشيء مما تعرض له من تعذيب، إلا أن حالته الصحية لا تستدعي القلق عليه، فهو ما زال يمتلك قواه، وقد روى لهم عن رحلته بين أفرع الأمن والويلات التي ذاقها على أيدي عناصرها.
في تلك الزيارة أكد والد حسن لابنه أنه لن يعود من دمشق إلا برفقته، حتى وإن كلفه ذلك كل ما يملك، وبعد انقضاء الزيارة تجدد نور الأمل للوالدين.

أثناء وجود الوالدين في دمشق نزلا في ضيافة أحد الأقارب لهما، وأقاما لديه ريثما ينتهون من إخراج حسن، ومضت ليلتهم الأولى بعد الزيارة وهم فرحون بلقاء ولدهم وقلقون على حاله وما يتعرض له من تعذيب وسوء معاملة.
مع مرور الليلة الثانية وسعي والد حسن مع أصحاب الوساطات، رن هاتف أبي حسن في صباح اليوم الثالث من تشرين الأول عام ٢٠١٤ ليسرع بالإجابة ظنا منه أنه أحد الوساطات التي وضعها، لكن صوتا مجهولا له عرف عن نفسه بأنه أحد جنود الجيش طلب منه الحضور إلى مشفى المواساة في دمشق لرؤية حسن، ولدى محاولة الأب الاطمئنان عن حسن أنهى صاحب المكالمة حديثه بجملة آمرة: «حجي: روح على المشفى بتعرف».

دارت الأرض بالوالد وضاق الكون عليه، وتوجه مسرعا إلى المشفى حيث كانت هناك جثة حسن بانتظاره.. صاعقة كبيرة لم يكن يتوقع رؤيتها، حسن الشاب الوسيم الذي هو في مقتبل العمر، حسن الذي لم يمض على رؤيته سوى أيام قليلة، أي قسوة وتعذيب تعرض له على أيديهم حتى لم يصمد سوى يومين؟
استلم والد حسن جثمان الشهيد وهو على يقين أنهم كانوا قد قتلوه نتيجة لما قاله في زيارة والديه، وأن لديهم جهازا للتنصت في مكان الزيارة، ومضى والد حسن بحسن باكيا ابنه:
«سامحني يا بني.. كنت قد وعدتك أن أعود بك إلى قريتنا، وبالفعل ها أنا ذا أعود بك، ولكن أعود بك جثة هامدة، أعود بك مقتولا، أعلم من هو قاتلك ولا أملك أن أفعل شيئاً، أعود والنار تقضم قلبي من ألم وغضب وحقد وعذاب، سامحني يا ولدي».

في رحلة العودة بجثمان حسن بدأت رحلة معاناة أخرى ومن نوع آخر، تذكر برواية الكاتب السوري خالد خليفة «الموت عمل شاق» والذي تحدث فيها عن معاناة ثلاثة أشقاء في تنفيذ وصية أبيهم الثائر الذي كان مقيما في ريف دمشق في دفنه في مسقط رأسه بريف حلب.

مر الوالدان المكلومان بعذاب استخراج الأوراق المطلوبة لنقل الجثة، وتصاريح المرور عبر الحواجز المختلفة وسيطرة الجيش السوري والميليشيات الشيعية، ورغم استحصال أبي حسن على الأوراق المطلوبة لنقل الجثة إلا أن الكثير من الحواجز رفضت السماح لهم بالمرور، ما اضطر والدي" حسن لضرب الأرض شرقا وغربا والسخاء بالمال لإيصال جثة ولدهم إلى مسقط رأسه ودفنه فيها.
لم يستطع والد حسن أن يحتمل العيش في مكان يعرف فيه قاتل ابنه ويعجز عن محاسبته، فلجأ إلى السفر للحفاظ على ما تبقى من أسرته بعدما فقد الثقة والشعور بالأمان في بلد يحكمه مجرم ظالم، تاركاً خلفه منزله وقريته ورزقه وأعماله.

أطفاله وصوره ما تزال تزين البيت الشهيد عمر محمد العمر حماد

في طريق عودته من السعودية، وبعد أن أفرغ حمولته في دمشق، سلك الطريق الدولي متوجهاً إلى بلدته «كفر بطيخ» في ريف إدلب الجنوبي، دون أن يعلم ما ينتظره هناك، أو يخطر في باله أنه سيكون الطريق الأخير الذي سيلسلكه في حياته.

الشهيد «عمر محمد حماد»، مواليد عام ١٩٧٨، تعرض للاعتقال في ٣١ تموز عام ٢٠١٣، على يد حاجز القطيفة أثناء عودته من عمله بالنقل الخارجي.

لم يمنع قوات النظام انشغال عمر بعمله، وعدم مشاركته بأي مظاهرة أو مظهر من مظاهر الثورة، كما لم تقف أمام إجرامهم بنيته القوية وجسده الممتلئ الذي لم يصمد تحت وطأة تجويعه وتعذيبه بوحشية.

بعد اعتقاله بأقل من شهر، خرج أحد المعتقلين الذين كانوا مع عمر في الزنزانة، وأبلغ عائلته بأنه مريض جداً، لتقوم عائلة عمر على الفور بتوكيل محام لمساعدة ابنهم وإطلاق سراحه، ولكن دون جدوى، ليخرج زميل الزنزانة الثاني ناقلاً لعائلة عمر نبأ استشهاده بعد شهر ونصف من اعتقاله جراء التعذيب والتجويع الذي تعرض له ابنهم.

لم تفقد العائلة الأمل، وظلت تحاول الوصول إلى حقيقة مصير عمر، كانت تأمل بأن يكون هناك خطأ ما في النبأ المفجع الذي وصلها، ودفعت مبالغ مالية كبيرة، قبل أن تتوجه والدته إلى دمشق، لكن أمه عادت مؤكدةً الخبر.

كان «محمد العمر حماد» والد الشهيد عمر، يتحدث وهو يضبط دموعه، مخفياً أحزانه، متظاهراً بصلابة الأب القوي الصابر، لكن دموعه أبت إلا أن تخونه، فالمصاب أكبر من المحاولات.
ويكبر الألم، ويزداد وضوحاً، ونصبح عاجزين عن مواراته أو التظاهر بعكسه، عندما يصبح الحديث عن الأطفال.

بيديه المرتجفتين وآثار دموعه أشعل والد عمر سيجارته الثالثة وقال: «لدى عمر ثلاثة أطفال، بنت وولدان، البنت الكبرى عمرها الآن ٧ سنوات، أما ابنه الصغير فهو لا يعرف عمر، ويناديني أنا بابا».
انهار والد عمر وأجهش بالبكاء لدقائق، ثم عاد وهو يحاول التوقف عن ذلك ليقول: «كانت والدته وحدها عندما تلقت الخبر، وتقف كلماتي عاجزة عن وصف حالتها، كانت صدمة قوية جداً، وموجعةً جداً، أدعو الله أن يبعدها عن الجميع لأنها لا تحتمل».

غصت الكلمات في جوف الأب، وتزاحمت الذكريات المؤلمة والموجعة في مخيلته، وهو يرمق أبناء عمر ويقول: «يا ولدي لم تغب ذكراك أبداً من منزلي، لقد آلمنا فراقك كثيراً، وقد كنت شاباً ريفياً بسيطاً وخلوقاً، ولكن ها هم أطفالك يزينون منزلي، وها هي صورك تملؤه».

قالت فاطمة (تم تغيير كافة الأسماء لحماية صاحباتها اللواتي أجريت معهن المقابلات)، وهي ناشطة عمرها ٣٥ عاماً كانت تساعد في نقل المنشقين عن الجيش السوري من حمص إلى درعا، قالت لـ هيومن رايتس ووتش إنها تعرضت للتعذيب كل يوم طوال فترة بلغت ١٥ يوماً أثناء الاحتجاز في فرع المخابرات العسكرية رقم ٢١٥ في دمشق، في مارس/آذار ٢٠١٢:

في أحد الأيام تستخدم الكهرباء، وفي اليوم التالي يستخدم «الشبح» (التعليق من السقف من المعصمين مع تدلي القدمين أو ملامستهما للأرض بالكاد). ما زالت آثار التعذيب موجودة. كنت أفقد الوعي من الكهرباء... كانوا يضربونني على ساقيّ تحت الفخذين وعلى ظهري. عذبوني حتى ظهرت الكدمات على جسمي... أخذني رجلان وحملاني إلى الحمام لأنني كنت عاجزة عن المشي
تم الإفراج عن فاطمة في مارس/آذار ٢٠١٣، بعد ما يقرب من ١٤ شهراً من الاحتجاز.
قام الشبيحة باحتجاز أمل، ١٩ سنة، من منزلها في محافظة طرطوس في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٢، بعد مشاركتها في مظاهرات سلمية، واحتجزوها لما يقرب من ٣ شهور في مقرات بمحافظات طرطوس وحمص ودمشق. تعرضت أمل لاستجوابات مطولة بشأن معرفتها بمؤيدي المعارضة، وتم اتهامها في النهاية بالإرهاب.
قالت أمل لـ هيومن رايتس ووتش إنها في فرع المخابرات العسكرية في طرطوس تعرضت للتعليق من السقف من معصميها بينما تلمس قدماها الأرض بالكاد (وهو ضرب من التعذيب يعرف بالشبح). وقالت إنها أرغمت على البقاء في هذا الوضع لمدة ٦ ساعات، تناوب اثنان من ضباط الأمن أثناء تلك الفترة على ضربها بالعصي والأسلاك. كما قالت إن أحد مستجوبيها استخدم الكهرباء لتعذيبها:
أخذني إلى غرفتي ووضعني على مقعد وأوثقني به. ثم أتى بنصل وبدأ يجرح معصمي حتى ينقل الصدمة الكهربية بالدم. ثم نزع الغلاف عن السلك ووضعه على معصمي الجريح [حيث كان قد جرحه]. جرح يدي، وكان هناك القليل من الدماء، ووضع السلك هناك. ثم أدار الكهرباء لمدة دقيقتين أو ثلاث... أعطاني ٣ صدمات. كان يضحك سعيداً حين يرى شخصاً يتعرض للتعذيب.

احتجاز ناشطات وتعرضهن لانتهاكات - هيومن رايتس ووتش

لأنها أنثى كان الثمن باهظاً..
الشهيدة أمل أحمد الصالح

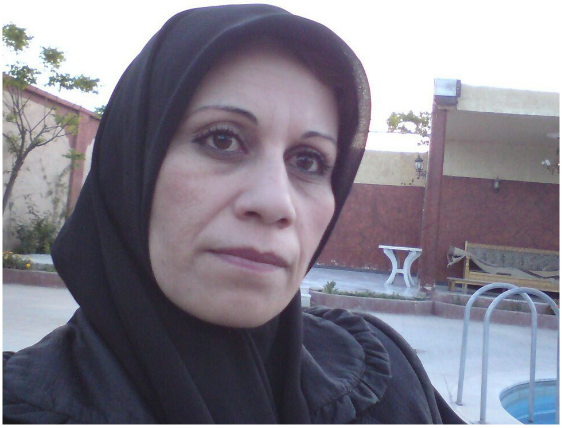

كانت وصية أمها حاضرةً دائماً في حياتها، فعملت بها وآثرت تنفيذ الوصية والعناية بأخواتها الصغيرات على أن تعيش حياتها كأي فتاةٍ في عمرها، حتى باتت الأم والأب وكل عائلتهن.
هربت بشقيقاتها من ظلم زوجة الأب، بعد أن توفيت أمها في عام ١٩٩٨، تاركةً لها تسع أخوات، أصغرهن رضيعة لم تعرف سوى أمل أماً لها، وتزوج والدها من امرأةٍ أخرى، فتوجهت مع شقيقاتها الأربعة الصغيرات إلى دمشق حيث يقيم أخوهن وعائلته، لتبدأ رحلتها بالبحث عن مأوىً وعملاً تعيش وشقيقاتها منه.

«أمل أحمد الصالح» الابنة البكر لوالديها، ولدت في عام ١٩٧٨، ولم تكن تعلم أن حياتها ستكون خارج المألوف ومليئة بالصعوبات، وستنتهي شهيدة تحت التعذيب في سجون النظام.

حياة أمل في دمشق
في مجتمع غريب عليها، قررت أمل تحدي قسوته وصعوبة الحياة فيه، لا سيما أنها شابة جميلة، وبرفقتها فتيات صغيرات، فعملت لسنوات طويلة بائعة في أحد المحلات التجارية، عانت فيها ما عانته.

ولكن قوة شخصيتها وإصرارها على الحياة، مكنتها من تحسين عملها، فأصبحت تعمل في الحلاقة النسائية، وامتلكت بيتاً في منطقة السيدة زينب، وظنت أمل أن الحياة أخيراً أصبحت رغيدة، وضحكت في وجهها هي وشقيقاتها، واستقرت أوضاعهن، لكن هذا الاستقرار وهذه الضحكة والأمل في نفس أمل لم يدم طويلاً، فسرعان ما اندلعت شرارة الثورة السورية، ورأت أمل لأول مرة الطائرات الحربية من شرفة منزلها، وباتت لياليها مليئةً بالخوف، ليس من الموت وإنما من مستقبلٍ مجهولٍ بالنسبة لها، ما لبث أن بدأ ينكشف أمامها.

استشهاد أخيها

عند الساعة الثالثة من فجر يوم ١٥ حزيران عام ٢٠١٢، تلقت أمل مكالمةً هاتفيةً من صديق شقيقها أيمن البالغ من العمر ٢٤ عاماً، ليخبرها أن أيمن استشهد.
غادرت أمل المنزل مسرعةً للبحث عنه في مكان القصف، ولكنها لم تجده، كانت تظن أنها ستأخذ جثمانه وتودعه قبل أن تدفنه، لكن الصدمة كانت أكبر مما تتخيل، فبدل أن تحتضن أخاها احتضنت أشلاءً منه.

أخبرها أحد الرجال الموجودين في المكان أن هنالك أشلاء لجثث موضوعة في أكياس النايلون السوداء، فذهبت للبحث عما بقي من شقيقها، لتجد جزءاً من وجهه وشاربه الأشقر، احتضنت بقايا أخيها، وقامت بمراسيم الدفن، وقلبها يكاد ينفجر من الغضب، ثم عادت إلى منزل أخيها لتصطحب أولاده إلى منزلها، وبعد أن كانت تعتني بشقيقاتها اللواتي كنّ قد كبرن قليلاً، باتت مسؤولةً أيضاً عن عائلة أخيها إلى جانب أخواتها.

انخراط أمل بالثورة
قبل استشهاد أخيها، كانت أصوات الطائرات الحربية تقضُّ مضجع أمل، والمناظر التي كانت تخلّفها تلك الطائرات، وتحول منطقتها إلى مستعمرات وسجون، وليولد لدى أمل حقد لا حدود له على نظام يقتل المدنيين بطائراته، ويأتي استشهاد أيمن ليعمق الأحقاد أكثر فأكثر.

قررت أمل الانتقام لشقيقها ولكل أشلاء الشهداء الذين رأتهم، وبدأت نشاطها الثوري في المظاهرات، ومن ثم تهريب الأدوية بين مناطق غوطة دمشق بمساعدة طبيب، ليتم إلقاء القبض عليهما في إحدى تلك المرات من قبل حاجز للنظام على مشارف الغوطة الشرقية، يتبع لفرع المخابرات الجوية.

كانت أمل تدرك تماماً نتيجة نشاطها والثمن الذي ستدفعه، كما كانت قد هيأت شقيقاتها للموقف، واتفقت معهن على كلمة سر بمجرد سماعهن لها يتوجب عليهن مغادرة المنزل بأقصى سرعة.

في الأول من تشرين الأول عام ٢٠١٢، رن هاتف المنزل بـُعيد منتصف الليل، ردت إحدى الشقيقات، كانت أمل المتصلة، بعد أن طلبت من الضابط إجراء مكالمة هاتفية، وسمح لها بذلك، لم تقل أمل سوى كلمة السرّ، عرفت شقيقاتها المغزى، وعملن بوصيتها، فتوجهن إلى قريتهن معرة حرمة، باستثناء أختها التي كانت طالبةً في كلية الحقوق إذ رفضت المغادرة بدون أمل، وصممت على البقاء للدفاع عنها وإخراجها من السجن.

سجن أمل ومصير أخواتها بعدها
بقيت أمل في سجون فرع التحقيق ومطار المزة العسكري التابعة للمخابرات الجوية بدمشق أربعة أشهر، نقلت بعدها إلى سجن عدرا، وخلال فترة وجودها في عدرا، كانت أختها التي بقيت من أجلها في دمشق، تتردد لزيارتها باستمرار، وتنقل رسائل أمل لشقيقاتها، لتتوقف فيما بعد عن زيارة أمل بناءً على طلب منها، ففي آخر زيارةٍ لها طلبت منها أمل عدم زيارتها مجدداً، وذلك لأنها تتعرض لتعذيب شديد وإيذاء من قبل سجانيها عقب كل زيارة، بحسب

أخت أمل، التي أضافت:
«في ١٦ شباط عام ٢٠١٤، تم نقل أمل إلى سجن صيدنايا، وبعد فترة خرجت إحدى المعتقلات من السجن، وأخبرتنا أن أمل أصيبت بالشلل بسبب التعذيب الشديد الذي كانت تتعرض له في صيدنايا، فعادت أختي للسؤال عن أمل، ولكن دون نتيجة، إلى أن استدعاها الأمن، وتم التحقيق معها بسبب أمل وأنها استشهدت، وفقاً لما أخبروها به، وطلبوا منها أن تكف عن البحث عنها، وتعرضت أختي لتهديدات بسجنها في حال واصلت أسئلتها وبحثها عن أمل، فهربت إلى لبنان عام ٢٠١٥، بعد أن تيقنت من استشهاد أمل، وهي الآن تتابع دراسة الحقوق».

كانت أخت أمل تلك الأوفر حظاً بين أخواتها، إذ أن أخت أمل الصغرى، التي توفيت والدتها وعمرها ثلاثة أشهر، وكانت تظن أن أمل هي أمها، وذلك قبل أن تبدأ أمل نشاطها الثوري، بينما كان من ضمن الاستعدادات التي اتخذتها أمل بعد انخراطها بالثورة هي تهيئة أختها الصغرى لفكرة فقدانها، والطلب إليها عدم مناداتها مرة أخرى بـ «ماما»، ومنذ اعتقال أمل تعاني أختها الانطواء بعد خسارتها لأمها مرتين، وتمتنع عن التحدث إلى أي شخص، باستثناء أخت واحدة مقربة منها تناديها باسم «أملي» لشدة تعلقها بأمل.

وتوضح الأخت مصير شقيقاتها الثلاث اللواتي عدن إلى منزل أبيهن وزوجته وأولاده في معرة حرمة، والذين لم يكترثوا لأمر استشهادها، أو يفكروا في الحصول على شهادة وفاتها، فلم تكن حياة شقيقات أمل أفضل بكثير من حياتها، فهربن للمرة الثانية من منزل والدهن إلى تركيا، ولكن هذه المرة دون أمل، ويعشن حتى اليوم هناك بعد أن خسرن تعليمهن، لجأن للعمل ليتمكن من مواجهة صعوبة الحياة، التي كانت تهونها عليهن أمل التي لا تغيب ذكراها عنهن، فقد كانت لهن أماً لم تلدهن.

من صفحة المعتقلون أولا

رقم جثته (١٠٣٠)..الشهيد: محمد محمود تناري

التزم منزله وعمله في تجارة الفرو الصناعي بين سورية والأردن، وآثر الحياد لتأمين حياة أولاده العشرة، لكن ذلك لم يمنع قوات النظام في حاجز القطيفة بريف دمشق، من اعتقاله بتهمة حيازة أسلحة، وذلك في التاسع من حزيران ٢٠١٢، وهو في طريقه إلى الأردن لتسليم بضاعته.

توسل إلى عناصر الحاجز لإفراغ حمولة السيارة وتفتيشها للتأكد من عدم صحة التهمة الموجهة إليه، ولكن طلبه قوبل بالرفض، ليعتقل وتحجز بضاعته.

فقدت عائلة «محمد محمود تناري» تواصلها معه، فبدأت بسؤال معارفه في دمشق عنه، ثم في الأردن علّه يكون قد وصل وتطمئن عليه، ولكن الجميع أكدوا عدم رؤيته أو معرفة أي شيءٍ عنه، ثم بدأ ابن محمد بالبحث عن سائق السيارة الذي كان يرافقه، وتمكن من الوصول إليه، ليعلم حينها باعتقال أبيه وتهمته، وهو ما زاد من ضياع عائلته، لا سيما أن وضع مدينتهم معرة النعمان كان سيئاً، وكانت العائلة نازحةً إلى مدينة سراقب، فلم تعد تعلم أين تتجه، وكيف تتحرك لمساعدته.

ولأن أكبر أبناء محمد بات في سن الخدمة الإلزامية، وأن زوجة محمد لا تستطيع ترك أولادها العشرة والتوجه إلى دمشق، وأن هناك خطراً يتهدد إخوته في حال ذهابهم، لم يعرفوا أي معلوماتٍ عنه، ولم يحرك أحد فيهم ساكناً، باستثناء متابعة أخبار المعتقلين، والمفرج عنهم من السجون، علّهم يحظونَ بأخبارٍ عنه، وهو ما حدث بالفعل، ولكن عكس ما كانوا يتمنون.

تقول زوجة الشهيد محمد: «بعد اعتقال زوجي بسبعة أشهر، وصلني خبر أنه استشهد في الفرع ٢٢٧ بدمشق، في ٢٠ كانون الثاني عام ٢٠١٣، حين خرج أحد المعتقلين من معرة النعمان وأخبرنا بذلك، حدث الأمر مصادفة، ولم نكن نعلم أنه استشهد، ولكن عندما علم شقيق زوجي بخروج المعتقل، ذهب إليه وأراد أن يسأله عن المحامية التي أخرجته من السجن، ولكن الشاب تغير لونه عندما شاهد شقيق زوجي، فسأله: هل تعرف أي خبر عن أخي؟، فأجابه بأنه استشهد بين يديه».

دخل السجانون إلى الزنزانة ونادوا: «المعراوي» للتحقيق معه، في إشارة إلى محمد، ثم قاموا بحلاقة شعره، واصطحبوه معهم، وبقي في غرفة التعذيب ثلاثة أيام، أعادوه بعدها إلى الزنزانة وهو مغطىً بالدماء، وآثار التعذيب ظاهرةً عليه، سأله ابن مدينته عن اسمه، فردّده بصعوبة بالغة وبحشرجة الموت، ثم ذكر اسم الأردن، دون أن يعلم الشاب السبب، وما هي إلا عشر دقائق وفارق محمد الحياة، فقام زملاؤه في الزنزانة بلفّه بغطاء، ثم جاء خمسة سجانين حتى استطاعوا حمله، فقد كان ضخم البنية، ولم يقدروا على حمله، وفقاً لما نقلته زوجة الشهيد عن المعتقل السابق الذي أبلغهم باستشهاد زوجها، مضيفةً:
«بعد سماعي نبأ استشهاده، تحلّيت بالشجاعة، وربما باللامبالاة، ولرغبتي بتأكيد الخبر أو نفيه والأمل بحياته، ذهبت إلى القضاء العسكري في حي المزة بدمشق، وقدمت بطاقة بحث عن محمد، فتم تحويلي إلى الشرطة العسكرية في القابون، وهناك أعطوني شهادة وفاة، وأبلغوني أنه توفي، وقال لي أحدهم حرفياً: زوجك لم يتحمل، فقلت له زوجي مظلوم وأنتم قتلتموه، وانهرت تماماً».

صمتت الزوجة قليلاً ثم استطردت قائلةً: «كان رقم جثته ١٠٣٠، فقد أحضرت شهادة وفاته، بالإضافة لهويته وجواز سفره، وهاتفه الجوال، وطالبتهم بالبضاعة التي كانت بحوزته، وعندما رفضوا قالت لهم: عندي عشرة أولاد كيف سأربّيهم، فصرخ بي أحدهم: اذهبي ولا تخافي سوف يكبرون، وبالفعل غادرت إلى المعرة وأنا في حالة انهيار، وما زلت حتى اليوم أعاني المرض، ولدي انهيار عصبي وأتلقى العلاج حتى الآن».

حِملٌ كبير تركه «محمد» على كاهل زوجته وأولاده، ولا سيما ابنه البكر الذي حمل مسؤولية عائلة كبيرة في وقت مبكر، وبات الأب والأخ لهم، بعد أن فقدوا والدهم الذي لا يمر يوماً عليهم دون أن يكون محور حديثهم، وسبباً في بكائهم.

الشهيد محمد من مواليد أول كانون الأول عام ١٩٦٦، طويل القامة، ضخم الجثة، قوي البنية، أبيض الوجه، حنوناً وكريماً مع أطفاله، لم يعتد على الذل والإهانة، ولذلك لم يتحمّل ظلم السجن، بحسب زوجته التي ختمت بالقول:
«أكثر ما يحزنني ولدي الصغير، وعمره سبعة أعوام، فهو ينظر إلى القمر كل ليلة، ويتحدث إليه، ويخبره بكل ما يجري معه، وفي قناعته أن القمر يوصل رسائله وأخباره إلى أبيه، وعندما أُجريت له عملية جراحية قبل مدة، تحدث كعادته إلى القمر وطلب منه أن يخبر والده بأنه مريض علّه يأتي لزيارته».

لاعب الشطرنج.. الشهيد
حسن محمد فائز السيد عيسى

ما إن تنظر في عيني ذلك الرجل الستيني، حتى ترى عشرات القصص التي تتحدث وحدها قبل صاحبها، تتحدث عن نفسها بنفسها، لتدرك أنت الحكاية قبل أن تُروى.
تُحدثك تلك القصص عن مواجع ولوعة قلب أبٍ على ولدٍ استشهد تحت التعذيب، وولدٍ غيبته سجون الأسد، فلا يعرف الأب أهو حي فيرجى أم هو ميت فينسى.

بعد تنهيدةٍ طويلةٍ أشبه بزوبعةٍ خرجت من صدره، بدأ حديثه وهو جالس على كرسيه في منزله بمدينة إدلب:
«ولدي حسن من مواليد ١٩٨٢، متوسط الطول، ممتلئ الجسم، ذو بشرة بيضاء وعينان عسليتان، كان شاباً هادئاً وذكياً، يحب الهدوء والوحدة، يحب الشطرنج، وشارك في بطولات محلية عندما كان في المرحلة الثانوية، كما انتسب لنادي العمال في الشطرنج، حصل على الشهادة الثانوية التجارية، ولكنه لم يكمل دراسته الجامعية، وعمل في مجال المحاسبة».

وأضاف «محمد فائز السيد عيسى» والد الشهيد حسن: «في ٢٥ أيار عام ٢٠١٢، وأثناء عودته من عمله، احتجزه عناصر حاجز المطلق على طريق أريحا، كان برفقة أحد أصدقائه الذي أبلغنا بأن فرع أمن الدولة هو من اعتقله، كان عمر ولده البكر آنذاك ثلاث سنوات، وعمر ابنته شهر واحد، وها هي ذي قد كبُرت في غياب والدها دون أن تعرفه أو تتربى في حضنه».

بعد برهة صمت، تابع الأب: «لم نتواصل مع أحد بعد اعتقاله على أمل أن يخرج، فهو على عكس إخوته لم يشارك حتى بالمظاهرات، ولكن زوجته تمكنت من زيارته بعد شهر من اعتقاله».

يكمل شقيق حسن بعد الأب الذي يعجز عن مواصلة الحديث قائلاً:
«بعد عشرة أشهر من اعتقال حسن، حوِّل إلى كفر سوسة في دمشق، حسبما أبلغنا ابن عمي الذي كان معتقلاً معه ومن ثم افترقا وانقطعت أخباره عن العائلة».
في تشرين الثاني عام ٢٠١٣، توجهت والدة حسن إلى محكمة الإرهاب للسؤال عنه، فأحيلت إلى سجن صيدنايا، وهناك تم توزيع أوراق على ذوي المعتقلين وأخبروهم أن الشخص الذي لا يستلم ورقة عليه المغادرة

بسبب عدم وجود ابنه لديهم، واستلمت أم حسن ورقةً أعطتها الحياة والأمل، لأن استلامها يعني أن ابنها على قيد الحياة وموجود في هذا المكان، فحاولت رؤيته لكنها لم تفلح بذلك، فقد كان الأوان قد فات، إذ أحيلت إلى مشفى المجتهد بدمشق، وهناك استلمت شهادة وفاة حسن.

عادت الأم الثكلى إلى إدلب بقلب دامٍ، حاملةً ورقةً تثبت موت جزء من روحها، وقطعةً من قلبها، كان مكتفياً بالعيش مع زوجته وطفليه ولم يرد أن يخسرهم، لكنه لم يكن يدري أن نسبته سوف تكون بلاء عليه.

يؤكد الأخ أن حسنٍ كان يعيش بعيداً عن الناسِ، من عمله إلى منزله وبالعكس، يحب البقاء مع أسرته، مضيفاً: «لقد أثر غيابه عليّ كثيراً، ففقدان الأخ موجع جداً، والموجع أكثر هو حزن أطفاله، فعلى الرغم من أن ابنه كان صغيراً عند اعتقاله، إلا أنه دائم الذكر له، ويحتفظ بمقاطع فيديو نلاعبه فيها أنا وحسن، واليوم يعيش مع أمه وأخته في بيت جده، وكلما جاؤوا لزيارتنا يقولون هذا بيت أبي، هنا كان يجلس والدي، وكلما شاهدوا أي شيء من حاجياته يقولون هذا لوالدي».

وجع الاختفاء القسري يضاهي وجع الموت بل ربما أقسى

بعد أن تأكدوا من استشهاد ابنهم «حسن»، ما تزال أسئلة كثيرة تراود عائلة «السيد عيسى» حول مصير شقيقه الأصغر ومدلل العائلة «محمد»، دون أن يجدوا لها أجوبةً.

محمد من مواليد ١٩٩٠، كان يعمل في نجارة الموبيليا، بعد أن أنهى خدمته الإلزامية قبل بدء الثورة بأيام، كان شاباً طموحاً، يرسم مستقبله بثقة، ويحلم بأن يعيش ويؤسس أسرة، يحب الأصدقاء والمرح، جميل هادئ حنطي البشرة، وعيونه بنية واسعة، تزين وجهه لحية خفيفة وشارب مثلها.

شارك بالمظاهرات السلمية مع شقيقه المتحدث: «بعد اقتحام الجيش لمدينة إدلب، غادر جميع الشبان المطلوبون للنظام بسبب مشاركتهم بالثورة، إلى منطقة قريبة من المدينة اسمها «جدار»، وكان محمد يزورني بين حين وآخر، يسلك طريقاً مخصصاً للثوار، وفي ٢٥ آب عام ٢٠١٢، كان محمد في زيارة لي، وأثناء عودته كان قد تم اكتشاف الطريق، وكان هناك حاجز للنظام والشبيحة، وتم اعتقال محمد، واتصلوا بي بعدها مباشرةً وحاولوا نصب كمينٍ لي، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، فقد كنا اتفقنا على كلمة سر خاصةٍ بنا في حال تعرضَ أحدنا للخطر».

وأضاف الأخ: «اختفى محمد ولم نعرف عنه أي شيء بعدها، وذهبت أمي إلى فرع أمن الدولة في إدلب، وقدمت طلباً لفرعي الأمن العسكري والأمن السياسي، وكلاهما لم يعترفا بوجوده في سجونهما، ثم توجهت أمي إلى دمشق باحثةً عنه في الأفرع الأمنية هناك ولم تجد له أي أثر، وكلما أفرج عن معتقل نسأله عن محمد، وحتى الآن لم نلتقِ بأيّ معتقل رآه، وما زال حتى هذه اللحظة مصيره مجهولا بالنسبة لنا».

«وجع الاختفاء القسري يضاهي وجع الموت، فحين لا تعلم أن أخاك حي أو ميت ربما أقسى بكثير من علمك بأنه استشهد، فكيف إذا اجتمع كلاهما»، بهذه الكلمات ختم شقيق الشهيد «حسن» والمغيّب قسرياً «محمد السيد عيسى».

عاد بعلاج لابنته فكانت نهايته في معتقلات النظام.. الشهيد محمد عبد الكريم سماق

«محمد عبد الكريم سماق» الشاب الخلوق والمهذب والخجول - كما يصفه أبناء حيه- كان بسيطاً، وصاحب خلق، قليل الاحتكاك بالناس، ملتزماً بعمله ولقمة عيشه منذ أن ترك دراسته في المرحلة الإعدادية، وتحول للعمل الحر، ليعمل بأي عمل متاح، همه كسب رزقه حلالاً، حتى كانت نهايته في معتقلات النظام السوري.

محمد من مواليد مدينة بنش ١٩٨٩، تزوج من ابنة خاله في بداية الثورة عام ٢٠١١، وعاشا سوية في مدينته حتى رزق بطفلة معوقة، اضطرته الظروف بعدها إلى السفر للعمل في لبنان، لتأمين حياة أسرته، لاسيما وأن طفلته تحتاج لعلاج دائم.

«وسيم سماق» الأخ الشقيق للشهيد، كان صوته مليئاً بالحزن الممزوج بالصبر تحدث عن قصة أخيه، وهو يلملم الكلمات من أعماق رجولته ليطلقها، وهو كظيم، لكنها لم تكن لتخفي بحة الوجع والتأثر، قائلاً:
«لأخي محمد ابنة وحيدة اسمها إسراء في السنة السادسة من عمرها، تعاني عدة أمراض منها ضعف النمو، ونقص الأكسجين، والحاجة إلى تغيير دمها كل شهرين، مع ضعف بالسمع، إضافة إلى كونها معوقة».

عمل محمد قرابة عام في لبنان من ٢٠١٢ حتى عام ٢٠١٣، ثم عاد إلى سورية حاملاً علاجاً لابنته. يقول أخوه وسيم:
«كانت زوجته عند أهلها في اللاذقية، فأخبرته أن إسراء بحاجة إلى دواء غير متوفر في

سورية، عاد محمد جالباً الدواء إلى اللاذقية، لعلاج ابنته ولقاء زوجته، وبعد مضي عشرة أيام مع أسرته، انطلق للعودة إلى لبنان، وفي موقف الحافلات بمدينة اللاذقية اعتقل، كان ذلك في الرابع من آذار ٢٠١٣، حين وصلنا الخبر من ابن خالي الذي كان يرافقه».

انقطعت أخبار محمد عن العائلة لنحو عام، رغم كل مساعي العائلة في البحث عنه، حالهم كحال مئات الآلاف من أهالي المعتقلين، الذين لا يوفرون جهداً في البحث والسؤال عن مصير أبنائهم وعن المعتقلات والسجون التي يقبعون فيها، ولا تثمر تلك الجهود في معظم الأحيان، كما حدث مع أهل محمد، غير أن معتقلاً خرج ذات يوم من بلدته، وحمل خبراً عنه.

ويردف وسيم: «خرج أحد المعتقلين من أبناء مدينة بنش في عام ٢٠١٤، فأسرعت إلى زيارته لسؤاله عن محمد، وهي عادة لدى أهالي المعتقلين يسألون كل من يخرج من السجن، إذا ما كان قد رأى ابنهم، فأخبرني أنه التقى به في سجن «مطار المزة العسكري»، ولم يستطع أن يفهم منه شيئاً، فاللقاء لم يدم أكثر من ١٥ دقيقة، وكل ما نقله لنا أن أخي يعاني ضعفاً شديداً، وقد كان ذا صحة جيدة قبل الاعتقال».

خلال خمس سنوات وصلتنا معلومة واحدة مفادها أنه ضعف من تعذيب السجان، وأنه في معتقل مطار المزة، وكان الأمل لا يفارق العائلة، بأن يأتي يوم، ويخرج فيه محمد إلى الحياة من جديد، فيخلص من ألوان الموت التي يكابدها كل يوم، حتى أن والده أثناء خروج أهالي الفوعة وكفريا، وصفقة تبادل الأسرى التي أذيعت، كان متفائلاً جداً بأن يخرج محمد، وطلب من ابنه وسيم التوجه لاستقبال المعتقلين المفرج عنهم لقوة أمله باستقبال ابنه.

لم يمضِ على أمل الوالد المفجوع عشرة أيام، حتى أتاه خبر استشهاد ابنه، بعدما أرسل النظام شهادة وفاة إضافة لبطاقة شخصية لمحمد تسلمها أهله، كما روى شقيقه وسيم، والذي أكمل:
«وصلنا الخبر بتاريخ ٢٦ تموز ٢٠١٨، حيث أرسل لنا النظام شهادة وفاته وهويته، وقد ورد في شهادة الوفاة: أن أخي توفي بتاريخ ١٥ تشرين الأول ٢٠١٤، أي إنه استشهد بعد عام من اعتقاله».

فارق محمد الحياة في معتقلات النظام، تاركا خلفه طفلة ذات إعاقة، تعيش في كفالة جدها المعسور الحال أيضا، محاولاً جهده أن يكون سنداً لها بعد استشهاد والدها.
محمد شهيد من شهداء المعتقلات وأمثاله كثر، منهم من عرف مصيرهم، ومنهم لا يزال مجهولاً، يموتون في العتمة دون التفات العالم لهم، رغم معرفة العالم بما يجري بحقهم وكيف يموتون.

بعد قطعنا للطرقات نقلوه بطائرة عسكرية..
الشهيد باسل وحيد الشيخ

في أحد أيام آذار عام ٢٠١٢، توجه «باسل وحيد الشيخ» ابن مدينة سرمدا، إلى ساحة باب الهوى مع صديقه حسين لإصلاح عطل بسيارته في إحدى ورشات الصيانة هناك، وكانت قوات النظام تتمركز في قطعة عسكرية بالقرب من الساحة.

ترك باسل سيارته في الورشة ريثما يتم إصلاحها، ليعود فيما بعد بصحبة صديقه لأخذها، ولكنهما تفاجأا بدورية أمن تنتظرهما، وأدركا بأن أحد زبانية النظام وعملائه قد أبلغ عن باسل، فهو المعروف بنشاطه الثوري، وهو من ترك دراسته ليلتحق بركب الثورة، كما أنه ابن لعائلةٍ ثائرة لم تمنع نشاط ابنها بل دعمته وشاركت معه كلها في الثورة.

حاول باسل الاحتيال على الدورية، وأعطاهم اسماً غير اسمه، وأيد كلامه صديقه الوفي، ولكن ذكاءه لم ينفعه، إذ بقي عناصر الدورية برفقة الصديقين، بينما ذهب أحد عناصرها إلى ذلك المُخْبِر، الذي كان مختبئاً في مكان قريب يراقب، فعاد العنصر مؤكداً البلاغ الذي وصلهم، وكاشفاً لعبة باسل، فانهال عناصر الدورية بالضرب على باسل وصديقه، واقتادوهما إلى النقطة العسكرية في باب الهوى.

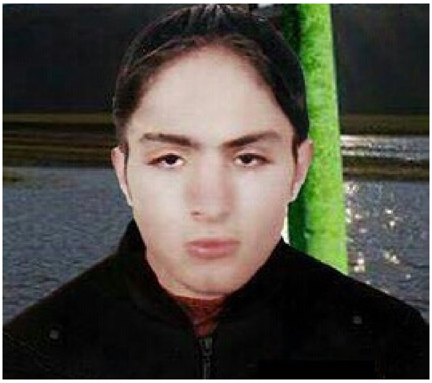

لجأ إخوة باسل وأصدقاؤه الثوار، لقطع الطرقات في المنطقة لمنع عناصر النظام من نقل باسل ومن معه، ومحاولة التفاوض معهم، وكانت عادة النظام نقل المعتقلين بسيارات مدنية خاصة أو سيارات أجرة لإبعاد الشبهات حول وجود معتقلين بداخلها، ومرت ١٠ أيام والمفاوضات جارية بين الطرفين، والثوار يتلقون وعوداً لم تكن إلا من باب المماطلة، إلى أن تفاجأ الثوار بحادثة هي الأولى من نوعها في منطقتهم، إذ استخدم النظام هذه المرة طائرة عسكرية لنقل المعتقلين، حينها عرف الثوار أن تلك الوعود والمفاوضات من قبل النقطة العسكرية لم تكن سوى إبراً مسكنة لهم ريثما يحقق النظام مبتغاه.
ومع ذلك لم يتوقف إخوة باسل وأصدقاؤه عن التفاوض مع النظام بشتى الطرق، ولكن هذه المرة بدؤوا بمحاولة التفاوض على تبادل الأسرى بين الطرفين.

ولكن في أواخر عام ٢٠١٣، خرج أحد أبناء مدينته سرمدا، ليحمل معه نهاية القصة، ونهاية الأمل بعودة باسل، إذ أخبر الشاب عائلة باسل أن ابنها استشهد في آب من نفس العام، أي

بعد اعتقاله بنحو خمسة أشهر، وأنه قضى آخر ساعات حياته مريضاً بلا دواء ولا علاج، منهكاً من شدة التعذيب الوحشي الذي كان يتعرض له لساعات طويلة دون توقفٍ أو مراعاةٍ لصغر سنه، إذ إن الشهيد «باسل وحيد الشيخ» من مواليد كانون الثاني ١٩٩٤.

يقول أخو الشهيد «باسل»: «بعد ٣ أشهر من استشهاده وصلنا الخبر، كان وقعه علينا شديداً جداً، ولا سيما والدتي التي كانت مريضة، وتوفيت بعد أن تلقينا نبأ استشهاد باسل بثلاثة أشهر، ما زاد سوء حالتها الصحية، أما أبي فكان صابراً محتسباً، يدفن حزناً عميقاً في قلبه، ويصبّرنا ويدعونا للاحتساب عند اللّه، لن أنسى تلك اللحظة مادمت حياً»، مضيفاً:
«مازلنا إلى الآن نخلد ذكراه بيننا، ونتذكر مزاحه معنا تارةً وعصبيته تارةً أخرى، رحم اللّه أخي وأمي، كم أفتقدهما، وكم أتمنى لقاءهما»

من لوحات الفنان نجاح البقاعي

زوجك مات.. الشهيد مصطفى محمد الأسعد

«مصطفى مات».. بكل بساطة، وبلا أي إنسانية أو رحمة أو مراعاة لمشاعر زوجة، جاءت تسأل عن زوجها وأبي ابنتها، والذين كانوا قد اعتقلوه، وصعقوه بالكهرباء كما أخبرها، بكلمة واحدة أجابوها بدم بارد عن سؤالها عنه، وبددوا كل أمل لديها بعودته، ورفضوا إعطاءها شهادة وفاة له أو هوية، كما رفضوا إعادة أغراضه الخاصة، وساعة يده، ونظارته الشمسية، لتضيفها إلى مجموعة ذكرياته.

وهي التي كانت منذ لحظة اعتقاله، تشتري له الملابس، والأشياء التي يحبها، وحتى الهاتف المحمول اشترته له، تخبئ له كل ما تشتريه إلى حين عودته التي لم تعد بالإمكان، فقد قالوها: «مصطفى مات»، وانتهى كل شيء.

أصيبت بالصدمة من هول تلك الكلمة، فقد كانت ثقيلةً جداً عليها، فعادت مكسورة القلب إلى مدينتها بنش، غير مصدقةٍ للخبر، ومنذ ذلك اليوم، ترفض الحديث في أمر استشهاده، ورحيله عنها وعن ابنتها، كما ترفض الخروج من منزل زوجها إلى أي منزل آخر سواء أكان منزل أهلها أو أهله، وهي منطوية على نفسها، لا تخرج إلا إلى عملها في المدرسة التي تدرس فيها، ولزيارة أهله بين فترة وأخرى.

أما والدة «مصطفى» فليس حالها بأفضل من حال زوجته، فهي دائمة البكاء عليه، لا تنفك عن سيرته، جملتها اليومية: «تركتني ورحت، يا ليت لك قبر حتى روح زورك وشم ترابك»، في حين أصيب والد «مصطفى» بأزمة قلبية بعد استشهاد ابنه بفترة حزناً عليه، ليلحق به إلى الجنة، بحسب تعبير أخت الشهيد «مصطفى محمد الأسعد» التي تفتقد هي الأخرى، أخاها وصديقها الذي كان يساندها في كل مشكلة تعترضها.. اليوم تعيش وحيدة حزينة لا تجد ذلك الداعم.

وتضيف أخت الشهيد مصطفى: «كان شاباً طويل القامة، نحيل الجسم، عصبيّاً، لكنه جريء ومحبوب، يحترم الجميع، يهوى الصيد واقتناء الطيور، والكمبيوتر، حصل على الشهادة الثانوية، وعمل بوظيفة مراقب دوام بدائرة الخدمات في مدينة إدلب إلى أن اعتقله النظام وهو عائد منها».

الاعتقال والاستشهاد

في ٢١ تموز عام ٢٠١٣، تأخر «مصطفى الأسعد» بالعودة إلى منزله، ولم يكن من عادته أن يتأخر، ما أثار قلق عائلته ودفعها للسؤال عنه في مكان عمله بدائرة الخدمات، وكانت الإجابة أن حاجزاً تابعاً لأمن الدولة عند مركز الامتحانات في إدلب قد اعتقل مصطفى.

بقي مصطفى في سجن إدلب ٨ أشهر، استطاعت زوجته خلالها التواصل مع مسؤولين، ودفعت مبالغ مالية عدة مرات لزيارته، وفي إحدى الزيارات أخبرها مصطفى أن صدره ممزق من الصعقات الكهربائية التي صعقوه بها، وأنه يتعرض للتعذيب كثيراً، وبسبب هذا التعذيب أجبروه على الاعتراف بالتهم التي نسبوها إليه، وبجرائم لم يقترفها، فقد شارك مصطفى بالمظاهرات السلمية فقط، بينما لم يحمل سلاحاً، أو يشارك في معارك.

بعد ذلك نُقل مصطفى إلى دمشق، وظلت زوجته تتردد إلى الأفرع الأمنية للسؤال عنه ورؤيته كما كانت تفعل في إدلب، لم تمل أو تتوقف أبداً، إلى أن ذهبت آخر مرة للسؤال عنه، فطلبوا منها مراجعتهم بعد خمسة عشر يوماً، وعند عودتها إليهم في تشرين الأول عام ٢٠١٦، قالو لها: «مصطفى مات»، ومع ذلك رفضوا منحها شهادة وفاة له، كما رفضوا إعطاءها أغراضه الخاصة، وكل ذلك دون أي تبريرٍ منهم.

الشهيد «مصطفى محمد الأسعد» من أبناء مدينة بنش، مواليد شباط ١٩٨١، متزوج ولديه طفلة صغيرة، عمرها اليوم ٦ سنوات، لا تعرف أباها إلا من خلال صوره، لكنها تزيد من آلام كل من حولها، بنظرها إلى صوره باستمرار وحديثها الدائم مع تلك الصور ظناً منها أنها تحدثه، وتنهي حديثها دائماً بقولها: «ياريتني موت وروح عالجنة لعندك يا بابا».

ثالث أخويه المعتقلين وثانيهما بالشهادة
الشهيد زياد محمد خالد عبيد

عائلة تشبه سورية في وجعها، بقهرها المدفون بين زيتونها وياسمينها، عائلة احتل الحزن والظلم تفاصيل وجوه من بقي منها.

«محمد خالد عبيد» الأب الذي اعتقل أولاده الثلاثة لنشاطهم الثوري منذ بداية الحراك السلمي في إدلب، لم تتوقف نكباته هنا، بل توالت الصدمات عليه حتى تسبب في نهايته.

«زياد محمد خالد عبيد» من مواليد ١٩٨٠، لم يكمل تعليمه، ولكنه كان ماهراً في عمله كميكانيكي سيارات، وكانت مشاركته في المظاهرات السلمية التي انطلقت في إدلب سبباً في اعتقاله في الأول من تموز ٢٠١٢ من مكان عمله حيث تم تحويله إلى فرع أمن الدولة في إدلب.

قامت العائلة بتوكيل محام في محاولة لإطلاق سراحه، لكن تم إبلاغهم رفض فرع أمن الدولة لطلبهم بحجة أنه إرهابي، ولم تجد كل محاولات العائلة مع بعض الوساطات، بعد أن أبلغهم فرع الأمن استحالة إطلاق سراحه ومنع الحديث عنه أو التفاوض عليه.

لم يبق زياد في السجن طويلاً حتى استشهد في الثالث والعشرين من شهر آب ٢٠١٢ عقب تعرضه للتعذيب الشديد انتهى باستشهاده، وحولت جثته إلى المشفى الوطني في إدلب، حيث قام أمن الدولة بإبلاغ عائلته لتستلم جثته وبطاقته الشخصية وإخراج شهادة وفاة له.

غادر زياد الحياة تاركاً خلفه زوجة مقهورة تحتفظ بحزنها حتى اليوم، كما أولاده الثلاثة، أكبرهم صبي لا يتجاوز عمره اليوم ١٣ عاما، وطفلتين.

يقولٍ العم «خيرِ الدين» الذي عانى اعتقال أشقائه ووالده وخسارتهم، ويتحمل اليوم عبئاً كبيراً ومسؤوليةً أنهكته:
«مهما حاولت إسعادهم أشعر أن في قلبهم غصة لا تزول».. يتوقف خير الدين وقد كسرته العبرة التي يحاول تجاهلها، ليبدأ من جديد بصوت مرتجف، «كان والدهم محباً لهم، ورغم أنهم لم يعرفوه جيداً لصغرهم حين اعتقاله، إلا أنهم لا ينفكون عن الحديث عن الذكريات القليلة التي يستحضرونها عنه».

أما الأم فخسارة ولديها بتلك الطريقة وزوجها، والأزمات التي مرت عليها دفعتها للانطواء والعزلة في منزلها مع ذكرياتها، رافضة الخروج منه منذ عام ٢٠١٢ وحتى اليوم.

يتشابه الأخوين زياد وخير الدين بالبنية والجسم والميول، كما يتشابهان في الهواية وعشق الرياضة وحمل الأثقال، لما لهم من قوام طويل، فقد كان طول زياد ١٨٥ سنتمتر ووزنه ٩٠ كيلوغراما، تترافق تلك الصفات الجسمانية بصفات خلقية أحبهما الناس من خلالها.

يسترجع خير الدين ذكرى لقائه بشقيقه زياد في موقف صعب قائلاً:
«لا أنسى تلك الحادثة ما حييت، حين فوجئت برؤية شقيقي زياد في السجن وهو يُعذب، فقد اعتقلت قبله بشهرين، وكنت في فرع أمن الدولة، كان ذلك حين أخرجوني من غرفة التحقيق متوجهاً إلى زنزانتي، فرأيته في الممر مشبوحاً وآثار التعذيب ظاهرة على وجهه، كان يئن ويتألم، فاقتربت منه وفككت وثاقه وأنا أتعارك مع السجان وأصرخ هذا أخي.. لا أستطيع وصف شعوري حينها، كان إحساساً قاسياً لا يمكن وصفه بالكلمات».

تعرض خير الدين جراء فعلته لتعذيب وحشي، فتم شبحه وصعقه بالكهرباء وبساط الريح، كما تم وضعه في المنفردة لعدة أيام، لينقل بعد سبعة أشهر إلى دمشق، برفقة أخيه الثاني المعتقل ظافر، في حين كان زياد أكبرهم، وحين وصولهم إلى دمشق تم تفريقه عن ظافر ولم يسمع أي خبر عنه بعدها إلى حين خروجه من السجن ومعرفته باستشهاده.

يضيف خير الدين: «سجنت في فرع أمن الدولة ٢٨٥ في دمشق، وبقيت ستة أشهر حتى تمكن أبي من إخراجي من السجن بعد دفع تسعة ملايين ليرة سورية، قاموا بعدها بتحويلي إلى سجن عدرا، وهناك علمت أن أخي زياد استشهد في مكالمة هاتفية مع أهلي، ومنذ سنة ونصف تقريباً خرجت من المعتقل في صفقة تبادل أسرى مع النظام».

كان يحاول إخفاء يده المبتورة من جراء تعرضه لحادث في صغره، تلك اليد المبتورة تسببت له بالكثير من التعذيب في السجن، إذ لم يكن المحققون يصدقون أنها لم تكن بسبب مشاركته في حمل السلاح.
هذه عائلة سورية واحدة، أذاقها نظام الأسد الموت تعذيباً، كما فعل في سوريا كلها.

أراد أن يجنب أطفاله اليتم الذي ذاقه فتكررت مأساته.. الشهيد إبراهيم محمد العمر

لم يكن الابن قادراً على التفوه بأية كلمة، كما أخته التي اكتفت بالتعبير عن وجعها بدموعها، وحدها تلك المرأة الجبلية الصلبة كانت قادرة على المكابرة، حين تكلمت بشموخ جبل الزاوية مسقط رأسها ورأس زوجها.

الشهيد «إبراهيم محمد العمر» مواليد ١٠ آب عام ١٩٥٠، كان يقيم مع عائلته في دمشق، وذلك بحكم عمله السابق موظفاً في دائرة الجمارك، وعندما اندلعت الثورة السورية كان أحد أبناء إبراهيم في سن الخدمة الإلزامية، فآثر إبراهيم وعائلته ترك منزلهم في مشروع دمر بدمشق عام ٢٠١٢، والعودة إلى قريتهم «كفر حايا» في جبل الزاوية، وذلك حتى لا يضطر للالتحاق بالخدمة العسكرية في صفوف الجيش الذي يقتل أبناء بلده.

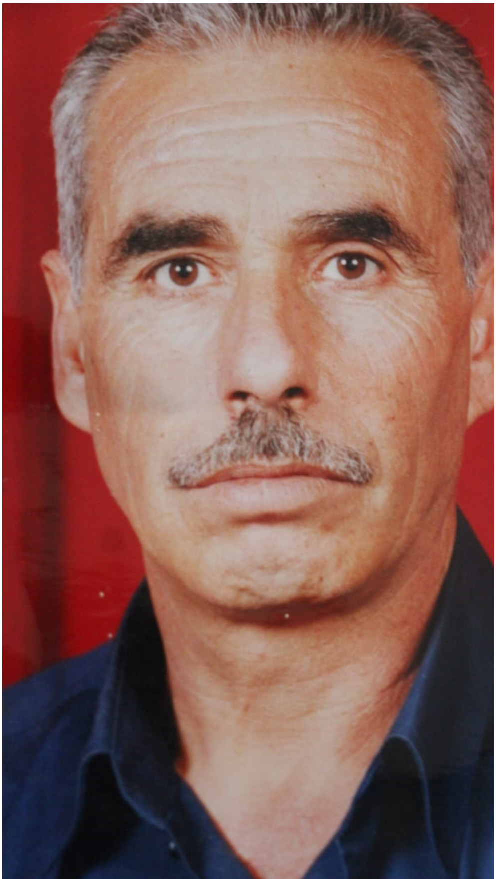

وفي حزيران عام ٢٠١٣، ذهب «إبراهيم» إلى دمشق لتفقد أحوال منزله في ظل ما يحدث من انتهاكات وسرقات واستيلاء على المنازل، لم يخطر في باله أن يعتقل وهو الرجل الكبير في السن والمتقاعد من الخدمة، وذلك على الرغم من تحذيرات زوجته له، نظراً لكونه شارك بالثورة مع أبنائه الثلاثة الشبان، بحسب زوجة الشهيد «إبراهيم العمر»، والتي أضافت:

«على غير ما توقعه إبراهيم، تم اعتقاله في دمشق، أبلغتنا باعتقاله قريبة لنا تقيم هناك، فأوكلنا أمر الدفاع عنه إلى محام من قرية «الفطيرة» القريبة، ووعدنا أن يبلغنا أي خبر عنه، أو مكان وجوده، ويسعى لإخراجه من السجن، ولكنه لم يتمكن من فعل شيء في بداية الأمر، بعدها خرج شقيق زوجي من السجن، وكان قد التقى بأخيه إبراهيم في الفرع ٢١٥ في كفر سوسة بدمشق، قبل أن يتم إطلاق سراحه ويبقى زوجي الذي لم يرحموا كبر سنه، واستمروا في تعذيبه حتى استشهد في ١٩ آذار عام ٢٠١٤».

خرج شقيق إبراهيم من السجن وترك شقيقه حياً، ولكنه شهد مدى التعذيب الذي تعرض له إبراهيم في تلك الفترة، لتتفاجأ العائلة بعد فترة باتصال من المحامي يبلغهم فيه أن إبراهيم استشهد، وأن جثته في مشفى تشرين، وبالطبع شقيقه لم يستغرب نظراً لما شاهده من تعذيب لأخيه، ولم تفكر العائلة بعد ذلك بالحصول على شهادة وفاة لإبراهيم، ولا بتفقد المنزل مرةً أخرى.. فما خسرته أكبر وكان كافيا لها.

يقول ابن الشهيد «إبراهيم» بصوتٍ مخنوق: «كان أبي حنوناً جداً علينا، ربما لأنه عاش يتيماً فأراد أن يمنحنا كل العاطفة التي حُرم منها في صغره، أفتقده في كل لحظة، وأحتاج وجوده إلى جانبي في كل موقف».

تضيف زوجة الشهيد: «ثلاثة شبان وخمس بنات.. حِمْلٌ ثقيل تركه على كاهلي، سافر شابان إلى الخارج وبقينا نعيش في هذا المنزل، لم نكن نتوقع أن يتحول حالنا إلى هذه الدرجة من البؤس، غادرنا منزلنا في دمشق حاملين بعض الأشياء الهامة فقط، وظننا أننا سنعود قريباً، لقد خسرنا منزلنا، والأصعب أننا خسرنا إبراهيم، وخسرنا حياتنا معه، ولم يبق لنا سوى الذكريات والصور».

من صفحة المعتقلون أولا

لو تعلمين ما نلقى لعذرتنا
الشهيد عدنان محمد محلول

ريفي بسيط، طيب القلب ومتسامح، ذو بشرةٍ حنطيّة وعيونٍ بنية، طويل القامة، نحيل الجسد، ضعيف البنية، كان يعاني مرضاً بمعدته، لم يحتمل التعذيب فاعترف بحمله السلاح ومشاركته بالثورة، علّه يخفف عن نفسه آلام التعذيب، ولكن اعترافه لم يشفع له، فقتلوه وظهر اسمه مؤخراً ضمن القوائم التي نشرت.

«عدنان محمد محلول» ابن بلدة إحسم بجبل الزاوية، مواليد عام ١٩٧٠، متزوج وعنده أربعة أولاد وابنتان، ابنه الصغير لا يعرفه أبداً، وهو اليوم ينادي عمّه «بابا»، أما ابنه الأكبر فهو متزوج وعنده طفلة، ولكنه حتى هذه اللحظة لا يصدق خبر استشهاد والده، على الرغم من علمهم باستشهاده قبل صدور القوائم الأخيرة، أما زوجة الشهيد فهي تعمل اليوم في صنع المؤونة وبيعها، بعد أن فقدت وعائلتها الزوج والأب والمعيل الوحيد لهم، وباتت أوضاعهم المادية سيئةً جداً، كما هي حالتهم النفسية.

كان «عدنان محمد محلول» موظفاً في معمل الغزل، وفي ١٨ شباط عام ٢٠١٣، اعتقل، وهو في طريق عودته من عمله إلى المنزل من قبل أحد الحواجز الموجودة على مدخل مدينة إدلب، وبعد أن علمت زوجته بأمر اعتقاله عن طريق أحد ركاب الحافلة التي كان يستقلها، لجأت إلى اللجان الشعبية و «الشبيحة» المتنفذين في بلدتها إحسم لمساعدتها للوصول إلى زوجها، لا سيما أنهم يعلمون بأنه لم يشارك بالثورة ولم يتسلح.

كان الأشخاص الذين لجأت إليهم زوجة «عدنان» يعطونها وعوداً بخروجه عما قريب، ويؤكدون لها أنها مجرد تحقيقات روتينية وسيخرج حالما ينتهي التحقيق معه، وهو ما منعها من توكيل محام له، رغم أنه أمر لم يثبت بالتجربة نجاعته، ولم يعرف سابقا عن معتقل قد أطلق سراحه عبر مُحام، بالإضافة إلى وضع عائلتها الماديّ السيء.

استمرت التحقيقات مع «عدنان» مدة ثمانية أشهر في فرع أمن الدولة بإدلب، استطاعت زوجته خلالها تأمين عدة زيارات له عبر اللجان الشعبية، ولكنه أخبرها في إحدى الزيارات بأنه اعترف تحت وطأة التعذيب بحمله السلاح على الرغم من عدم صحة ذلك، ليقوده اعترافه الذي حاول به حماية نفسه إلى دمشق ليقتله.

في الخامس من أيلول عام ٢٠١٣، قام الشبيحة في إحسم بإبلاغ زوجة عدنان بتحويله إلى الفرع ٢٨٥ في حي كفرسوسة بدمشق، ولكنهم لم يؤمنوا لها زيارةً لزوجها كما في إدلب، ولم تتمكن هي من زيارته، ولا من توكيل محام له، إذ إن وعود الشبيحة وعناصر اللجان الشعبية بخروجه استمرت ولم تتوقف أبداً، كما أن حالتها المادية لم تتحسن، ولا تملك لأبنائها الستة سوى منزل غير مكتمل البناء يعيشون فيه منذ خمسة عشر عاماً على هذا الوضع، بحسب زوجة الشهيد التي أضافت:

«تواصلت مع أحدهم من اللجان الشعبية، ووعدني أنه سوف يفرج عن عادل، ولكن في اليوم نفسه الذي كنت أنتظر فيه خروجه بحسب ما وعدني، وصلتني برقية من اللجان الشعبية يبلغونني فيها أن عادل استشهد، ويطلبون مني مراجعة فرع الأمن العسكري بإدلب، وعندما ذهبت إلى الفرع أكدوا لي استشهاده، وكان ذلك في أول كانون الأول عام ٢٠١٣، بعد ثلاثة أشهر من نقله إلى دمشق، ولم أتوجه إلى دمشق للحصول على شهادة وفاته أو هويته أو غير ذلك».

وختمت زوجة الشهيد حديثها بالقول: «من شدة التعذيب الذي تعرض له، ومن هول ما رآه من تعذيب للمعتقلين، اعترف بأنه مسلح، وعندما سألته كيف تعترف بذلك وأنت لست مسلحاً؟! قال لي:
«أنت ما بتعرفي شو صار وشو عم يصير فينا هون.. لو تعرفي كنت عذرتينا».

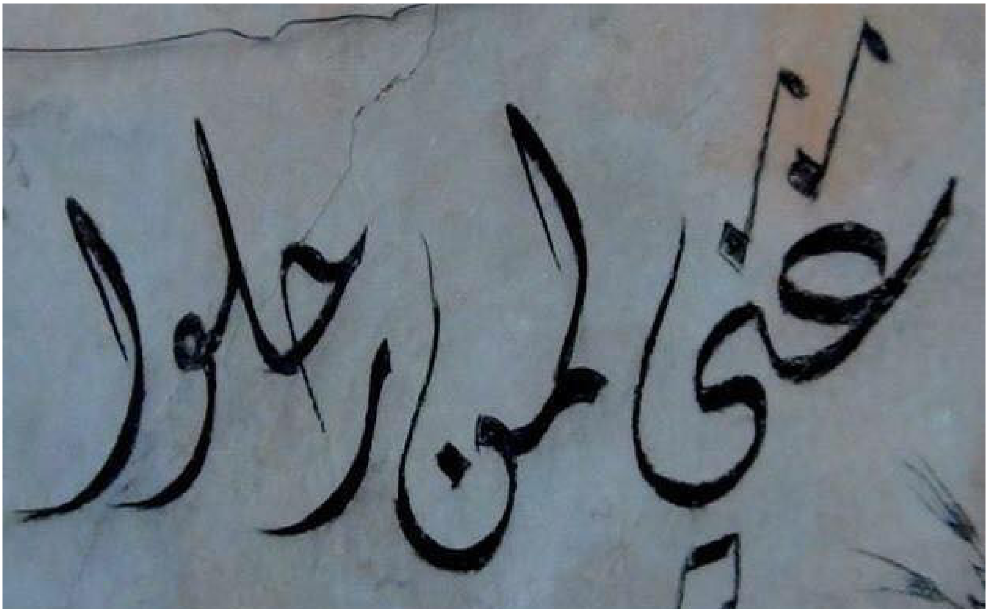

من صفحة حيطان سراقب

هذا بابا الكبير وذاك بابا الصغير
الشهيد إبراهيم رمضان زيدان

«هذا بابا الكبير وذاك بابا الصغير» يقولها ابن الخامسة الذي لم يمنحه القدر فرصة رؤية أبيه والتعرف إليه إلا بالصور، والتي كلما نظر إليها رأى والده الذي لا يعرفه، وأشار إلى أخيه الأكبر (الأب الذي يعرفه).

٤ أبناء و٣ بنات، ما بين الـ ٢٠ عاماً والـ ٥ أعوام، في قريته الصغيرة ترملا، تركهم خلفه ذاك الرجل البسيط، الذي لم يكمل تعليمه والتجأ منذ صغره للعمل في البناء، وعندما كبُر كان جل همه تأمين لقمة عيشهم، ولم يجد سوى لبنان لتكون مكان رزقه الذي يبحث عنه، بعد أن ضاقت به السبل في سورية، ليتركهم فيما بعد وللأبد لامرأةٍ أرملةٍ، اضطرت بعد رحيله للعمل في صناعة المؤن وبيعها لتأمين لقمة عيش أولادهما، وهو الذي لم يكن يدعها تحتاج للعمل قبل رحيله.

جوٌّ جديد عليها لم تكن تألفه من قبل، وحياة قاسية مليئة بالمصاعب، خلفها استشهاد زوجها «إبراهيم رمضان زيدان» تحت التعذيب في سجون النظام في كانون الأول عام ٢٠١٢، بعد اعتقاله على أحد حواجز حماة في ١ آذار من العام ذاته، أثناء توجهه إلى لبنان للعمل.

تتحدث زوجة الشهيد «إبراهيمٍ زيدان»: «إبراهيم من مواليد ١٩٧١، كان متجهاً إلى لبنان عندما اعتقلوه، أحد الركاب الذين كانوا معه في السيارة أخبرنا يومها باعتقاله، كان الخبر قاتلاً لنا، ولكنني رغم وضعنا الصعب، حاولت بشتى الوسائل أن أنقذه من بين أيديهم، فاستعنت بأشخاص لديهم علاقات مع أجهزة الأمن، ودفعت مبالغ مالية لأشخاص آخرين ليطلق سراحه، ولكنها كانت جميعها مجرد حالات نصبٍ واحتيال، ووعودٍ كاذبةٍ لا أكثر»، مضيفةً:

«لم أعرف سبب اعتقاله ولكن حسبما أبلغني أحد الأشخاص الذين لجأت إليهم لمساعدة زوجي أن تهمته هي أنه إرهابي».

أثارت المفردة ابنتها التي كانت تجلس إلى جوارها فقاطعتها بصوت بكائها الذي علا فجأةً، معبراً عما بداخلها من ألم وحرقة، ثم عادت الزوجة تكمل وسط تنهيداتها التي كانت تنطلق خارجةً من صدرها بعفوية:

«بعد تسعة أشهر من اعتقاله، مرت دون أن أتمكن من الوصول إليه، جاءني معتقل مفرج عنه

من أهالي قلعة المضيق، وأبلغني أن زوجي تنقل في أكثر من فرع، بدءاً من حماة إلى سجن «البالونة» العسكري بحمص، حيث التقيا هناك وتعرفا على بعضهما فيه وبقيا ٢٨ يوماً في ذلك السجن، وتعرض فيه إبراهيم لتعذيب شديد مرض على إثره، ليتم نقلهما منه إلى فرع فلسطين بدمشق، والذي استمر فيه تعذيب إبراهيم بشدة، وازدادت حالته الصحية سوءاً، واستشهد فيه جراء التعذيب».

وأضافت زوجة الشهيد إبراهيم: «بالرغم من الألم الكبير الذي عانينا منه على إثر الخبر، وبالرغم من أننا أقمنا عزاء له، إلا أنني بدأت أطارد الأمل، وأخبرت الجميع بأنني لن أصدق ما قيل، وسأعود للبحث عن زوجي، فذهبت إلى الشرطة العسكرية بدمشق، وإلى دار القضاء، وبحثت في أكثر من فرع، وكان الجميع ينكرون وجوده، ثم أبلغني محامي المصالحة أن زوجي في سجن صيدنايا، فطلبت منه أن يؤمّن لي زيارة لإبراهيم، لأتأكد من أنه على قيد الحياة، وبدأ يتهرب بحجة أنه ممنوع من الزيارة، لكنه تحت ضغط إصراري عليه، لم يعد يرد على اتصالاتي، فأدركت بأنه كاذب وأنه يتلاعب بنا، وها نحن اليوم نعيش على ذكراه، وقد أيقنّا بأنه استشهد، وأننا لن نراه ثانية».

لم تتمالك ابنته نفسها فأجهشت بالبكاء ثانيةً، وما بين دموع ابنتها الأرملة، التي فقدت زوجها بغارة للطيران الحربي بعد فقدانها لأبيها، وبين دموعها وهي الأم والأرملة، التي أثقلت كاهلها المصائب، تقول والكلمات تنزف دماً لا دمعاً:
«كان خبر استشهاد إبراهيم مدمراً لأولادي السبعة، وعانوا من حالة نفسية سيئة جداً، اكتئاب وحزن، وحديثهم الدائم في سهراتهم يدور حوله، يتسابقون في تذكير بعضهم بعضاً بحركاته ومواقفه، وماذا يحب وماذا يكره، وكل كلمة كان يقولها لهم، بينما يجلس ابني الأصغر الذي لم يره إلا بالصور، حاملاً صورة أبيه، يستمع بإمعان لحديث إخوته ويحفظه، ثم يتنقل ما بين الصورة التي في يده وبين أخيه الأكبر بجانبه، ويقول:
«هذا بابا الكبير وذاك بابا الصغير».

من صفحة المعتقلون أولا

قتلوه تحت التعذيب وشردوا أبناءه الثمانية
الشهيد حمدو جمعة بارود

«تاريخنا مؤلم مع هذا النظام منذ الثمانينيات».. بهذه العبارة بدأت أم حمدو المرأة التي تجاوزت الخامسة والستين من عمرها، مسترجعة معاناتها مع النظام منذ الثمانينيات، حين اعتقل زوجها لعشر سنوات بتهمة انتمائه إلى* الإخوان المسلمون*، ومعاناتها حتى ربت أطفالها، ليأتي يوم ويعتقل فيه ابنها حمدو وتعاد تجربة الفقر والحرمان مع أولاده.
«حمدو جمعة بارود» من مواليد قرية مرعيان في جبل الزاوية ١٩٦٩، ترك المدرسة بعد المرحلة الإعدادية ليتفرغ للعمل في دمشق بإحدى البلدات خلال سجن والده، برفقة زوجته وأولاده الثمانية.

ببساطة تم اعتقاله في عام ٢٠١٥، لا تعرف الوالدة العجوز الكثير من التفاصيل عن اعتقال ابنها، وذلك لبعد المسافة بين جبل الزاوية ودمشق، كل ما تذكره أن زوجة ابنها قد أبلغتها باتصال هاتفي باعتقاله، حينها عادت للأم المنهكة مرارة ذكرياتها مع سجن زوجها.

لم تفلح كل محاولات الزوجة في الوصول إلى زوجها وتوكيل محام له، فقد منعوها من رؤيته في فرع فلسطين، ونصحوها بعدم العودة بعد أن أعطوها شهادة القيادة الخاصة به، ورغم ذلك بقي أملها في عودته كبيراً، إلى أن خرج أحد المعتقلين من أهالي بلدة محمبل من محافظة إدلب، لتسرع الوالدة إليه علها تسمع خبراً عن ابنها.

أبلغها الشاب المفرج عنه أن حمدو استشهد في عام ٢٠١٦، بعد أن أخذ من زنزانته للتحقيق معه، ثم أعيدت ثيابه فقط، لم يتأكد عند إعادة ملابسه من وفاته، ولكن نتيجة لعادة نقل المعتقلين بين الزنازين فقد التقى بأحد المعتقلين الذي أخبره أن حمدو قد استشهد بسبب التعذيب.

تقول الوالدة أم حمدو: إنهم حرموها من ابنها وعائلته، فلا هي قادرة على الذهاب إلى دمشق، ولا هم قادرون على العودة إلى البلدة، هاجر ابنه البكر للعمل، في حين ظلت زوجته تعمل في تطريز الثياب لتعيل أبناءها، غير مصدقة أن زوجها قد توفي، وتقول لحماتها بأنها لن تعود إلى مرعيان إلا برفقته.
تحلف الأم الثكلى أن ابنها شاب طيب وعطوف، كان ذا وجه حسن وقوام طويل، لتغطي عينيها بيد، في حين تشير إلى صوره المعلقة على جدران الغرفة باليد الأخرى.

«أريد أن أرتاح من عذابهم»
الشهيد محمد أحمد طلاع

في أسرة بسيطة متواضعة الحال، الأب أصم أخرس، نشأ الفتى «محمد أحمد طلاع» مواليد ١٩٩٥، فقيراً، أجبرته ظروف أسرته المادية على ترك الدراسة والعمل أجيراً في مهنة طلاء الأثاث في مدينته إدلب. ومع اندلاع الثورة السورية وخوف والدته عليه، أقنعته بالسفر للعمل في لبنان رغم صغر سنه وعدم مغادرته لمنزله مسبقاً.

لم يطق الشاب الصغير بعده عن أسرته أكثر من ثلاثة أشهر، ليعود إلى مدينته متجاهلا إلحاح والدته بالبقاء في لبنان وتوسلاتها له بعدم العودة لما تشهده المدينة من ظروف أمنية صعبة، ليصل إلى إدلب في الخامس والعشرين من تشرين الأول ٢٠١٢.

لم تمض على الشاب الصغير سوى ثلاثة أيام في منزله حتى داهمت قوات النظام في منتصف الليل بشكل وحشي منزله، قاموا بعدها باحتجاز العائلة في إحدى غرف المنزل وانهالوا على محمد بالضرب والركل وسط صراخه وصراخ والدته التي تعرضت للتهديد إن لم تصمت، ومن ثم اقتياده مكبلاً معهم.

لم تتوان الأم عن التوسل لكل شخص في إدلب أن ينقذ ولدها الصغير الذي لم يكن قد تسلم دفتر خدمته العسكرية بعد، ولكن دون جدوى، فقد كان الجميع يطمئنها أن لا خطر عليه، وما هي إلا أيام قليلة ويعود لها بعد الانتهاء من التحقيق معه.

ومع استمرار محاولاتها تمكنت الأم من زيارة صغيرها في فرع أمن الدولة في المدينة، حين رأت آثار التعذيب عليه، وأخبرها أنه قد أجبر على الاعتراف بحيازته لمسدس، وأجابها حين لامته على الاعتراف على شيء لم يرتكبه «أريد أن أرتاح من تعذيبهم فلقد تعبت».

بحسرة بالغة وتنهيدة وعبرات مختنقة، كانت الأم تسرد قصة ابنها الذي كان طفلاً بنظرها، ولا يمكنه تحمل كل ما كابده من عذاب وظلم.

خمسة أشهر قضاها الفتى في سجون الأمن في إدلب، ثم نقل إلى دمشق، وانقطعت أخباره عن عائلته لمدة أربعة أشهر، حتى خرج أحد المعتقلين من أهالي المدينة، فسارعت الأم إلى زيارته مصطحبة صورة ابنها للسؤال عنه، وفور رؤية المفرج عنه لصورة ابنها تعرف عليه وأخبرها بأن محمد موجود في فرع أمن الدولة في دمشق، مؤكداً لها أنه كان معه في السجن ذاته، وأنهم

يتعرضون لتعذيب وحشي، وأن حالته سيئة للغاية.

تقول الأم من عجز: «لم أفهم ما ذنبه حتى يلاقي هذا المصير، لقد كان صغيراً متفرغاً لعمله، يقضي أوقات فراغه في السباحة التي يحبها مع ابن خالته، وصديقه الوحيد، فهو خجول وانطوائي، لا يحب الاختلاط بالناس».

في كانون الأول من عام ٢٠١٣ وصلت العائلة برقية من الشرطة العسكرية تفيد بوفاة محمد وتطلب منهم الحضور لاستلام شهادة وفاته، ما دفع الأم إلى المكابرة على مرضها والتوجه إلى دمشق ومراجعة الشرطة العسكرية، الذين طلبوا منها مراجعتهم بعد أسبوع لاستلام شهادة الوفاة، لكنها فضلت العودة إلى إدلب وعدم انتظار شهادة وفاته، وعدم الذهاب بعدها إلى دمشق أبداً، فهي لم تصدق وفاة ابنها، مؤكدة أنها ستبقى بانتظار عودته طالما هي على قيد الحياة.

يقول صديقه المقرب وابن خالته: «اليوم أصبح عمر محمد ٢٣ عاماً»، بهذه العبارة التي تحمل في طياتها الكثير من الحزن والأسف على خسارة قريب وصديق، عانى الفقر والظلم بلا سبب، ينهي الشاب حديثه.

«إنه يحطّم إنسانيتك» التعذيب والمرض والموت في سجون سوريا

وثقت منظمة العفو الدولية في تقريرها «إنه يحطّم إنسانيتك: التعذيب والمرض والموت في سجون سوريا»، الصادر في ١٨ آب عام ٢٠١٦، ضمن ١١٠ صفحات، ما سمّتها «روايات مروّعة» عن التعذيب والظروف غير الإنسانية والوفيات الجماعية، ووصفتها بـ «جرائم ضد الإنسانية»، وقالت فيه إن نحو ١٧٧٢٣ معتقلاً تُوفوا أثناء احتجازهم في سوريا منذ اندلاع الثورة السورية في آذار عام ٢٠١١، أي بمعدل أكثر من ٣٠٠ شخص كل شهر.
واستعرض التقرير تجارب ٦٥ معتقلاً سابقاً، كانوا قد نجوا من التعذيب في سجون النظام، وتحدثوا عن الانتهاكات المروّعة التي تمارسها الفروع الأمنية التي تشرف عليها أجهزة المخابرات السورية، وكذلك في سجن صيدنايا العسكري، وقال معظم المعتقلين الذين شملهم التقرير إنهم شاهدوا سجناء يموتون في الحجز، وذكر آخرون أنهم احتُجزوا في زنازين إلى جانب جثث المعتقلين.
وقال «فيليب لوثر» مدير قسم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في منظمة العفو الدولية، إن «سجل الروايات المرعبة الوارد في هذا التقرير يصوّر التفاصيل الفظيعة للانتهاكات البشعة التي يعانيها المعتقلون عادةً منذ لحظة القبض عليهم، وأثناء التحقيق معهم واحتجازهم خلف أبواب مغلقة في معتقلات المخابرات ذات السمعة السيئة في سوريا. وكثيراً ما تكون هذه الرحلة مميتة، حيث يكون المعتقل عرضةً للموت في كل مرحلة من مراحل الاحتجاز».
وأضاف «لوثر»: «على مدى عقود، دأبت قوات الحكومة السورية على استخدام التعذيب لقمع معارضيها. وفي الوقت الراهن، يُستخدم التعذيب في إطار حملة منظمة وواسعة النطاق ضد كل من يُشتبه في معارضته للحكومة من السكان المدنيين، وهو يُعد بمثابة جريمة ضد الإنسانية، وينبغي أن يُقدم المسؤولون عن هذه الجرائم البشعة إلى ساحة العدالة»، وفقاً لما نقلته منظمة العفو الدولية.
منظمة العفو الدولية، ١٨ آب ٢٠١٦

بضربة واحدة.. اثنا عشر طفلاً تحولوا إلى أيتام
الشهيد إبراهيم حسين الدعبول

أب لاثني عشر ولداً، أكبرهم في سن ٢٤ عاماً، متزوج من ثلاث نساء، وكمعظم أبناء الريف الإدلبي نشأ «إبراهيم حسين الدعبول» من مواليد ١٩٦٨ في عائلة فقيرة لكنها كريمة النفس في بلدة جرجناز بريف إدلب الجنوبي، دفعته ظروف الحياة إلى ترك الدراسة والالتحاق بالعمل في وقت مبكر لتأمين لقمة العيش.

وبعد انطلاق الثورة وفي بداية عام ٢٠١٢، قرر إبراهيم السفر إلى لبنان للعمل بسبب ضيق العيش وقلة فرص العمل في سورية برفقة ولديه الكبيرين وأخي زوجته.

أثناء سفرهم وعند حاجز الحدود السورية اللبنانية، انتهت رحلة إبراهيم وابنه الكبير «حسين»، فقد تم اعتقال الأب وابنه، فيما نجا الابن الثاني وعاد إلى بلدته ليخبر أهله باعتقال والده وأخيه، كما نجا شقيق زوجته الذي فضل إكمال طريقه إلى لبنان.

لم تستطع العائلة الفقيرة الحال من توكيل محام أو دفع مبالغ مالية لأصحاب النفوذ والمعارف، وظلوا يحاولون استقصاء أخبار والدهم بمساعيهم الخاصة والسؤال عنه لدى أفرع المخابرات، حتى خرج أحد المعتقلين من مدينتهم في عام ٢٠١٣، وأخبرهم بأنه التقى إبراهيم وابنه في أحد فروع الأمن في مدينة طرطوس، وأنهم يتعرضون للتعذيب بشكل وحشي، وأنه من المرجح أن يكونوا قد نقلوا إلى دمشق.

تقول زوجته إن أخبار زوجها وابنه قد انقطعت حتى قررت التوجه في عام ٢٠١٥ إلى فرع الشرطة العسكرية في دمشق، حيث أخبروها هناك بوفاة زوجها قبل نحو سنة، أي في عام ٢٠١٤، ليلحق به ابنه بعد خمسة أشهر، كما سُلمت بطاقتاهما الشخصيتان، وطُلب إليها التوجه إلى المشفى لاستخراج شهادات وفاة لهما.

لم تذهب الزوجة المكلومة إلى المستشفى ولم تستخرج شهادات وفاتهما، وعادت إلى مدينتها خالية الوفاض إلا من خبر فقدانهما، لكن اللوائح التي أصدرها نظام الأسد في عام ٢٠١٨، حملت للأسرة تاريخ وفاة الأب في السابع عشر من حزيران ٢٠١٤ ولم تجد اسماً لابنها حسين فيها.

على تخوم سوريا وبين مدنها، وضع النظام السوري فخاخا على شكل حواجز يصطاد بها السوريين اللاهثين خلف لقمة عيشهم، ليرسلهم بعدها إلى معتقلات الموت، فيزيد من بؤس عائلاتهم، ويذكرهم بوجوب الثورة عليه في كل ساعة.

لماذا كل الأولاد لديهم آَباء وأنا ليس لدي أب؟
الشهيد أيمن علي الحبيب

هو أبٌ لستة أبناء، نصفهم ذكور، والنصف الآخر إناث، عُمر أكبرهم ١٤ عاماً، أما أصغرهم فعمره ٦ سنوات، من عُمر فقدانه لأبيه، فقد كان رضيعاً في شهره السابع عندما حرمه النظام من والده.

في بيت متشواضع وبسيط بقرية ترملا، تحتضن أرملة أولادها الستة بحزنٍ ما زال محفوراً بقلوبهم وعلى وجوههم، بعد خسارة المعيل الوحيد للعائلة، والقلب الطيب الذي كان يحتويهم، وكان شديد الحرص على ألا يحرمهم من أي شيء.

كان ذلك الرجل الطويل الأسمر اللون، ذو العينين الشُهلاوين الواسعتين كقلبه، يمتلئ طيبةً وحناناً على أولاده، قبل أن يعتقله النظام على أحد حواجزه في حمص أوائل عام ٢٠١٣، أثناء عودته من عمله في لبنان لرؤية أطفاله، ولكن النظام كان بالمرصاد له، نظاما يرى في قتل السوريين وتعذيبهم أحد أركان استمراره، وباعتقاله حرم الأب من رؤية أطفاله، كما حرم أطفاله من رؤية أبيهم للمرة الأخيرة، داخلاً إليهم بشوق، حاملاً لهم ما يحبونه.

لم يلتحق بالثورة نظراً لمروره الدائم على حواجز النظام، ساعياً خلف لقمة عيش أطفاله، ورغم ذلك لم يسلم من الاعتقال.

كان «أيمن علي الحبيب» مواليد عام ١٩٧٧، يعمل في لبنان، وفي ذلك اليوم تم اعتقاله وهو في طريق عودته لمنزله في ترملا، وكان معه في السيارة بعض الشبان من أبناء قريته، وهم من أبلغوا عائلته باعتقاله في حمص، لم تنتظر العائلة أبداً، وبدأت على الفور رحلة البحث عنه، فقامت بتوكيل محام، وراجعت فرع الأمن في حمص، والذي أبلغها بنقله إلى فرع الأمن في حماة فتوجهت عائلة أيمن إلى فرع حماة، وأبلغها هو الآخر بإحالة أيمن إلى إدلب.

كانت معركة إدلب قد بدأت، وتم قطع الطرق كافة ، وحال ذلك دون وصول عائلة أيمن إليه أو معرفة أية معلومات عنه، لكن أحد المعتقلين من قرية الفطيرة، كان قد خرج من السجن قبل أيام من المعركة، فأبلغ عائلة أيمن بأنه يتعرض للتعذيب الشديد، وأن حالته سيئة، وأن النظام قام بنقله إلى دمشق.

بعد ترحيله إلى دمشق، انقطعت أخبار أيمن لفترة، ليصلها نبأ استشهاده نتيجة التعذيب في عام ٢٠١٤، وذلك من أحد المعتقلين المفرج عنهم من سجون النظام.

انقلبت حياة عائلة أيمن إلى مأساة أكبر مما كانت عليه من قبل، وفقدت الأمل بعودته،

وشعرت بأنها فقدت كل شيء، ولا سيما زوجته التي تدرك معنى الفقدان وموت الزوج والأب ورب الأسرة ومعيلها وسندها في تربية أطفالها الستة، فواجهت الأمر بطريقتها.

تقول زوجة الشهيد «أيمن الحبيب»: «لم يعد لدي أملٌ بعودته، تأزمت جداً، وأردت أن أتأقلم مع حياتي الجديدة وأنساه كي أرتاح، فقد تعبت كثيراً، قمت بالتخلص من ثيابه، لم أحتفظ إلا بقطعة كان يحبها ويرتديها، حتى صوره تخلصت منها وأودعتها لدى أهله حتى لا أراها أو يراها أولادي، ولكن ابنتي الكبرى احتفظت بصورتين لأبيها خفيةً عني، كان كل ما يخشاه أن يتعرض للاعتقال، وللأسف حدث ما كان يخشاه».

وأضافت: «كان أولادي صغاراً عندما اعتقل والدهم، ودائما يشتاقون إليه، فيذهبون إلى بيت جدهم لمشاهدة صوره، والتحدث معهم عن والدهم، هم لا يتذكرونه جيداً، أما أنا فصورته محفورة في قلبي وذاكرتي».

كانت زوجة أيمن تتظاهر بالقوة، وربما صدمتها وألمها، ومعاناتها بتربية أطفالها بمفردها، وتأمين متطلباتهم، والمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها وحدها، انعكست على ردة فعلها.

بعد صمتٍ وتنهيدةٍ جريحة استذكرت فيها كل العبء الملقى على كاهلها، التقطت الزوجة أنفاسها واستطردت:
«أولادي طيلة هذه السنوات لا يملون من ذكره، وإثارة الأسئلة عنه، فابنتي الكبرى دائما تسألني لماذا اعتقلوا والدي وحرمونا منه، إنها تستنكر غيابه وموته، بينما يبكي ابني الأصغر في أي موقف يتعرض له، ويصرخ قائلاً: لماذا كل الأولاد لديهم آباء وأنا لا أملك أباً؟!»، أجهشت زوجة الشهيد «أيمن علي الحبيب» بالبكاء على فقدان زوجها وحالها وحال أطفالها، وفقدت قدرتها على الكلام، فماذا عساها تضيف.

آخر العنقود.. الشهيد كرم مصطفى حالو

ولد في عام ١٩٨٠، كان في طفولته مهذباً ومتفوقاً، يحب الدراسة، ولأنه «آخر العنقود» كان الطفل المدلل، وفي شبابه كان الفتى الخلوق المتعاون المؤثر، والمحب لمساعدة غيره.

تخرج من المعهد الصناعي بإدلب، وافتتح مكتبةً، وعمل فيها سنواتٍ قبل اعتقاله، انخرط في الثورة منذ بدايتها، وشارك بالمظاهرات السلمية، إلى أن دخل الجيش إلى مدينته بنش، وبدأ يشن حملات المداهمات والاعتقالات، ورأى «كرم» إجرام النظام، فقرر أن يلتزم بعمله، ويبتعد عن الثورة خوفاً من بطش النظام، ولا سيما أنه أصغر إخوته، ويعيش مع والدته بعد وفاة والده قبل بداية الثورة.

لكن اعتزاله الثورة لم ينفعه، إذ اعتقل في ١٢ تموز عام ٢٠١٤، من مكتبته بعد ضبط جهاز للاتصالات «الثريا» لديه، بتهمة التعاون مع الثوار وتقديم معلومات لهم عن تحركات النظام. قام جيران «كرم مصطفى حالو» في المكتبة، بإبلاغ عائلته باعتقال النظام لابنهم، لكنهم لم يتأكدوا إن كان فرع الأمن السياسي أم العسكري هو من اعتقله، ولم يكن لدى الجيران معلومة دقيقة، لكنهم حصروا الجهة بأحد الفرعين، فبدأت عائلة كرم بالبحث عنه بين الفروع الأمنية الموجودة في إدلب، ولكن دون جدوى، فإخوته من يبحثون عنه دون توكيل محامٍ.

وبعد فترة وخلال مواصلتهم البحث، علمت عائلته بأن كرم نقل إلى حماة، ومن ثم إلى دمشق، ثم انقطعت أخباره نهائياً، وكلما سمع إخوته بأنَّ معتقلاً خرج من السجن، توجهوا إليه علّهم يحظون بخبر عن شقيقهم، ولكنهم لم يحصلوا على أية معلومات، ولم يلتقوا بأي معتقل شاهده أو التقى به.

في ٢٦ آذار عام ٢٠١٥، وبعد مرور عام على اعتقال كرم، ذهب أخوه إلى دمشق للسؤال عنه، فأخبروه أن كرم توفي في شباط من نفس العام، وطلبوا إليه العودة بعد عشرة أيام للحصول على شهادة وفاته وهويته، دون أن يعطوه جثة أخيه، فعاد إلى أريحا، ولم يعد مرةً أخرى إلى دمشق خوفاً مما قد يفعله النظام به.

تقول جارة الشهيد «كرم مصطفى حالو»: «كان لخبر استشهاد كرم وقع كبير على عائلته وجيرانه وكل من يعرفه، لم نحتمل خبر وفاته، لقد فقدنا شاباً عزيزاً على قلوبنا، لن ننساه يوماً، وبعد استشهاده سافرت والدته إلى السعودية، واحتفظت هي وأبناؤها بصور كرم وأغراضه الخاصة للذكرى».

بدل شهادته الجامعية أعطوها شهادة وفاته
الشهيد عبد الله محمد الإبراهيم

في مشفى تشرين أعطوها شهادةً وهوية، لم تكن شهادته الجامعية التي أرسلته قبل نحو عام ونصف للحصول عليها، وهي التي ودعته حينها مرغمةً، نزولاً عند رغبته، وأملاً بتحقيق هدفه، مدفوعاً بحبه للعلم.

حصلت هي بدلاً عنه على شهادةٍ كان وقعها معاكساً تماماً للشهادة التي ذهب ساعياً خلفها، ولو كانت تعلم ما سيحصل، لما تركته يذهب مهما كانت شهادته الجامعية ستجلب لها من الفخر والفرح، فقد حصلت عوضاً عنها على شهادة موته.

كان طويل القامة، ممتلئ الجسم، أبيض اللون، حسن الخلق والخُلق، يحب الدراسة والعلم كثيراً، يهوى المطالعة وكتابة الشعر والنثر، همّه الوحيد دراسته وتعليمه، والذي منعه من المشاركة بالثورة، ودفعه للتوجه إلى لبنان لدراسة اللغة الإنكليزية، علماً أنه كان قد أتم مؤخراً دراسة اللغة العربية.

في طريقه إلى لبنان كان مطمئناً أنه يحمل ورقة تأجيل للخدمة العسكرية، نظراً لكونه طالباً جامعياً، وكذلك حال عائلته التي كانت مطمئنة لامتلاكه هذه الورقة، وفي الوقت ذاته كان عدم التحاقه بالخدمة الإلزامية السبب الأول الذي خطر ببالها عند وصول خبر اعتقاله، ولا سيما ألا نشاط لديه أبداً في الثورة، دون أن تفكر عائلته بداية الأمر أن نظام الإجرام لا ينتظر تهمةً أو جرماً ليعتقل ويقتل.

في طريقه إلى لبنان للالتحاق بالجامعة في ٢١ آذار عام ٢٠١٣، اعتقل «عبد اللّه محمد الإبراهيم» من مواليد معرة حرمة ١٩٨٥، من قبل عناصر حاجز القطيفة، وعرفت عائلته بالخبر عبر أشخاص كانوا برفقته في السيارة التي قام عناصر الحاجز بإنزاله منها، فاستبعدت العائلة اعتقال ابنها، وظنت أنهم ألحقوه بالخدمة الإلزامية.

ولكن بعد شهرين من اعتقاله، جاء شاب تم الإفراج عنه من سجون النظام، وأخبر عائلة عبد اللّه أنه كان معه في الزنزانة، وأن عبد اللّه يتعرض للضرب والتعذيب كثيراً، وأن حالته الصحية سيئة جداً، فما كان من العائلة إلا أن قامت بتوكيل محام لإطلاق سراح ابنها، ولكن

دون جدوى.

وبعد أن فقدت العائلة أي أمل بالمحامي، توجهت والدة عبد الله وأخته إلى دمشق، ولتحصل الأم بعد عام ونصف من اعتقاله على بطاقةٍ شخصية (هوية) وشهادة وفاة لابنها مؤرخةً بـ ٩ أيلول ٢٠١٣، ليتحول عبد الله من معتقل إلى شهيد سقط تحت ضربات التعذيب في سجون النظام.

رغم صدمتها وخسارتها التي لا تعوض وألمها، إلا أن والدة «عبد الله»، وهي أول من تلقى نبأ استشهاد ابنها مع أخته، كانت صابرة وقوية، وكان صبرها نتيجةً لما شاهدته من مصائب وآلام غيرها، فقد شاهدت أمهات مثلها، فقدن أكثر من ابن من أبنائهن، فهانت مصيبتها عليها، على حد تعبير أخت الشهيد التي أضافت: «ما زلنا نحتفظ بكتب عبد الله، ودفاتره، وأغراضه الخاصة، وحتى ثيابه ما زال إخوتي يرتدونها».

من حملة أحرار خلف القضبان

أتبكي زوجها الشهيد أم بِكرها المعتقل..؟
الشهيد قدور حمدان حمادة

صور قيصر كانت قاتلة..

تخيّل أنك وأنت تقلب الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، تظهر لك فجأةً صورةً لأغلى الناس على قلبك، صورةً لمن كنت تنتظر عودته طوال ثلاث سنوات، صورةً لمن كان سبباً في وجودك، وفي حياتك بكل تفاصيلها حتى هذا اليوم، لمن واصل الليل بالنهار لراحتك، وتعليمك، وتأمين متطلباتك، والحفاظ على سلامتك.

وكيف بالحال إذا كانت ليست أية صورة، صورةٌ لجثة أنهكها التعذيب، وقتلتها يد الإجرام، ثم طبعت على جبينها رقماً، والتقطت لها صوراً بعد كل ما اقترفته.

بعد ثلاثة أعوام من اعتقاله، شاهدت عائلة الشهيد «قدور حمدان حمادة» من قرية كفر بطيخ، صورة شهيدها على الفيسبوك، بين الصور التي قام «قيصر» بتسريبها، عرفت ربّ أسرتها، وتأكدت من استشهاده تحت التعذيب في سجون النظام، بعد أعوام من انتظارها لعودته أو لمعرفة أية معلومات عنه.

ولكن ما لم تعرفه كان أكثر مما عرفته، إذ لم تعلم كيف قاموا بتعذيبه حتى استشهد بين أيديهم، وبأية وسائل عذبوه، وهو الرجل العاجز، ومتى استشهد؟، والأهم بعد معرفتها باستشهاده، هو مصير ابنه الأكبر الذي اعتقل معه، وهو السؤال الذي ما تزال عائلة الشهيد «قدور حمادة» تبحث عن إجابته.

في عام ٢٠١٣ اعتقل «قدور حمادة» وابنه الأكبر البالغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، بينما كانا في طريقهما إلى أريحا بهدف العمل. قامت عائلتهما بتوكيل محام للدفاع عنهما، وراوغ المحامي كثيراً، وحصل من العائلة على مبالغ مالية كبيرة، دون أن تحصَل منه على أي معلومة عن معتقليها.

كما ذهبت زوجة قدور إلى دمشق، للسؤال عن زوجها وابنها على أنهما مفقودان، ولكن دون أي نتيجة، إلا أن النتيجة كانت عندما جاء واحد من المفرج عنهم من سجون النظام، كان مع الشهيد قدور في نفس الزنزانة، وأبلغ العائلة أن قدور كان يتعرض للكثير من التعذيب، وأن السجانين طلبوه في أحد الأيام، وقاموا بتعذيبه حتى أعادوه إلى الزنزانة مغشيّاً عليه، واستمر الحال لمدة يومين، بعدها أخذوه للتعذيب دون أن يعيدوه.

ولكن المفرج عنه قال بأنه لم يعد يعرف عن قدور أي شيءٍ بعد ذلك اليوم، دون أن يؤكد استشهاده أو بقاءه على قيد الحياة، ما أبقى لدى العائلة أملاً بحياة ابنها الذي ما تزال حتى هذه اللحظة تجهل مصيره.

وككل أُسر المعتقلين، كانت عائلة قدور تتجنب البحث ضمن صور قيصر، وفي الوقت ذاته تتمنى أن تبحث، ولا تجد صورة معتقلها شهيداً مرمياً على الأرض يحمل رقماً.

هذه الأمنية دفعت عائلة قدور للتقليب بين الصفحات والصور، لترى ما كانت تتجنب رؤيته، وتتمنى عكسه، كانت صورة قدور إحدى تلك الصور.

تقول زوجة قدور: «لم أصدق الخبر، ولم أستطع النظر إلى صورته، فقد كانت صدمة كبيرة، وحتى الآن لا أحتمل النظر إلى صورته وهو شهيد».

أما ابنته فقد أثرت بها كثيراً صورة والدها الحنون، الذي كان يحبها ويدللها كثيراً هي وإخوتها، ولم تحتمل رؤيته على تلك الصورة، وتلك النهاية، وخشيت أن يكون مصير أخيها الأكبر كمصير أبيها، تأثرت كثيراً إلى حدّ تفكيرها أحياناً، وهي الطفلة ابنة الخمسة عشر عاماً في الانتحار، فأي مصير ينتظرها وينتظر أبناء المعتقلين، ربما يكون مصير المعتقلين، ولا سيما الذين استشهدوا أخف وطأة من مصير أبنائهم.

لدى «قدور» ثمانية أبناء، خمسة شبان وثلاث بنات، أكبرهم الذي كان برفقة والده، واعتقل معه، وأصغرهم يبلغ من العمر تسعة أعوام.

يتحدث أبناء قدور فيما بينهم باستمرار عن أبيهم، ويسترجعون ذكرياتهم معه ليعيشوا عليها، لم ولن ينسوه أبداً، على حد تعبير ابنته.

لم تستطع زوجة قدور المسنة أن تذهب إلى دمشق للحصول على شهادة، وفاة لزوجها، كما لم تستطع إرسال أبنائها خوفاً عليهم من مصير معلوم مشابه لمصير أبيهم، أو مجهول كمصير أخيهم.

وأكثر ما كان يطمئن عائلة الشهيد «قدور حمدان حمادة»، مواليد عام ١٩٧٠، ابن قرية كفر بطيخ، أنه لم يشارك بالثورة قبل اعتقاله، فهو شبه عاجز، إذ كان قد تعرض لحادث سير قبل زمن طويل، وعجز عن المشي على إثره لنحو سبعِ سنوات، ليتمكن بعد علاج طبي وفيزيائي طوال تلك المدة، من المشي بواسطة عكاز، وفقاً لزوجة قدور التي أضافت:

«ومازال ولدي مجهول المصير لا نعرف عنه شيئا»، لتتوقف عن الحديث بعدها، وتقع في حيرةٍ من أمرها، أتبكي زوجها الشهيد أم بِكرها الذي مازال معتقلاً.

«كان يرتدي قميصا أصفر»
الشهيد محمد أحمد دغيم

محمد أحمد دغيم من مواليد جرجناز ١٩٨٨، متزوج ولديه طفلتن، يبلغ عمر الكبرى اليوم إحدى عشرة سنة، أما أختها الصغرى ابنة العاشرة، فما تزال ذاكرتها تحتفظ بلون قميص والدها الذي رأته فيه آخر مرة، حين ذهب مع شقيقته إلى معرة النعمان لمراجعة الطبيب ولم يعد بعدها، وحتى اليوم ما يزال اللون الأصفر لونها المفضل.

كان عاملاً بسيطاً يسافر إلى لبنان للعمل لتأمين لقمة عيش عائلته، شارك بالمظاهرات السلمية في بداية الثورة، قبل أن يتم اعتقاله، ثم يستشهد بعد أربع سنوات في سجن البالونة بحمص، بسبب الأمراض التي خلفها التعذيب في جسده.

ظروف الاعتقال

في ٢١ تشرين الثاني عام ٢٠١١، اعتُقل «محمد دغيم» من قبل حاجز «وادي الضيف» القريب من معرة النعمان، ولجأت العائلة لأحد المعارف، والذي كان على تواصل مع مفرزة الأمن العسكري التي اتخذت من المركز الثقافي في المعرة نقطة عسكرية لها، وكانوا في المفرزة ينكرون أنهم يعرفون محمد أو أنهم اعتقلوه، ولم تثمر الوساطة التي لجأت لها العائلة في إطلاق سراحه.

وكان أحد أشقاء الشهيد «محمد» قد تمكن من زيارته أثناء وجوده في سجن صيدنايا، وذلك بفضل معلوماتٍ وصلته من معتقل سابق من أبناء تل كرسيان، فتقدم الأخ على الفور لفرع المخابرات العسكرية في كفرسوسة بطلب زيارة لمحمد، وتم الموافقة على طلبه، وحظي برؤية أخيه الذي كان نحُل لآخر مرة ولبضع دقائق فقط لم يتجرأ فيها أن يتفوّه بأي كلمة سوى «الحمد للّه».

وعندما سأل الأخ عن موعد الزيارة القادمة، كان الرد بأنهم سوف يرسلون له بلاغاً بموعدها، وهو ما لم يحدث، لتنقطع بعدها أخبار محمد عن عائلته لمدة سنة وسبعة أشهر، كانت تظن خلالها أنه ما يزال في سجن صيدنايا، بحسب ابن أخت الشهيد، والذي أضاف:

«في بداية عام ٢٠١٥، اتصلت بي سيدة من قلعة المضيق، وقالت بأن لديها رسالة لي من خالي محمد، وعندما ذهبت إليها، أعطتني قطعة كرتون من علبة سجائر ما زلت أحتفظ بها مع أغراضه، كان مكتوب فيها: «أنا محمد وأنا مريض»، بالإضافة إلى اسمي ورقم هاتفي الأرضي، وأبلغتني بوجوده في سجن البالونة بحمص مع ابنها، وكان المطلوب أن يذهب أحد أفراد العائلة إلى دمشق للحصول على إذن زيارة لخالي في سجن البالونة، ولكن لم يبق من عائلتنا أحد، فهم إما معتقلون أو شهداء، ولا يوجد سوى أنا وخالي فقط، ونحن مطلوبان للنظام».

تدخل شقيق الشهيد قائلاً: «لم نجرؤ على الذهاب خوفاً من الاعتقال، وحتى فكرة أن نرسل إحدى نسائنا كانت مستحيلة، لأن النظام لا يفرق بين امرأة ورجل، وعائلة دغيم كلها مطلوبة للنظام، وأمي لديها إعاقة ولا يمكنها الذهاب، والتقينا بمعتقل أفرج عنه من سجن البالونة، وأكد لنا أن وصوله إلى حمص يعني إطلاق سراحه، وأنه مجرد وقت وسيخرج، وهو ما منعنا من الذهاب إليه، ولم نكن نعلم أنه للآسف سيلاقي الموت قبل أن يجد طريقه للحرية».

قبيل أواخر عام ٢٠١٥، علمت عائلة الشهيد «محمد دغيم»، باستشهاده وبأنه بعد أن اعتُقل تم نقله إلى إدلب وبقي فيها شهراً تقريباً، ليتم تحويله بعدها إلى حلب، وبعدها إلى دمشق، ومن ثم إلى سجن البالونة بحمص، حيث استشهد هناك في ٢٨ آب عام ٢٠١٥.

كان هناك شاب من بلدة التح، تم اعتقاله من قبل حاجز «كفرباسيل» في ذات اليوم الذي اعتقل فيه محمد، والتقى به في المركز الثقافي بمدينة معرة النعمان، ورافقه إلى إدلب ومن ثم حلب، ومنها إلى دمشق لينفصلا عن بعضهما هناك، ويلتقيا مجدداً في سجن البالونة، وكان «محمد» قد ازداد نحولاً وشحوباً وتعباً، وكان يسعل بشكل غير طبيعي، وحدّث زميله عن التعذيب الشديد الذي تعرض له، والويلات التي لاقاها في السجن، لأنه من أهالي بلدة جرجناز وكنيته «الدغيم»، وذلك قبل أن يلفظ محمد أنفاسه الأخيرة بعد أن تلقى ما تلقاه من تعذيب على أيدي السجانة في البالونة، وهو بين يديّ هذا الشاب، والذي أخبر عائلة محمد بالتفاصيل السابقة كافة بمجرد إطلاق سراحه، وفقاً لابن أخت الشهيد.

تأكد الخبر للعائلة مرةً أخرى، عندما خرج من سجن حماة أحد أبناء بلدتها جرجناز، ويدعى زيدان، والذي التقى في سجنه بمعتقل تم تحويله من سجن البالونة إلى سجن حماة، وعندما عرف بلدته، طلب منه أن يخبر عائلة محمد باستشهاده، وأكد مجدداً التفاصيل السابقة، والتي كانت العائلة على علم مسبق بها من المعتقل السابق.

يقول شقيق الشهيد «محمد دغيم»: «اليوم تعيش طفلتا محمد عندي، بعد أن غادرت أمهما إلى منزل أهلها، تسألانني دوماً عن والدهما: هل هو في الجنة؟، وما تزال ابنته الصغرى تردد: «كان يرتدي قميصه الأصفر!».

اقتيد إلى المحكمة الجنائية السرية في دمشق.. الشهيد محمد حسين الشيخ أحمد

متوسط الطول والصحة، أبيض الوجه، اجتماعي وخلوق، كريم وشهم، محبوب من الجميع، ويحب مساعدة الآخرين، كان دائماً متطوعاً وجاهزاً للتعاون والمشاركة في أي أمر، يهوى كرة القدم، من مواليد الأول من كانون الثاني عام ١٩٩٠، متزوج ولديه طفل واحد لم يره، يبلغ عمره اليوم ٣ سنوات.

التحق بكلية الآداب، قسم اللغة العربية، وبدأ العمل كمعلم في مدرسة قريته كفر عميم قبل تخرجه من الجامعة، وهو ما لم تمكنه الظروف منه، إذ اعتقلته قوات النظام في مدينة إدلب، ثم استشهد تحت التعذيب في سجون النظام بدمشق، بالرغم من أن عمله ودراسته في الجامعة منعاه من المشاركة في الثورة.

في الثامن والعشرين من نيسان عام ٢٠١٤، توجه «محمد حسين الشيخ أحمد» إلى مدينة إدلب لاستلام مرتبه الشهري، وكانت المدينة آنذاك ما تزال تحت سيطرة النظام، قبض راتبه ثم توجه إلى فرع الهجرة والجوازات في المدينة، وهناك قامت قوات النظام باعتقاله في الساعة الثانية بعد الظهر.

حاولت عائلة «محمد» الوصول إليه ومقابلته، ودفعت مبالغ مالية كبيرة لقاء ذلك، ولكن دون جدوى، وقامت بتوكيل محامية لإطلاق سراحه، وخلال ذلك تم تحويل محمد إلى فرع الأمن السياسي بدمشق، وهو ما عرفته عن طريق أحد أبناء عمه الذي كان قد التقى به في فرع الأمن السياسي قبل أن يفرج عنه.

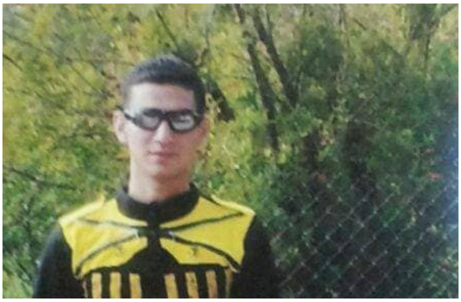

تقول زوجة محمد: «عندما خرج ابن عم محمد من السجن، روى لنا كيف تعرض محمد لتعذيب شديد، وكيف تدهور وضعه الصحي نتيجةً لذلكً، كما أخبرنا أن يد محمد وفكّه قد كُسرا نتيجة التعذيب الذي تعرض له، وهو أيضاً ما أجبره على الاعتراف بالقيام بأمور لم يفعلها، كاستهداف سياراتٍ للجيش، واغتيال ضباط، وغيره من التهم الجاهزة».

ما سمعته عائلة محمد، دفعها لتكثيف سعيها لإطلاق سراحه، ومواصلة دفع المال، وعمل أي شيءٍ ممكن لإنقاذه، على الرغم من أنها لم تتوقف عن ذلك منذ اعتقاله، ولكن المحامية أخبرتهم في البداية أن محمد اقتيد مع مجموعة من المعتقلين إلى مكان مجهول، فبدأت عائلته بالبحث بنفسها في المشافي والسجون بدمشق، ولكنها لم تجد له اسماً أبداً إلا في

القيود المدنية، وكان ذلك إلى جانب مواصلة المحامية لعملها التي توصلت فيما بعد إلى نتيجة لم يسع أحد إليها.

تقول زوجة الشهيد محمد: «في منتصف عام ٢٠١٦، أبلغتنا المحامية التي قمنا بتوكيلها بقضية محمد، أنه حُوّل إلى المحكمة الجنائية السرية بدمشق، ثم استشهد هناك إثر ما تعرض له من تعذيب على أيدي الظلمة».

رغم أن والدة الشهيد محمد كانت تشعر بابنها، وكأنها تدرك مصيره الحتميّ، ولطالما أخبرت أبناءها بأن أخاهم محمد بلا شك لن يصمد تحت التعذيب الوحشي، وأنه لا بد سيلقى حتفه، إلا أن بصيص أملٍ كان لديها، جعلها تصمد أمام اعتقاله، وما إن تبدد أملها بنبأ استشهاده، حتى تدهور وضعها الصحي، وقتلها قهرها وحزنها بعد ٢٠ يوماً من وصول النبأ.

بينما ما يزال الأمل يحمل زوجة الشهيد محمد على الصبر، رافضةً حتى الآن الاعتراف بفقدانه ورحيله إلى الأبد، وتقيم في منزل أهلها مع ابنها الذي كانت حاملاً به عند اعتقال أبيه، منتظرةً عودة محمد إليهما.

من لوحات الفنان نجاح البقاعي

مرح وخفيف الظل وصاحب نكتة
الشهيد حسين حسن قنزوع

بعيون واسعة مملوءة بالدموع ورجفة بالصوت لا تقوىَ على الكلام، كانت تتحدث عن زوج لم ترَ منه سوى المعاملة الحسنة، رجل دين يفهم دينه جيداً، ويقدر المرأة التي أوصاه اللّه بحسن معاملتها، يتميز بروح مرحة، وقامة ممشوقة، وجسد ممتلئ، ووجه أبيض جميل.

«حسين حسن قنزوع»، وُلد في بلدته إحسم بجبل الزاوية عام ١٩٨٥، تخرج من المعهد الشرعي في الحسكة، ثم عمل إماماً لجامع في بلدة الحبوشية بريف جسر الشغور.

اعتقل حسين في العاشر من آذار عام ٢٠١٢، عندما اقتحم الجيش بلدة الحبوشية بريف جسر الشغور، حيث كان يقيم حسين، ولم يغادر منزله، بقي فيه مع طفليه، وزوجته الحامل بطفلته التي لم تره.. يبلغ عمرها اليوم سبعة أعوام، بينما أصبح عمر أخويها أحد عشر عاماً، وتسعة أعوام.

في ذلك اليوم قام الجيش بإحراق العديد من منازل البلدة، بالإضافة إلى إحراق السيارات والدراجات النارية، كما قام باعتقال الكثير من شباب البلدة، ثم جاء عدد من عناصر الجيش إلى منزل حسين، وطلبوا منه إحضار مفاتيح الجامع، ومرافقتهم، فامتثل للأمر، لكنه ذهب ولم يعد.

تقول زوجة حسين: «اعتقل مع بقية شبان البلدة، وعلمت أنه نُقل معهم إلى جسر الشغور، فذهبت إلى هناك مع أحد أهالي القرية، وأخذت معي ثياباً لحسين، وطلبت رؤيته، لكنهم منعوني من ذلك، وأخذوا مني الحاجيات التي أحضرتها له، وبعد ذلك نقل حسين إلى إدلب، ومن ثم إلى دمشق، حيث أبلغني أحد المفرج عنهم أنه في صيدنايا»، وأضافت:

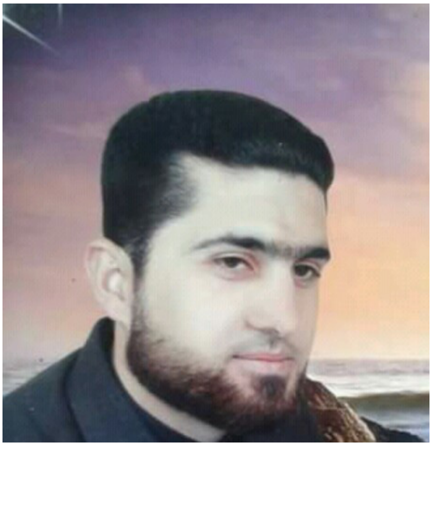

«طوال وجوده في صيدنايا كانت تأتينا أخباره عن طريق المعتقلين الذين كان يفرج عنهم، إلى أن وصلنا في ٢٥ شباط عام ٢٠١٥، نبأ استشهاده تحت التعذيب عبر معتقل سابق من أبناء ريف حيش».

تدخلت والدة حسين قائلة بحرقةٍ تخرج من صميم قلبها: «من يجلس معه لا يمكن أن ينساه، كان مرحاً جداً وصاحب نكتة، لا يترك هماً على قلب إنسان، وكلما رأى أحدهم متكدراً كان يحادثه

ويمازحه حتى يجعله يبتسم، كان محبوباً في البلدة ويقدر الكبير والصغير».

فقدت الزوجة أدنى رغبةٍ بالحديث، وهي التي باتت بلا أب ولا أخ ولا زوج، بعد استشهاد زوجها تحت التعذيب، واستشهاد أبيها وإخوتها الثلاثة في حلب، وباتت في حالة عدم استقرار، تعيش في منزلها لبضعة أيام، وأياماً أخرى في منزل عائلة زوجها، ولا تستطيع رؤية من بقي من عائلتها في حلب.

وبصوتٍ هادئٍ مكسور كقلبها الجريح عادت زوجة حسين لتقول:
«أشعر بفراغٍ كبير، الصدمة دمرت أولادي ودمرتني، فأطفالي حتى اليوم لا يعيشون بشكل طبيعي، ابنتُنا الصغيرة دائمة السؤال عنه، تحمل صورته وتتحدث إليه، ومنذ أن أخبرتها ابنة عمتها أن والدها استشهد في السجن، تعتزل وتبكي وحدها، وتقول: أبي بالسجن وسوف يعود».

ثم صمتت ونظراتها مثبتة على أغراض زوجها وصوره التي ما زالت تحتفظ بها، والتي كانت تحملها بيدها، وفي عينيها عشرات الأسئلة تتماوج مع دموع لا تغيب يوماً.

بينما ختمت والدة الشهيد بقولها: «نحن نحيا على أمل أن يكون حسين على قيد الحياة، والعلم عند الله!».

«المسلخ البشري»
عمليات الشنق الجماعية والإبادة الممنهجة في سجن صيدنايا سوريا

كشفت منظمة العفو الدولية في تقريرها «المسلخ البشري» عن الممارسات التي يقوم بها النظام السوري منذ اندلاع الثورة السورية في سجن صيدنايا، الواقع على بعد ٣٠ شمال العاصمة دمشق، وهي ما سمّتها بـ «حملة مروعة» يقوم بها النظام السوري.
وتحدث التقرير المكون من ٥٢ صفحة، والصادر في ١٠ كانون الثاني عام ٢٠١٧، عن عمليات شنق جماعية وإبادة ممنهجة في سجن صيدنايا، وقالت المنظمة إن النظام السوري أعد ١٣ ألف معتقل في سجن صيدنايا وحده، داعيةً الأمم المتحدة لإجراء تحقيق مستقل بشأن هذه الإعدامات.
وأكدت «لين معلوف» نائبة مدير الأبحاث في المنظمة أنه لا يوجد أي سبب يدعو للاعتقاد أن هذه الإعدامات قد توقفت من طرف النظام السوري حالياً.

منظمة العفو الدولية، ١٠ كانون الثاني ٢٠١٧

هزه الشوق إلى إدلب فتم اعتقاله
الشهيد ظافر محمد خالد عبيد

كان يدرك خطورة دخوله خلسة إلى مدينته إدلب، التي تركها مرغما بعد مطاردة قوات الأمن له، بوصفه إرهابيا ومجرما، لمشاركته في المظاهرات السلمية التي هتف فيها بصوته مطالبا بالحرية والكرامة، ولحمله السلاح فيما بعد مع رفاق له محاولين حماية تلك المظاهرات من بطش قوات الأمن وإطلاق الرصاص على المتظاهرين.

دفعه الشوق إلى تجاوز مخاوف الاعتقال وغامر بدخوله مدينته وأسرته قبل تحريرها، كانت دورية للأمن العسكري بانتظاره، واعتقلته في أحد شوارع مدينته في آذار من عام ٢٠١٤، وقد شوهد من قبل أحد الجيران الذي كانٍ موجودا في الشارع حين اعتقاله، ليترك زوجته الحامل وطفلة ستأتي بعد أشهر، وأباً منهاراً من اعتقال ابنه الثالث.

«ظافر محمد خالد عبيد» من مواليد ١٩٨٦، ترك المدرسة في المرحلة الإعدادية ليعمل في تصويج السيارات، ينتمي لعائلة ثائرة، أبوه خالد عبيد تم اعتقاله فيما بعد بينما سبقه شقيقاه «خير الدين وزياد» في الاعتقال.

وفي محاولاته الحثيثة التي بذلها الأب في سبيل إطلاق سراح ابنه لدى المحامين والوساطات لم يلق سوى جواب استحالة إخراجه بسبب حمله السلاح، ولصفة الإرهابي التي ألصقتها به أفرع الأمن في إدلب.

يروي «خير الدين» شقيق ظافر والذي تم إطلاق سراحه بعد استشهاد ظافر فيما بعد، بصوت

وشفة مرتجفة، ذكرياته مع أخيه الذي استشهد في السجن دون أن تفارق الدموع عينيه، كيف التقى بمعتقل من مدينة أريحا أبلغه أن ظافراً في سجن عدرا وهو بحالة سيئة نتيجة التعذيب الذي كان يتعرض له، لكن خير الدين كتم الخبر عن أهله حرصا منه على عدم إقلاقهم .

بعد ما يقارب العام تم نقل ظافر إلى فرع الأمن العسكري ٢١٥ في دمشق، حيث انقطعت أخباره عن أهله، ثم عاد مرة أخرى إلى سجن عدرا، حتى العاشر من حزيران ٢٠١٥، حين أبلغهم فرع الأمن في القابون باستشهاد ظافر وضرورة توجههم لاستلام شهادة الوفاة، كان الأب في ذلك الحين قد اعتقل أيضاً في إدلب، ولم يعد أي من أفراد أسرته أو أقاربه قادراً على الذهاب لاستلام جثته من دمشق.

كما استشهد أخوه زياد أيضا تحت التعذيب في المعتقل، يقول أخوهما خير الدين: «لم أعلم باستشهاده إلا بعد خروجي من السجن كانت صدمة كبيرة لي أن أعرف أن شقيقيّ الاثنين قد قتلا تحت التعذيب، وأن أولاد شقيقي قد حرما من كلمة أبي وحنانه».

لم يكن أمام زوجة ظافر سوى الهجرة إلى السويد مصطحبة ابنتها، حاملة معها مصيبتها في زوجها.
يصف خير الدين شقيقه ظافر بابتسامة حزينة مسترجعا مواقف شقيقه العصبي والرياضي والذي أحب رياضة رفع الأثقال، بامتلاكه قلباً حنوناً وكريماً مع الناس:
«لقد كان ظافر يعشق الرياضة ورفع الأثقال مثل أخي زياد، ولكنه كان يتميز عن زياد بعصبيته المفرطة»، يصمت خير الدين بشرود وكأنه يتذكر مواقف شقيقه خاتماً حديثه: «عايشت السجن وأعرف آلام التعذيب بالمعتقلات، ولا أتوقف عن تخيل حجم الوجع الذي عانى منه أخواي حتى فارقا الحياة».

أبرز الحملات التي أطلقها الناشطون السوريون تضامناً مع المعتقلين في سجون النظام:

١- حملة «من العتمة طلعوا.. ولعنا رجعوا»: (تموز ٢٠١٧- ١ رمضان ١٤٣٤)
٢- حملة «صوت المعتقلين»: (آب ٢٠١٣)
٣- حملة «بدنا المعتقلين.. بدنا الكل»: (تشرين الأول ٢٠١٣)
٤- حملة «أنقذوا البقية»: (كانون الثاني ٢٠١٥)
٥- حملة «السوريون ليسوا أرقاما»: (آذار ٢٠١٥)
٦- حملة «المعتقلون أولاً»: (نيسان ٢٠١٦)
٧- حملة «منارات الحرية»: (حزيران ٢٠١٦)
٨- حملة «عائلات من أجل الحرية»: (تشرين الأول ٢٠١٧)

انقطعت أخباره حتى أخبرتها قوائم النظام بمصيره
الشهيد محمد عيد الريم

على قصاصة من الورق كتبت تواريخ لا تقوَى على حفظها بدقة، لكنها تحفظ كل ما أخفته هذه الأيام، وما حملته لها من ألمٍ وفقدان، ولا تريد أن تنساها، كما تريد لأولادها أن يحفظوها من بعدها، ويذكروا للتاريخ يوماً ما، إجرام نظام قتل أباهم.

في مدينتهم خان شيخون، وفي بيت بسيط أنهك الفقر والظلم جدرانه، كانت زوجة تعاني الوحدة والخسارة، وشقاء مرًّا يظهر على ملامح وجهها.

تبدأ زوجة الشهيد «محمد عيد الريم» حديثها عن آلامها وعما أوصلها إليها، وهي تقلب تلك القصاصة بين يديها:

«زوجي محمد مواليد الأول من أيار ١٩٧٧، كان يعمل راعياً للأغنام، ولا علاقة له بكل ما كان يجري، فهو يخرج منذ الصباح ولا يرجع حتى المساء، كان همه كسب قوت أولاده، ولكن عند اقتحام الجيش لمدينتنا في الخامس من تموز عام ٢٠١٢، اعتقلوه من منزلنا، كما اعتقلوا معه عشرات الشباب من أبناء الحي»، مضيفةً:

«لم يفكر زوجي في مغادرة المنزل، ظناً منه أنه لا خطر عليه إذ لم يشارك في أي نشاط، ولكن الجيش اعتقله، وبعد مدة قصيرة خرج من السجن بعض شباب الحي الذين اعتقلوا معه، لكن زوجي لم يعد، وتركني مع أطفالي الستة، ثلاث بنات وثلاثة أولاد، أكبرهم عمرها ستة عشر عاماً، وأصغرهم كنت حاملاً به عند اعتقاله».

صمتت الزوجة قليلاً كي تخنق عبراتها، ثم استطردت:

«بعد اعتقاله تم نقله إلى حماة، ومن ثم إلى فرع المخابرات الجوية في دمشق، لم أستطع توكيل محام للدفاع عنه، فنحن لا نملك المال الكافي، ولكنني لجأت إلى لجان المصالحة الوطنية، لعلي أحصل على مساعدة، وتمكنت فقط من زيارته في سجن دمشق في ١٥ أيلول عام ٢٠١٣، وبعدها انقطعت أخباره نهائياً، ولم نعد نعرف عنه أي شيء، حتى المعتقلون الذين أفرج عنهم كلما سألنا أحدهم عنه يجيبنا بأنه لم يلتقِ به، ولا يعرفه، وبقينا حتى عام ٢٠١٥ نذهب إلى الشرطة العسكرية في دمشق، ونسأل عنهَ فيخبروننا أنه على قيد الحياة».

وبعد عام ٢٠١٥، لم يعد من السهل على عائلة الشهيد «محمد عيد الريم» التوجه إلى دمشق، لكنها لم تتوقف عن لقاء المعتقلين المفرج عنهم، وسؤالهم عن محمد، ولكن دون جدوى، إلى أن جاءها الخبر اليقين الذي لا شك فيه ولا مجال للحديث بعده.

تقول الزوجة باكيةً جرحها النازف حديثاً حتى الموت، والقصاصة ما زالت في يدها ترفض تدوين التاريخ الأخير: «قبل أيام، سلم النظام قائمة لدائرة السجل المدني في مدينتنا خان شيخون، كان فيها أسماء نحو ثلاثين شهيداً قضوا تحت التعذيب، ومن بينها اسم زوجي، لا أعرف ما هي تهمته».

وأضافت الزوجة: «كانت صدمةً كبيرةً لي ولأولادي، وضاع أملي، وأنا التي كنت أنتظر خروجه بفارغ الصبر، مع أن روحي وإحساسي كانا يخبرانني بأنني خسرته منذ أن انقطعت أخباره عنا، ولم نعد نعرف في أي فرع هو، لا أريد أن أصدق أن معاناتي ستستمر طوال عمري أنا وأولادي الذين يفتقدونه ويبكون لغيابه كل الوقت، ويتحسرون دائماً لأن والدهم ليس بينهم».

المسلخ البشري

عمليات الشنق الجماعية والإبادة الممنهجة في سجن صيدنايا بسوريا

منظمة العفو الدولية

أربعون يوماً..
كانت كفيلة ليصبح الطبيب مازن وجيه النجم شهيداً

في أول أيام شهر رمضان، وقبل أذان المغرب ببضع دقائق، وبينما كان يتجهز لتناول أول إفطار له، طُرق باب غرفة الأطباء المقيمين في مشفى دمشق، هرع أحد زملاء مازن ليفتح الباب ثم يعود ويقول: «مازن هناك من يريدك»، خرج مازن ليرى ماذا يريدون ولم يعد، ليصبح فيما بعد، واحداً من بين عشرات الآلاف الذين وقعوا بين أيدي الجلادين، ولن يعودوا أبداً.

كان مازن قد أمضى وقتاً طويلاً من ليلته السابقة يتحدث فيها إلى أخيه عن استعداداته وتحضيراته لرمضان في ذاك العام، وكذلك لدراسته وعمله في مشفى دمشق، وعن شهادته الجامعية التي كان قد تقدم أخوه بطلبها من جامعة حلب، وصدرت بعد أن أصبح مازن الطبيب شهيداً، وقد أصبح كل ما قاله لأخيه هباءً، ولتنتهِي حياة مازن عند هذا الحد واستشهد عن عمر يناهز الـ ٢٦ عاماً.

كان مازن منذ صغره ممن يفضلون الدراسة على أي أمر آخر، واهتم طوال حياته بدراسته فقط، فكان قليل الأصدقاء والعلاقات الاجتماعية، يحبذ قضاء وقته بالدراسة.

وبالفعل قطف نتاج جهده، وحبه عندما نجح بتفوق في الشهادة الثانوية بمجموع ٤٣٦ درجة، لتنقصه أربع درجات عن المجموع التام، ويبدأ مسيره نحو هدفه بأن يكون طبيباً. وفي عام ٢٠١١، أنهى «مازن وجيه النجم» من مواليد ١ نيسان ١٩٨٧، دراسة الطب البشري العام في جامعة حلب، وقرر أن يكمل دراسته في دمشق، حيث المكان الأمثل، بنظره، لدراسة التخصص الذي يرغب به وهو «العظمية».

وكما أراد، بدأ مازن دراسته، وبسبب تفوقه انتقل للعمل كطبيب مقيم في مشفى دمشق إلى جانب دراسته، كان محبوباً بين زملائه، إلى أن جاء اليوم الأول من رمضان. في ٩ تموز عام ٢٠١٣، حين قدم عناصر من الأمن إلى المشفى حيث يقيم الطبيب مازن، قبل أذان المغرب بنحو ٥ دقائق ليصحبوه معهم دون أن يعيدوه.

يقول أخو الشهيد «مازن وجيه النجم»: «كان مازن قد طلب مني استخراج بعض الأوراق له من الجامعة، ومن بينها شهادة تخرجه التي لم يرها، وقبل أن يبدأ شهر رمضان ذهبت إلى هناك

وتقدمت بطلب الأوراق، وقررت أن أبقى تلك الليلة في حلب والعودة إلى مدينتنا خان شيخون صباح اليوم التالي»، مضيفاً:
«خلال الليل أجرينا مكالمة هاتفية مطولة، تحدثنا فيها عن أول أيام شهر رمضان، وعن الأجواء الرمضانية، بينما أخبرته أنا عن رحلة المعابر من مناطق النظام إلى المناطق المحررة التي لم يشهدها بسبب استقراره في دمشق، وهكذا كان آخر حديث لي معه».

شحب وجه أخي الشهيد مازن، وبدا عليه التوتر وهو يفرك يديه، محاولاً إخفاء مشاعره، ثم تابع: «في اليوم التالي، اتصل أحد زملاء مازن الذين كانوا معه في المشفى وأبلغني باعتقاله من قبل فرع المنطقة بتهمة معالجة جرحى الإرهابيين، كانت صدمةً كبيرةً بالنسبة لي، تساؤلات كثيرة باتت تجول في خاطري دون أن أجد لها جواباً، سوى أن آلة الإجرام الأسدي لم تعد تميز بين أحد، وباتت تعد كل مواطن سوري عدواً لها».

«كيف يداوي جرحى الإرهابيين، وهو يقيم في مشفى بإقامة داخلية ولا يستطيع الخروج، كيف وهو في وسط المربع الأمني في دمشق؟، قال الأخ ومشاعر الغضب تملؤه، مضيفاً:
«علمنا لاحقاً أن هناك تقريراً كيدياً لا صحة له، مفاده أن *مازن* يداوي جرحى الإرهابيين، وبدأت فوراً العمل على تخليصه، والسعي لإطلاق سراحه، عن طريق تعيين محام له هناك، وحاول أصدقاؤه الأطباء مساعدته، ولكن!».

صمت أخو الشهيد «مازن النجم» وهو ينظر إلى صورة أخيه، وإلى شهادته الجامعية اللتين قام بتكبيرهما، وحفظهما ضمن إطار، وعلقهما على حائط الغرفة، وكأنه يريد أن يقول الصورة وحدها تتكلم.

«لم يستطع مازن الصمود بين أيدي الظلمة طويلاً، ففي ١٩ آب عام ٢٠١٣، أبلغونا أن مازن استشهد، نعم إنها أربعون يوماً بين أيدي الظلمة كفيلة بأن تخرج أرواح الأبرياء من الأجساد المعذبة المشققة، حتى ولو كان أصحاب تلك الأجساد أقوياء البنية مثل مازن».

كان والد الشهيد «مازن النجم» قد توفي قبل بداية الثورة بأقل من عام، أما والدته فلم يستطع أخو الشهيد إبلاغها بخبر اعتقاله بداية الأمر، لكن غياب مازن، وانقطاع اتصالاته، أجبر أخاه على إخبارها بأنه موقوف مؤقتاً بمشكلة بسيطة وسرعان ما سيخرج، إلا أن نبأ استشهاده كان أسرع بكثير، ولم يكن قد مضى وقت طويل على علمها باعتقاله مؤقتاً، لتتفاجأ باستشهاده، وليتبعه على الفور أخو مازن الثاني وابنه اللذان استشهدا جراء غارة جوية استهدفت منزلهما، لتتلقَى أم الشهيد مازن ثلاث صدماتٍ متتالية، وتخسر خلال مدة قصيرة ولدين من أولادها بالإضافة لحفيدها، فما عسى هذه الأرواح السورية أن تحتمل، وما الذي سيداوي قلوبها.

من أريحا إلى القابون.. الشهيد «أ.م. أ»

لم نستطع ذكر اسمه تحت رغبة زوجته التي تتردد إلى دمشق للعلاج وتخشى الاعتقال في ذلك اليوم طلب منه ابنه ذو الخمسة عشر ربيعاً، أن يذهب معه للعمل، لكنه رفض وقال له: «لا يا بني خليك مع أمك وأخواتك وكون رجال واحميهن إذا صابني شي»، وكأنه كان يشعر بخطرٍ يهدد حياته.

في ٢٨ نيسان عام ٢٠١٣، خرج الشهيد ابن مدينة أريحا في ريف إدلب وهو من مواليد ١٩٧٠/٤/٧ كعادته إلى عمله، فقد كان يعمل بائعاً جوالاً بسيارته الصغيرة، يبيع الموالح منذ أن ترك تعليمه بسبب حالة أهله المادية السيئة، ينطلق في كل صباح باكراً من منزله في حي القابون الدمشقي متنقلاً بين المناطق، لم يكن يهتم فيما إذا كانت المناطق التي يمر بها محررة أم تحت سيطرة النظام، فهو لا يخاف المرور على حواجزه، لأنه لم يشارك بالثورة، وكان منشغلاً بتأمين متطلبات أطفاله الأربعة.

لكن ثقته لم تكن بمكانها، ففي ذلك اليوم بينما كان في أحد الكراجات بدمشق، جاءت دورية أمن واعتقلته مع مجموعة من الشبان والباعة بتهمة تمويل الإرهاب، وصادرت سيارته الصغيرة وبضاعته وكل ما كان يحمله من مال.

تقول زوجة «أ.م. أ»: «أحد الباعة الذين كانوا موجودينٍ في المكان، جاء إلينا وأخبرنا بما حدث، كانت صدمةً موجعةً لنا، ولا سيما لابني»، مضيفةً: «لم أستطع توكيل محام بسبب ضيق حالنا، ولكنني منذ لحظة اعتقاله وأنا أذهب للسؤال عنه بأفرع الأمن من كفرسوسة إلى فلسطين وصيدنايا، لكن لم يقر أيّ منهم بوجوده لديهم، وكلما خرج معتقل من السجن أذهب للسؤال عنه، فيخبرني بعضهم أنه في سجن صيدنايا، وآخرون يؤكدون أنه في فرع أمن الدولة».

وتضيف الزوجة: «أخيرا حين ذهبت للسؤال عنه لدى الشرطة العسكرية في عام ٢٠١٤، أخبروني أنه استشهد، طردوني ورفضوا أن يعطوني شهادة وفاته أو هويته، وقالوا لي لا تعودي ولا تسألي عنه».

تنهي الزوجة حديثها بالقول: «انهارت أعصابي وانفجرت بالبكاء، وعدت إلى منزلي أحمل بؤسي والخبر السيء لأولادي، وخاصة ابني الذي لم يحتمل فكرة اعتقال والده، فكيف أخبره باستشهاده، وقد كان له الأب والأخ والصديق».

فيما لا يزال الابن لا يصدق استشهاد والده، الذي لم يكن همه سوى أن تحيا أسرته حياة كريمة لا تحتاج فيها لأحد.

ليتني يا ولدي في السجن وأنت حر بين أولادك

الأمنية المحققة بعد ساعات.. الشهيد محمد جمعة القاسم

«ليتني أنا في السجن وأنت حر بين أولادك»، كانت آخر كلماته لابنه المعتقل في سجون النظام، حرضته دموع ابنه عند وداعه له ولأولاده في نهاية الزيارة، دون أن يعلم أن أمنيته ستتحقق بأسرع مما يتخيل.

في آب عام ٢٠١٣، كان «محمد جمعة القاسم»، مواليد عام ١٩٥٦، خريج قسم التربية وعلم النفس، عائداً مع زوجته وكنّته وحفيده من زيارة ابنه المعتقل منذ تسعة أشهر في أحد سجون النظام إلى قريته الغدفة، عندما اعتقلته قوات النظام على حاجز حسيا، وقبل أن تمضي ساعات على أمنيته التي أبلغ ابنه بها.

كان محمد يعلم أن السوريين سيدفعون فاتورةً كبيرة للخلاص من الظلم، وربما لم يستبعد أن يكون جزءاً من هذه الفاتورة، فكان من أوائل المشاركين في المظاهرات السلمية مع أولاده في بدايات الثورة، ومن أكثر المشجعين عليها، ولكنه أبى إلا الاستمرار، ليعتقل ومن ثم يعذَّب حتى الموت في سجون النظام.

بينما لم يكن يتوقع ابنه الذي أُفرج عنه عقب زيارة والده له في السجن بفترة قصيرة، أن تتحقق أمنية والده بهذه السرعة، وأن يصبح هو حراً طليقاً بين أولاده، ويحل أبوه محله في السجن، كما لم يكن يتوقع أن تكون الفاتورة كبيرة بحجم حنان أبيه ومحبته لأولاده، على حدّ تعبيره.

الاعتقال ونبأ الاستشهاد

مشاعر الأبوّة فاقت كل شيء لديه، فعلى الرغم من مشاركته في المظاهرات، واحتمال اعتقاله، خاطر محمد بحياته من أجل الوصول لابنه وزيارته، ليعتقل قبل إطلاق سراح ابنه بشهرين.

تروي زوجة ابنه التي كانت معه لحظة اعتقاله: «في طريق عودتنا من زيارة زوجي في المعتقل، وعلى حاجز حسيا بالتحديد، أوقفنا عناصر الحاجز وطلبوا منا البطاقات الشخصية، ثم أمرونا أن ننزل من السيارة، وأدخلوا عمي إلى داخل المخفر، ثم سمعت صرخته بعد أن تلقى صفعة قوية على وجهه»، في هذه الأثناء علا صوت بكاء ابن الشهيد، فتابعت زوجته بصعوبة، والغصة واضحة في صوتها: «انتظرناه أمام المخفر لفترة ولكنه لم يخرج، فدخلت إليه بعد أن حاول عنصر من الجيش منعي وأصررت

على الدخول، كان واقفاً شاحب الوجه، بدأت بالبكاء ورجوته المجيء معنا، فرد بصوت مرتجف: عودوا للبلدة يا بنتي في حفظ الله ورعايته»، امتلأت عيناها بالدموع قائلة: «لا أنسى نظراته التي نظر بها إلي».

كانت زوجة محمد بانتظار زوجها وزوجة ابنها للمغادرة بسيارتهم، لكن زوجة ابنها أبلغتها باعتقال عمّها، واحتجاز السيارة، ما اضطرهما مع الطفل الصغير للمشي سيراً على الأقدام على الطريق العام، إلى أن صادفتهم سيارة وعادوا إلى القرية.

بعد خروجه من السجن بشهرين، بدأ خلالهما يستقر وضعه الصحي والنفسي، تفاجأ باعتقال أبيه، فوكّل، على الفور، محامٍياً لمساعدته بالوصول إلى والده، وكانت الصدمة الثانية أشد وطأة عليه من الأولى، إذ إن المحامي أبلغه في ١٤ حزيران عام ٢٠١٤ باستشهاد والده.

وعلى الرغم من أنه عرف سجون النظام، وخبر ما يجري في زنازينه، وعلى الرغم مما عاناه هو نفسه في تلك السجون، لم يتقبل فكرة استشهاد أبيه، ولكنّ الخبر تأكد مرةً أخرى بعدها بنحو شهرين، عندما أبلغتهم امرأة من بلدة «الحراكي» بريف معرة النعمان، كانت في زيارة لابنها المعتقل أنه طلب منها إبلاغهم باستشهاد محمد تحت التعذيب في سجن عدرا أوائل عام ٢٠١٤، بعد ستة أشهر من اعتقاله، وأنه كان قبل تحويله إلى سجن عدرا في فرع الأمن العسكري.

وضع الابن المفرج عنه من سجون النظام بعد اعتقاله لمدة أحد عشر شهراً يده على جبينه، وقد أحنى رأسه باكياً، ثم استعاد رباطة جأشه ليقول:
«بعد ما عانيته على أيديهم، لم أتمكن من الحصول على شهادة وفاة أبي، فقد خفت التوجه إلى مناطق النظام، وخشيت أن يعتقلوني مرة ثانية، وأنا متأكد أن ما يعانيه المعتقل من صنوف العذاب، لا يمكن أن يحتملها شاب قوي البنية، فكيف لرجل كبير في السن ومريض بالسكر مثل أبي»، مضيفاً:
«لقد عشت الاعتقال، وأعرف ما يلاقيه السجين في معتقلات النظام، فقد خرجت شبه فاقدٍ للذاكرة، وبقيت عاماً كاملاً بعد خروجي من السجن حتى استعدت ذاكرتي تماماً».
محمد جمعة القاسم لم يكن حنوناً على أولاده فقط، بل كان الصديق المميز لهم ولعائلاتهم، تقول زوجة ابنه:
«حين كان زوجي في المعتقل، كان عمي يهتم بي وبأولادي كثيراً، ويحاول ألا يشعرنا بالوحدة، ويعتني حتى بسيارة زوجي، ويؤكد لنا أن زوجي سيخرج ويعود لقيادتها، وأننا لن نحتاج أحداً طالما أنه على قيد الحياة»، مؤكدة: «لقد كان عمي أحنّ علي من أبي».

كان محمد يملك قطعة أرض ويحب العمل فيها، والاهتمام بزراعتها، وبعد استشهاده، لم يحتمل أولاده الستة الخبر، فهاجروا جميعهم وتركوا سورية، باستثناء ابنه المفرج عنه من سجون النظام الذي لايزال يحتفظ بصور أبيه، وببعض ملابسه، ويرتديها كلما هزّه الشوق لوالده.

يقول ابنه: «استشهاد والدي يعني خسارة كل عائلتي، ورغم أنني متيقن من استشهاده، إلا أنني أنتظره، ولا أرغب بترك سورية على أمل عودته».

تقاسما كل شيء.. من رحم امهما وحتى زنزانتهما وقبرهما
الشهيدان التوأم علي وعبد الرحمن عبد الرزاق حمشو

«عبد الرحمن» و «علي» أو كما كانا يُلقبان في بلدتهما حزارين بجبل الزاوية «زينغو ورينغو»، توأم حقيقي، منذ أن ولدا في عام ١٩٧٦ لا يمكن لمن يراهما أن يميّز بينهما، بساطة وطيبة، وبشرة حنطية اللون، وطول واحد حتى بعد أن كبرا، تطابقا في كل صفاتهما باستثناء عدد أولادهما، فعبد الرحمن لديه أربعة أولاد، ولدان وبنتان، بينما لدى علي ولدان فقط.

عاشا حياتهما معاً، تركا تعليمهما معاً، وعملا سويةً في معمل الغزل، وبعد عودتهما من وظيفتهما كانا يتجهان للعمل في قطعة الأرض التي يملكانها.

لم ينفصلا عن بعضهما طوال حياتهما، حتى إنهما اعتقلا في اللحظة نفسها، وكانا في الزنزانة ذاتها، ولقيا مصيراً واحداً، وهو الاستشهاد تحت التعذيب في سجون النظام.

كان الشهيدان التوأم «علي وعبد الرحمن حمشو» في طريقهما لاستلام راتبيهما، عندما تم اعتقالهما من قبل أحد حواجز قوات النظام في إدلب، وذلك في ٣٠ تشرين الأول عام ٢٠١٣، كان معهما عدد من شبان البلدة، أبلغوا عائلتيهما باعتقالهما، ثم علمت العائلتان بنقلهما إلى فرع أمن الدولة، وبعد عدة أشهر نقلا إلى دمشق.

استعانت عائلتا الشهيدين بمحام للدفاع عنهما وإطلاق سراحهما، ولا سيما أنه لم يكن لدى ابنيهما التوأم أي نشاط ثوري، فقد كانا يخافان من خسارة عملهما الذي يعيشان منه هما وعائلتاهما، ولم يجرؤا على المشاركة بالمظاهرات لأنهما يذهبان إلى إدلب.

دفعت العائلة مبلغ ٤٠٠ ألف ليرة سورية للمحامي على أمل إطلاق سراحهما، ولكنه نصب عليها، ولم يعد لديها ثقة بالمحامين، ولذلك بدأت أخت التوأم المقيمة في دمشق بالسؤال عنهما هناك، لتصل نتيجة بحثها إلى الإجابة التي يخشاها كل السوريين، ويحاولون التهرب منها، فقد أبلغت باستشهادهما، وتسليمها بطاقتيهما الشخصيتين، وذلك في ٤ آب عام ٢٠١٤، أي بعد ١٠ أشهر من اعتقال أخويها التوأم، لتعود قوائم الشهداء الذين استشهدوا تحت التعذيب، وتؤكد للعائلتين استشهاد علي وعبد الرحمن، وتفتح جرحهما من جديد، وكأن الخبر وصلهما الآن لا قبل أربع سنوات.

كان الخبر قاتلاً لعائلتي الشهيدين، إذ خسرتا معيليهما في لحظة واحدة، وكانت الصدمة قوية على والدتهما التي ما زالت حتى هذه اللحظة تعاني حزناً كبيراً عليهما، وتحتفظ بصورهما لديها، وما يهون عليها إلى حدّ ما هو وجود أولادهما الستة إلى جانبها، فأولاد عبد الرحمن يقيمون مع والدتهم في منزلهم جانب بيت جدهم، أما ابنا علي فيقيمان في منزل عمهما

بعد أن تزوجت أمهما.

يقول أخو التوأم: «من يرى الأولاد يدرك حجم الوجع الذي يعانون منه، فهم دائماً منطوون على أنفسهم، وأرى الدمعة في عيونهم حين يركض أطفالي إليّ عند عودتي ويناودنني بابا».

لم يعد العم قادراً على حبس دموعه، فترك لها المجال للبوح قليلاً بدلاً عنه، ثم تابع: «أراهم دائماً مكسورين، ومهما حاول الجميع من حولهم ألا يشعروهم بالوحدة أو الحاجة لأي شيء، إلا أنهم يشعرون بفقدان الوالد واحتياجهم له».

«لا يمكن لأي إنسان أن يعوض خسارة الأب أو يحل مكانه لدى أبنائه، كلمة بابا تساوي الدنيا»، بهذه العبارة أنهى أخو الشهيدين التوأم وعم أولادهما كلامه، دون أن تنتهي دموعه.

جهاز التعذيب المعروف باسم بساط الريح الذي عثر عليه داخل مقر أمن الدولة في الرقة، سوريا، في أواخر نيسان ٢٠١٣ - هيومن رايتس ووتش

صانع الموزاييك، الشهيد الرابع في العائلة
أحمد سليم الخطيب

كان شاباً خلوقاً، لبقاً وحنوناً، يحبه أهالي مدينته كفرنبل، وكل البلدات القريبة، فهو اجتماعي بطبعه، ولديه الكثير من الأصدقاء والمعارف، لا سيما أنه يملك صالة للإنترنت في المدينة.

طويل القامة، أسمر الوجه، أسود الشعر، بنيّ العينين، جذّاباً وأنيقاً، ولعه بالموزاييك دفعه لترك تعليمه وافتتاح محل لصناعة لوحات الموزاييك.

كان من المفترض أن يكون الآن متزوجاً، فقد تقدم لخطبة فتاة قبل الثورة، ولكن اندلاع الثورة وإيمانه بها جعله يؤجل زواجه، ريثما تنتصر الثورة، أملاً بأن تكون فرحته فرحتين.

شارك في الثورة منذ بدايتها إلى جانب أخيه عضو تنسيقية كفرنبل، وعند دخول الجيش إلى المدينة، قام بمداهمة منزل أخيه لإلقاء القبض عليه، لكن أخاه لم يكن موجوداً، ولسوء حظ أحمد كان هناك، فاعتقلته عناصر النظام ثم أحرقوا المنزل.

وبعد اعتقال أحمد سليم الخطيب، مع بعض شبان المدينة في ٢٦ كانون الأول عام ٢٠١١، اصطحبوهم إلى معسكر المسطومة القريب من المدينة، وحاول أخوه عن طريق بعض معارفه أن يدفع مبلغاً مالياً للضباط في ذاك المعسكر من أجل إطلاق سراحه، ولكنه لم ينجح في ذلك، كما لم يسعفه الوقت.

كانت والدته قلقة وخائفة من فقدان أحمد، فقد سبق لها أن خسرت أولادها الثلاثة على يد النظام في الثمانينيات، وبالفعل حدث ما كانت تخشاه مع ابنها أحمد.

استشهد أحمد سليم الخطيب بعد نحو شهر من اعتقاله، ففي ٢١ كانون الثاني عام ٢٠١٢، انتشرت صورة أحمد، ولكن بهيئة غير تلك التي يعرفه بها الجميع، فقد كانت عينه مقلوعة، وفمه بلا أسنان، ووجهه مشوهاً.

توجهت عائلته على إثرها إلى مشفى إدلب، واستلمت جثمان أحمد، وتحولت جنازته إلى

مظاهرة كبيرة شارك فيها أهالي المدينة كلهم، بهذه الكلمات بدأت ابنة أخي الشهيد أحمد سليم الخطيب، وبعينين ممتلئتين بالدموع، وكفين تقلبان صوره، وبحشرجةٍ تطغى على صوتها، التعريف بأصغر أعمامها الذي كان عماً وأخاً وصديقاً لها، إذ إنه لا يكبرها بأعوام كثيرة، فهو من مواليد آب عام ١٩٨١، وقد حمل اسم أخيه الذي استشهد في الثمانينيات في سجون تدمر.

فقدت عائلة الشهيد أحمد سليم الخطيب على يد الأسد الأب ثلاثة من أبنائها، لتفقد الرابع على يد الأسد الابن، إذ اعتقل النظام في الثمانينيات شقيقيه الأكبرين فبقيا في سجن تدمر خمسة عشر عاماً ثم استشهدا، وبعد سنوات قليلة قتل أخوه الثالث في لبنان على يد الجيش السوري أيضاً حين تلقى خبر استشهاد أخويه، فقام بتمزيق صورة حافظ الأسد، وقُتل على إثرها، ومن ثم جاء نظام الابن ونظامه الحالي ليقتل أحمد، ويترك أمه محطمة كلياً.

ولا تزال والدة أحمد تحدث كل من تراه عن أولادها، وتسأل كل من حولها إن كان أحد منهم قد رأى أحمد في منامه وكيف رآه، وتمضي ليلها وهي تبكي في غرفته وتتحدث إليه، ونتيجةً لذلك ولكثرة الصدمات التي تلقتها، باتت تعاني مشكلة التركيز، بحسب تعبير زوجة أخي الشهيد.

وما تزال عائلة أحمد تحتفظ بأشيائه حتى هذه اللحظة، فهي تحمل رائحته، نظارته، وتلفازه وغيرها، وحتى من سافر من أفرادها حمل معه في سفره أحد أغراض أحمد، كما تستذكر عائلته كل نهار مع أطفالها حركات أحمد وكلماته، ونكاته، وتحدثهم عن صفاته، وتريهم صوره.

وحيداً لتسع أخوات
الشهيد صبحي عوض المسطو

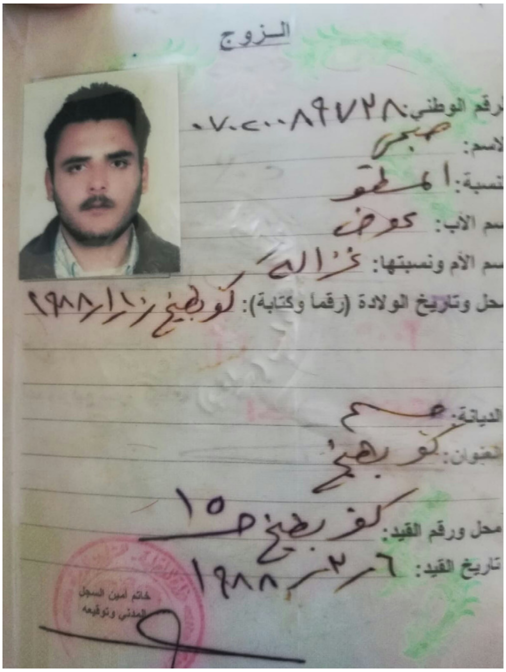

حنون وعطوف، أبٌ رؤوف بأطفاله، يسعى جاهداً كل الوقت لتأمين حياةٍ كريمةٍ لهم، ابن مطيع ومُرض لوالدته التي تتحدث عنه بحزن وألم علّى خسارته قائلةً:
«لقد خلّف صبحي ألماً كبيراً في قلبي وقلب أخواته التسع، وبقي مكانه فارغاً في العائلة، لا سيما أنه الشاب الوحيد لديّ، ولم يعد لي ولشقيقاته سند، كان رجلاً قوياً جميلاً حنوناً على الجميع، فراقه لوّع قلوبنا وقلوب أطفاله الأربعة وزوجتيه، واليوم تعيش زوجته الأولى وأطفالها الثلاثة معنا في قريتنا كفر بطيخ، أحدثهم طيلة الوقت عن صبحي وصفاته والأمور التي كان يحبها والتي يكرهها، وكيف كان يتصرف في المواقف التي تعترضه، أما زوجته الثانية وطفلها فهما يعيشان حالياً في مدينة إدلب».

وأضافت أم صبحي: «الأطفال لا يتذكرون والدهم كثيراً فقد كانوا صغاراً، ولدى صبحي طفلة لم تره، فقد كانت والدتها ما تزال حاملاً بها عند اعتقاله، ولكن مع ذلك يعرف أطفاله بأن والدهم معتقل، وفي كل مرة نسمع فيها عن صفقة تبادل أو خروج معتقلين، ينتظر أولاده أن يكون بينهم، وفي آخر دفعةٍ من المعتقلين والتي كانت قبل نحو شهر، كان الأطفال ينتظرون خروجه، وكذلك نحن، نعيش على الأمل على الرغم من أننا نعلم بأنه استشهد في السجن».

وعن اعتقاله قالت أم صبحي:
«صبحي من مواليد ١٠ كانون الثاني عام ١٩٨٨، كان يعمل سائق حافلة على طريق إدلب-معرة النعمان، اعتقل في ١٨ آذار عام ٢٠١٢ بعد عام على بداية الثورة، وكان يخشى من الاعتقال لأنه يمر على حواجز النظام عدة مرات في اليوم، ولذلك لم يشارك في الثورة إطلاقاً، ومع ذلك قمنا بالاستعانة بمحام لإطلاق سراحه، ولكنه لم يتمكن من الوصول إليه أو الحصول على أية معلوم عنه».

لم تعرف عائلة صبحي أية تفاصيل عن اعتقاله، ولكن بعض الوثائق المسربة بينت أن شعبة

المخابرات العسكرية في إدلب، قامت بإحالة صبحي إلى الفرع ٢٩١ بدمشق في ١٥ نيسان عام ٢٠١٢، بتهمة مجرم إرهابي وقاتل، واكتفت بذكر رقم اللجنة وتاريخ تحويله وتهمته.

أما بالنسبة لاستشهاد صبحي فقد أوضحت والدته أن أحد المعتقلين المفرج عنهم، ويدعى محمود صالح أصلان، هو من أبلغهم باستشهاد صبحي تحت التعذيب في سجون النظام، وذلك في عام ٢٠١٤، دون أن تبين اسم الفرع الذي استشهد فيه، فالخبر شكل صدمةً كبيرةً لها وللعائلة، حتى أنها لم تعد تفكر بالحصول على شهادة وفاة صبحي أو أغراضه الشخصية وهويته، كما خشيت على بناتها من الاعتقال في حال فكرن بالذهاب إلى دمشق للحصول على الوثائق.

صمتت الأم المسنة وتركت دموعها وصوت بكائها يتحدثان عنها، فليس هناك أصدق منهما بالنسبة لأم فقدت وحيدها.

من لوحات الفنان نجاح البقاعي

«بعد ما نقبروا إنبشي وخديه»..
الشهيد عمر عبد الله بركات

- بدك تشوفي الإرهابي جوزك؟ روحي جيبي كروز دخان.. حوليلي رصيد.. جيبيلي..
- بدك جوزك يطلع؟
- اي طبعاً ببوس ايدك شلون
- دبري ١٠٠ ألف ليرة بيكون برا
- عم نسعى، يا اللّه تم شوي.. بكرة بيطلع.. بعد بكرة.

كانت هذه جزءاً من حالات النصب والاستغلال التي تعرضت لها زوجة الشهيد «عمر عبد اللّه بركات»، وأجبرتها على بيع كامل أثاث منزلها، ومن ثم تركه والعيش عند والدتها، والعمل لتأمين لقمة عيش أطفالها، بالإضافة إلى تلك الطلبات التي لم تنتهِ منذ اعتقاله، وحتى واجهتها العبارة الأخيرة:

«تدفنيه أنت ولا مندفنو نحنا؟ بعد ما نقبرو انبشي وخديه».

الشهيد «عمر بركات» مواليد الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٨٣، من أبناء مدينة إدلب، متوسط الطولِ أسمر البشرة، متزوج ولديه ثلاثة أطفال عمر كبيرهم اليوم ثماني سنوات.

كان عمر عاملاً حراً فقيراً، يسعى جاهداً لتحصيل ما يسد به رمق عائلته، ما شغله عن الحراك الثوري الذي كان في أشهره الأولى، عندما تم اعتقاله.

ففي صباح العاشر من تشرين الأول عام ٢٠١١، كان عمر في طريقه للعمل في مدينته إدلب، بعد انقطاعه عن العمل لأشهر، ليتم اعتقاله من قبل أول حاجز يصادفه، وكان حاجزاً مشتركاً بين اللجان الشعبية وجيش النظام، والسبب كما تقول زوجته هو خلافات عائليةٍ بينه وبين زوج شقيقته الذي كان أحد عناصر اللجان الشعبية آنذاك، على حد قولها، مضيفةً:

«بدأت رحلة عمر بين أفرع الموت، فتم تحويله بداية الأمر إلى فرع أمن الدولة في إدلب، وعلمت بذلك منٍ أحد السجناء الذين أطلق سراحهم، وكان برفقة زوجي، فذهبت إلى هناك لرؤيته لكن عبثاً أحاول، وأصبحت أتردد يومياً مع أطفالي إلى الفرع، نجلس أمام باب الفرع طيلة النهار ونبكي، عسى أن ترق قلوبهم علينا ويسمحوا لنا برؤيته، ولكن أن ترق عليك قلوب الحجر أمر محتمل، أما أن ترق عليك قلوب عناصر جيش الأسد وفروعه فهذا شيء مستحيل».

وبقيت الزوجة على هذه الحال بضعة أيام، إلى أن جاء إليها أحد العناصر وقال لها:
-»إذا بدك تشوفي الإرهابي جوزك روحي جيبي كروز دخان حمراء طويلة وتعي شوفيه».

فرحت زوجة «عمر» بالرد على أمل لقاء زوجها، وذلك على الرغم من حيرتها فمن أين لها بثمنه، وهي لا تملك أن تسد رمق أبنائها، ولكنها توصلت لقرار وهو أن تبيع بعض الأغراض من منزلها وتأتي لرؤية زوجها، وبالفعل عادت في اليوم التالي ومعها ما طلبه منها، وتمكنت

من رؤية زوجها الذي كانت آثار التعذيب واضحة جداً عليه، كما كان الخوف مسيطراً عليه، حتى إنه لم يجرؤ على التفوّه بكلمة، وكأنه رجل فقد عقله، وتمنّت لو أنها لم تره بهذه الحالة، وانتهى وقت الزيارة الأولى، ليبدأ مسلسل الاستغلال من أجل الزيارات، وتتوالى طلباتهم التي لم تنته بحسب زوجة الشهيد «عمر».

واستطردت الزوجة: «خلال شهرين من سجن زوجي في إدلب اضطررت لبيع معظم أثاث بيتي في سبيل أن أطمئن أنه مازال على قيد الحياة، وكان عند بداية كل زيارة يعانقني ويهمس في أذني: «انتبهي لكل كلمة بتقوليها، أنت بتحكي وأنا بتبهدل»، وفي إحدى المرات، وأنا قادمة لزيارته، وإذ بامرأة برفقة أحد عناصر الفرع توقفني وتقول لي:
- بدك جوزك يطلع؟
- اي طبعاً
- دبري ١٠٠ ألف بكون برا.
كانت فرحتي ممزوجة بالألم، فالمبلغ ضخم، وأنا لم يبق لدي سوى اليسير من أثاث المنزل لم أبعه بعد، ذهبت وبدأت مشوار الذل في طلب المال من جميع من هم حولي، وتمكنت من تأمينه بعد جهدٍ جهيد، لكنها كانت مجرد حالة نصب، وتم تحويل عمر إلى دمشق، وعندما علمت بذلك فقدت وعيي لأيام، ثم استجمعت قواي وطلبت منهم استرداد المبلغ، فقالوا لي مستهزئين:
«**انزلي عالقبو لعند المحققين خديها**».

توقفت الزوجة عن البحث عن زوجها بسبب إفلاسها وخشيتها من اعتقالها في حال ذهبت إلى دمشق، وانتقلت للسكن مع والدتها لتخفيف المصاريف، وبدأت العمل في إحدى مشافي المدينة كمستخدمة.

وبعد ما يقارب الشهر، علمت الزوجة من معتقل أُفرج عنه أن «عمر» في سجن بحي كفرسوسة بدمشق، ويتعرض لتعذيب شديد، وقبل أن تتمكن من التحرك، وصلها بلاغ من الشرطة العسكرية في إدلب بالتوجّه إلى مشفى المجتهد بدمشق، وبفضل زملائها العاملين في المشفى الذين جمعوا لها مبلغ ٣٠ ألف ليرة سورية، تمكنت من الذهاب إلى دمشق، لتكون صدمتها الكبرى.

بعد عناءٍ كبير في دمشق المجهولة بالنسبة لزوجة عمر، وصلت إلى المشفى فأرسلوها إلى الشرطة العسكرية في القابون التي طلبت منها العودة إلى المشفى، وبالفعل ذهبت لتحول، هذه المرة، إلى براد المشفى.

تقول زوجة الشهيد «عمر»: «أعطيت الورقة لأحد الموجودين في المشفى، وسألته: أين زوجي، فردّ ساخراً: «زوجك عند الله، الله يرحمه، بدك جثته، ولا مندفنه نحنا؟»، أحسست أن الكون قد بدأ في الدوران بقوة من حولي، كيف مات؟، وبدأت الردود المتتالية باستهزاء، أحدهم: من الجوع، والثاني: أكله الكلب، وهكذا حتى أيقنت أننا لسنا سوى دمى بين يدي هؤلاء المجرمين الذين لا يملكون في قلوبهم ذرة رحمة».

وأضافت زوجة الشهيد «عمر عبد الله بركات»: «طلبوا مني إخراج قيد فقدمته لهم، وأعطوني شهادة وفاة مؤرخة في الثاني عشر من أيار عام ٢٠١٢، مكتوب فيها أن سبب الوفاة مرض شديد وإسهال شديد، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فقد كنت أظن بأن سؤالهم حول دفن زوجي كان جدياً، إلا أنهم منعوني حتى من رؤية جثته، وأخبروني بأنها نُقلت إلى مقبرة نسيت اسمها تحت تأثير ما كنت فيه، وقالوا لي باستهزاء واستهتار بمشاعري كعادتهم:
«بعد ما نقبره انبشي وخديه إذا بدك».

قائمة بأسماء شهداء إدلب الذين قضوا تحت التعذيب:

الرقم	اسم الشهيد	المدينة	تاريخ الاستشهاد
1	إبراهيم أحمد العلي	سراقب	2015-02-28
2	ابراهيم حامد بكور	الهبيط	2013-11-01
3	ابراهيم حسين الدعبول	جرجناز	2014-06-17
4	ابراهيم دعدوش	خان السبل	2012-08-20
5	إبراهيم رمضان زيدان	ترملا	2015-12-01
6	ابراهيم شيخ أحمد	سرمين	2016-11-18
7	ابراهيم طاهر الخضر	جبل الزاوية- المغارة	2014-06-17
8	ابراهيم عبد الرحمن المعراتي	خان شيخون	2018-04-19
9	ابراهيم عبدالقادر السرماني	خان شيخون	2014-07-25
10	الطفل ابراهيم عمر المرعي	تلمنس	2012-10-08
11	ابراهيم محمد العمر	كفرحايا	2014-03-19
12	ابراهيم مصطفى سباط	جبل الزاوية	2012-12-07
13	ابراهيم يوسف الصالح	كفرومة	2012-10-08
14	ابن أسعد حربا	ادلب المدينة	2014-06-25
15	إحسان حاج موسى	جسر الشغور	2017-11-07
16	أحمد القدور	البارة	2017-02-06
17	أحمد بديع القاسم	احسم	2014-02-24
18	أحمد بركات		2013-02-04
19	أحمد تركي الدريس	خان شيخون	2013-08-16
20	الطفل أحمد حكم حسن كيالي	سرمين	2013-12-27
21	أحمد حمادي البكور	كفرنبل	2014-08-15
22	أحمد خالد عباس	كفرنبل	2013
23	أحمد خطيب	سلقين	2013-06-10
24	أحمد خليل أحمد الجرك	معرة النعمان- الدير الشرقي	2014-05-11
25	أحمد رشاد صالح	جسر الشغور- عين البيضا	2013-11-25

26	أحمد رضوان رمضان	خان شيخون	2016-02-16
27	أحمد رمضان الحسين	معرة حرمة	2014-06-24
28	أحمد سليم الخطيب	كفرنبل	2012-01-21
29	أحمد سهيل شريف		2016-09-27
30	أحمد شحادة		2014-09-29
31	أحمد شعلان الشحود	حاس	2012-04-22
32	أحمد عباس الأسعد	حفسرجة	2015-07-31
33	أحمد عبد الحي العمر	جوزف	2015-02-28
34	الطفل أحمد عبد العزيز حللي	جسر الشغور	2013-03-10
35	أحمد عبد القادر حصرم	جبل الزاوية- الرامي	2014-07-10
36	أحمد عبد الكريم الابراهيم	كورين	2014-05-07
37	أحمد عبد الكريم حبيب	سراقب	2014-12-01
38	أحمد عبد الكريم شيخ أحمد		2014-01-24
39	أحمد عبد اللطيف السلمو	كفرومة	2012-10-08
40	أحمد عبد الله الحميدي	جبل الزاوية	2013-12-11
41	أحمد عبد المجيد اليوسف	خان شيخون	2014-02-20
42	أحمد عبدالله الحسن	نحلة	2016-03-10
43	أحمد عدنان الحشاش	تلمنس	2014-05-13
44	أحمد عمر توامي	سرمدا	2012-07-26
45	أحمد عيدو اليوسف	معرة النعمان- الدير الشرقي	2014-12-03
46	أحمد فواز العمر	الهبيط	2013-05-10
47	أحمد فيصل قطيني	خان شيخون	2012-10-20
48	أحمد قاسم عبد الهادي		2014-01-26
49	أحمد كمال أحمد	سرمدا	2014-05-25
50	أحمد محمد الرواج	جبل الزاوية- الرامي	2013-07-11
51	أحمد محمد السلوم	كفرنبل	2012-10-08
52	أحمد محمد الضاهر		2014-12-01
53	أحمد محمد العلوش	ابلين	2012-05-04
54	أحمد محمد هنداوي	خان شيخون	2012-06-26
55	أحمد محمود اصطيلي	بليون	2014-06-10
56	أحمد محمود السويد الفجر	كفرنبل	2014-04-28
57	أحمد مصطفى السعيد	كفرتخاريم	2014-12-10
58	أحمد مصطفى طاهر الأحمد	النيرب	2014-05-06
59	أحمد نديم اليوسف	جبل الزاوية- المغارة	2012-04-01

60	أحمد نعنع	ادلب المدينة	2013-04-09
61	أحمد وليد أبو نقرة	محمبل	2013-02-22
62	الطفل أحمد وليد حسون	جسر الشغور- بداما	2012-05-02
63	أحمد ياسر حاج علي	سراقب	2012-03-01
64	أدهم صفوان حلاق		2016-09-27
65	أدهم غازي مرشان	الجانودية	2015
66	أسامة حسن الخبي		2013-07-23
67	أسامة خالد عيدو الطعان	خان شيخون	2014-01-04
68	أسعد أحمد هنداوي	احسم	2014-11-28
69	أكرم عبدالله حاج قاسم	سراقب	2014-12-25
70	أكرم غياث أباظلي	جسر الشغور- الملند	2013-08-23
71	أمجد محمود العيدي الضاهر	كفرعويد	2013-02-07
72	أمل أحمد الصالح	معرة حرمة	2015
73	آمنة خليفة الأحمد	معرة النعمان- الدير الغربي	2015-03-07
74	أنس حماشو		2014-06-17
75	أنس عبد الحميد حاج بكري	خان شيخون	2012-10-08
76	أنس محمد شريط	ادلب المدينة	2016-10-11
77	أنس محمد قوصرة		2013-12-13
78	أنور حاج لطوف	ادلب المدينة	2014-05-13
79	أنور عبد الجليل قطرون	جسر الشغور	2018-06-05
80	أيمن الحاج محمود الحداد	جسر الشغور	2013-04-16
81	أيمن شمس الدين عبد الحي	بسامس	2016-12-30
82	أيمن علي الحبيب	ترملا	2014
83	إيهاب أحمد الخطيب	تلمنس	2016-03-10
84	أيهم عبد المنعم صبيح	كفرسجنة	2015-10-08
85	الوليد حسن خشان	جسر الشغور	2013-11-28
86	اياد الأذن	معرشورين	2016-06-21
87	اياد محمد حج محمد	داديخ	2014-03-03
88	ايهاب أحمد القاسم الخطيب	تلمنس	2016-03-10
89	باسل جمعة عبود	معرشمشة	2014-07-02
90	باسل وحيد الشيخ	سرمدا	2013-08-20
91	باسم حسن الضاهر	كفرعويد	2014-08-20
92	براء جميل سلات	بنش	2017-03-02
93	براء حسين البكرو	خان السبل	2014-10-23

94	الطفلة براء سامر الصرما	كفرتخاريم	2015-03-17
95	بسام أحمد كرموت		2013-06-30
96	بسام الدروبي	البارة	2013-11-25
97	بسام زمو	غانية	2013-11-15
98	بسام محمد بكري العبدالله	بسقلا	2014-08-22
99	بسام محمد نجيب افضيل	احسم	2013-09-18
100	بسيم خالد الجمعة	الغدفة	2014-11-21
101	بشار البكاري	معرة النعمان	2015-11-14
012	بشار حسن السبع	بسقلا	2014-06-01
103	بكور علي البكور	كفرعميم	2014-02-25
104	بلال حسين البيوش	كفرنبل	2014-12-01
105	بلال راغب الطبل	معرة النعمان	2015-11-27
106	بلال رشاد لطفي أصفري	ادلب المدينة	2016-04-05
107	بلال محمد الموسى	كفرسجنة	2014-04-12
108	تامر عزو منديل	معرة النعمان	2014-07-10
109	تامر نجار	جسر الشغور	2014-03-19
110	توفيق الحسن	جسر الشغور- سلة الزهور	2015-04-30
111	توفيق ماجد الخرفان	أرمناز	2013-06-05
112	ثابت عبدو المناع	بليون	2014-06-15
113	جمال ناصر الشيخ إبراهيم	سرمدا	2012-12-30
114	جمعة الزعتر	سراقب	2012-07-05
115	جمعة هيثم زعيتر	كفردريان	2014-11-18
116	جميل رحمة	ادلب المدينة	2014-09-15
117	حامد سمير كريدية	سلقين	2014-06-25
118	حذيفة أحمد الطراف	حاس	2014-05-11
119	حسام المعراتي	معرة مصرين	2013-08-22
120	حسام خالد البصيص «الشحود»	معرة حرمة	2014-08-20
121	حسام محمد القاق	معرة النعمان	2013-01-13
122	حسان أحمد العلوش	بليون	2017-01-28
123	حسان سيد عيسى	ادلب المدينة	2013-06-02
124	حسن أديب غنيمي	كورين	2014-05-11
125	حسن توفيق حلاق	تفتناز	2015-11-16
126	حسن خالد السعدة الدندوش	كفرنبل	2014-11-20
127	حسن سيد عيسى	ادلب المدينة	2014-02-20

128	حسن شعبان علاوي	الشيخ يوسف	2012-11-29
129	حسن عارف رحال	مرعيان	2013-09-25
130	حسن عبد الحق	الطنف	2013-11-16
131	حسن عبد المعطي حيدر	معرة النعمان- الدير الغربي	2015-03-07
132	حسن عبدالمنعم خلف	ابلين	2014-08-01
133	حسن علاء الدين سيد عيسى	ادلب المدينة	2014-05-20
134	حسن علي عبد الرزاق	سرمين	2017-12-19
135	حسن محمد فائز السيد عيسى	ادلب المدينة	2013-11-01
136	حسن نجيب فيضو	جسر الشغور- خربة الجوز	2014-07-04
137	حسن وحيد العمر	معرشمارين	2012-04-11
138	حسن يحيى الحمد	تل مرديخ	2014-10-01
139	حسن يوسف رواج	جبل الزاوية- الرامي	2013-01-27
140	حسيب قاروط	جسر الشغور- الجانودية	2013-07-21
141	حسين أحمد الرشيد	الرفة	2014-04-26
142	حسين ابراهيم الدعبول	جرجناز	2014-06-17
143	حسين الصالح		2013-09-26
144	حسين القاسم	معرشورين	2017-12-21
145	حسين حمدو الدغيم	جرجناز	2012-03-30
146	حسين حمدو السوسي	خان شيخون	2012-04-06
147	حسين عبد الحميد المحلول	معرة النعمان	2015-04-02
148	حسين قنزوع	احسم	2016-02-24
149	حسين محمد الحاج موسى	سرجة	2012-07-13
150	حمادي نوح نجار	بسامس	2013-05-18
151	حمد خالد العباس	كفرنبل	2014-06-20
152	حمدو جمعة بارود	مرعيان	2016
153	حمدي عبد الرحمن سميع	ادلب المدينة	2014-08-07
154	حمزة محمود تركماني	احسم	2013-07-12
155	حمود عرب الابراهيم	البارة	2013-10-29
156	حيان عبد الزراق الخاني	خان شيخون	2017-03-16
157	الطفل حيدر حسن حيدر	معرة النعمان- الدير الغربي	2015-03-07
158	خالد حاج موسى	جسر الشغور	2017-11-07
159	خالد دياب عرنوس	بابولين	2014-01-20

160	خالد طه وهبي	جوزف	2014-06-30
161	خالد عامر الديري	جوباس	2012-05-01
162	خالد عز الدين نجم	خان شيخون	2013-01-04
163	خالد علولو	التمانعة	2013-07-22
164	خالد قاسم عبد الهادي		2014-01-26
165	خالد محمد العم	معرة مصرين	2016-10-23
166	خالد محمد برهوم	معرزاف	2015-03-22
167	خالد محمد حسن السفر	خان السبل	2014-04-27
168	خالد محمد زين	حزانو	2012-09-14
169	خالد محمود طيبة	جبل الزاوية- الرامي	2016-01-14
170	خالد مرعي الحميد	كفرومة	2012-10-11
171	خالد معاذ	ادلب المدينة	2014-05-01
172	خالد يوسف غنيم	تفتناز	2012-08-04
173	خديجة شريف النعسان	قميناس	2013-01-05
174	خطاب عمر مكوم	تل سلطان	2014-10-18
175	خليل سهيل غزال	جبل الزاوية- حزازين	2015-12-01
176	دهام عبد الهادي الدغيم	جرجناز	2013-11-05
177	ديبو حمادي العثمان	النيرب	2013-12-04
178	رأفت أحمد قاموعة	معرة النعمان	2013-04-27
179	رئيف خالد العدل	معرة النعمان	2012-04-28
180	رامح مصطفى القطيني	خان شيخون	2014-08-14
181	رامز جمال ابو كاشف	جبل الزاوية- الرامي	2012-07-13
182	رامز يحيى البكور	المسطومة	2014-04-06
183	رامي عبد العزيز معدل	ادلب المدينة	2014-05-10
184	رشاد لطفي أصفري	ادلب المدينة	2016-04-05
185	رشيد سليمان	حربنوش	2013-05-31
186	رضوان جاسم الحاج حمادي	أبو الظهور	2013-04-16
187	رماح الجميل	سهل الروج	2014-07-07
188	رياض عبد المجيد قنطار	عين لاروز	2012-04-30
189	زاهر أبو زيد	كورين	2015-10-11
190	زاهر زين الدين العابدين	جسر الشغور	2014-07-24
191	زاهر عبد القادر بهلول	كورين	2013-07-03
192	زكريا البكري	التمانعة	2015-05-05
193	زكوان مروان العلواني	معرة النعمان	2012-12-24

194	زهير الأسعد	ابديتا	2013-06-16
195	زياد بعاج		2013-03-10
196	زياد خالد عبيد	ادلب المدينة	2012-08-23
197	زياد عبد القادر حسين	كفريحمول	2017-09-01
198	زياد عمرو	جسر الشغور- الحمامة	2012-04-02
199	زياد محمد خليل مرشد الابراهيم	الغدفة	2013-10-30
200	سالم ابراهيم السالم	عين لاروز	2013-11-24
201	سامر أحمد بيدق	جسر الشغور	2014-05-03
202	سامر سليم الرسلان	كفرنبل	2014-05-01
203	سامر عرميط	أورم الجوز	2013-01-30
204	سامي زهرة	رام حمدان	2013-01-26
205	سامي محمد ناجي الشعار	ادلب المدينة	2014-09-11
206	ساهر عماد اليوسف	خان شيخون	2014-02-20
207	ساهر محمد الأسود	كفرنبل	2014-12-07
208	سعد الدين هماد	جسر الشغور	2016-03-10
209	سعيد المفدي	ادلب المدينة	2018-06-09
210	سعيد طالب الزرط	سلقين	2012-07-20
211	سعيد عبد الكريم الصبيح	كفرسجنة	2013-11-17
212	سليم عبد القادر الطبل	معرة النعمان	2015-11-27
213	سليم محمد الدودي	معرة النعمان	2014-07-10
214	سليم محمد خير السلوم	كفرنبل	2017-02-12
215	سليمان رحمون	جبل الزاوية	2014-11-13
216	سليمان محمد البكور	كفرومة	2014-10-19
217	سليمان مصطفى هنداوي	احسم	2012-03-30
218	سمير عمر فتوح	احسم	2014-06-25
219	سهل مصطفى «عساف» سلات		2016-05-01
220	سهير مصطفى السعيد	محمبل	2013-12-27
221	سهيل محمد خير الرجب	خان شيخون	2015-09-06
222	شادي المسلم العمر	أرمناز	2014-06-11
223	شامل نجار	جسر الشغور	2014-03-19
224	شكيب ماهر يونس	معرة مصرين	2014-06-28
225	صافي محمد سعيد زيدو	سلقين	2014-07-04
226	صباح كردي	جسر الشغور- الكفير	2012-11-10
227	صبحي جهاد فاعور		2015-11-11

228	صبحي عوض المسطو	سراقب- كفربطيخ	2014
229	صدام الحسن	معرة حرمة	2017-03-04
230	صفوان جمال حاج حسين	سرمين	2018-02-24
231	صفوان عارف الطاهر	أريحا	2013-02-02
232	صفوان عبد الغني ذكور		2014-01-23
233	صهيب عبد الكريم العثمان	الغدفة	2015-10-27
234	ضياء رفعت أبو عماش	خان شيخون	2013-07-02
235	الطفل طارق حسين محمد الحاج موسى	سرجة	2012-07-13
236	طارق فريز عليان	كفرتخاريم	2016-06-14
237	طلال محمد البنشي "تعاوي"	معرة النعمان	2014-04-04
238	طه تامر		2015-02-28
239	طه غفير	ادلب المدينة	2015-11-26
240	ظافر خالد عبيد	ادلب المدينة	2014-02-09
141	عاصم خالد الأبتر	كللي	2015-11-08
242	عامر أحمد المصطفى		2014-05-15
243	عامر زكريا الحمادي	حاس	2013-04-09
244	عامر محمود سيد حسين	جسر الشغور: الناجية	2012-06-04
245	عامر مصطفى النعسان	قميناس	2013-01-05
246	عباس فارس شيحان	أريحا	2013-09-14
247	عبد الحسيب محمود الشعراوي	معرة النعمان	2012-09-09
248	عبد الحميد أحمد قيطاز	معرة النعمان	2012-04-01
249	عبد الحميد عبد المعين التلاوي	خان شيخون	2014-12-10
250	عبد الحميد محمد حصرم	جبل الزاوية- الرامي	2014-06-06
251	عبد الرؤوف قطرون	جسر الشغور	2015-03-30
252	عبد الرحمن عبد الرزاق الحمشو	جبل الزاوية- حزازين	2014-08-04
253	عبد الرزاق أحمد الصيادي	معرة النعمان	2013-08-20
254	عبد الرزاق الرزوق	معرة النعمان	2017-08-24
255	عبد الرزاق الغريب	معرة النعمان	2014-03-19
256	عبد الرزاق عبد الحليم السويد	كفرنبل	2014-02-15
257	عبد الرزاق عوض الشيخ	مدايا	2012-08-20
258	عبد الرزاق محمد اليوسف	الهبيط	2012-11-17
259	عبد الرزاق محمد ديب الرحال	كفرنبل	2014-04-08
260	عبد الستار أحمد عليوي	ترملا	2013-12-01
261	عبد الستار عبيد النعيمي	ادلب المدينة	2018-06-22

262	عبد السلام محمد الموسى	تلمنس	2014-10-07
263	عبد العزيز توفيق سويد	كفرنبل	2014-06-24
264	عبد العزيز وديع غنيمي	كورين	2014-04-08
265	عبد الغفور صطوف خنفورة	معرة النعمان	2012-10-08
266	عبد الفتاح خالد الموسى	موقا	2012-04-17
267	عبد الفتاح عبد السلام العلي	كنصفرة	2013-11-22
268	عبد القادر عباس	سرمين	2014-02-22
269	عبد القادر عدنان كردي		2014-01-01
270	عبد القادر مشلح		2015-09-18
271	عبد الكريم الجندي	جسر الشغور	2012-10-03
272	عبد الكريم جوهر العيد	أرنبة	2014-08-23
273	عبد الكريم عبود شعبان	سراقب	2014-06-01
274	عبد الكريم محمد عواد	الهبيط	2012-06-21
275	عبد الكريم مصطفى قدور	احسم	2013-10-21
276	عبد اللطيف خالد عبد الرزاق	سرمين	2014-12-21
277	عبد الله الحسين البكور التلجي	كفرنبل	2015-11-08
278	عبد الله حسين الرجب	كفرنبل	2014-03-15
279	عبد الله حسين السرماني	خان شيخون	2014-02-10
280	عبدالله عبد السلام الحمادي	حاس	2014-01-13
281	عبد الله غازي الأحمد	معرة حرمة	2014-06-24
282	عبد الله محمد الابراهيم	معرة حرمة	2013-09-09
283	عبد المحسن محمد مدرك	سرمين	2013-12-28
284	عبد المنعم طالب الدريس	معرة النعمان	2015-12-01
285	عبد المنعم محمود عوض	سراقب	2015
286	عبد المهيمن محمد الجبان	معرشمشة	2012-03-26
287	عبد الناصر أحمد قصاص	معرة مصرين	2017-08-12
288	عبد الهادي محمد الأحمد	النيرب	2012-11-05
289	عبد الواحد أسعد كردي	ادلب المدينة	2014-02-10
290	عبد الودود محمد الشاهين	كفرنبل	2014-08-06
291	عبدو حسين كوسا	تل مرديخ	2013-06-11
292	عبدو محمد خير الهر	سرمين	2014-03-12
293	عبدو وليد علي بيك	جسر الشغور	2014-07-19
294	عثمان سليم الشحادة	خان السبل	2014-07-25
295	عدنان محمد محلول	احسم	2013-12-01

296	عدي رأفت حبلص	حزانو	2013-01-29
297	الطفل عدي محمد العمر	سراقب	2012-03-27
298	عصام محمد سمير الصبوح	معرة النعمان	2014-07-22
299	عكل خليل الديري	أرنبة	2012-10-03
300	علاء عبد العال	ادلب المدينة	2017-05-12
301	علاء قاسم عبد الهادي		2014-01-26
302	علاء كدرش		2015-01-12
303	علاء محمود السعيد	محمبل	2014-08-11
304	علاء مصطفى قاسم	جسر الشغور- مريمين	2014-11-05
305	علوان فيصل علوان	خان شيخون	2014-05-28
306	علي اسماعيل العلوش	بليون	2017-01-28
307	علي الشيخ أحمد	ادلب المدينة	2016-03-07
308	علي رحال	سراقب	2014-07-06
309	علي عبد الرزاق الحمشو	جبل الزاوية- حزازين	2014-08-04
310	علي عبد العزيز رحال	تفتناز	2012-09-10
311	علي محمد سليم قرقناوي	أورم الجوز	2013-11-17
312	علي نعسان قصقاص	معرة حرمة	2013-06-26
313	علي ياسر السرماني	خان شيخون	2014-04-27
314	علية كردي	جسر الشغور	2013-04-16
315	عماد طاهر الديك	ادلب المدينة	2013-03-25
316	عمار حسن الخطيب	سرمدا	2013-11-30
317	عمار زعيتر	كفرتخاريم	2012-08-30
318	عمار محمد وهبي	مرعيان	2015-03-11
319	عمار مصطفى القرمة	معرة النعمان	2014-07-04
320	عمار مفيد قنطار	عين لاروز	2012-04-30
321	عمر أحمد المصطفى	ادلب المدينة	2013-03-02
322	عمر خالد العبدو	جبل الزاوية- الرامي	2012-07-12
323	عمر عبد القادر ميري	سرمين	2014-01-24
224	عمر عبد الله السيد	كفرعميم	2014-04-04
325	عمر عبد الله بركات	ادلب المدينة	2012-05-12
326	عمر محمد العمر حماد	سراقب- كفربطيخ	2013-09-01
327	عمر محمد سعيد / سعد	سرمدا	2016-06-25
328	عمر وديع غنيمي	كورين	2014-04-08
329	عيسى عزو معري	سرمين	2015-01-01

330	الطفل غازي عبد الغني القاضي	دركوش	2014-03-01
331	غزوان مروان العلواني	معرة النعمان	2012-12-24
332	غفران مصطفى النعسان	قميناس	2013-01-05
333	غياث مرسال بري	كفردريان	2014-08-13
334	فاتح حسين سرحان	احسم	2013-06-03
335	فادي الناقوح	معرة ماتر	2014-01-30
336	فادي خليل الخلف	قميناس	2012-04-23
337	فادي محمود العيد «الريحاني»	معرة النعمان	2012-10-08
338	فارس ديبو	سلقين	2012-08-15
339	فارس قدي	أورم الجوز	2013-05-06
340	فاروق النجار	خان شيخون	2014-06-18
341	فايز ساير برجس العبد الله	مزرعة الشعرة	2012-10-08
342	فايز نور الدين بزع	تلدبس	2017-04-25
343	فراس حاج موسى لاطة	البارة	2012-10-08
344	فراس حسين السرماني	خان شيخون	2013-11-22
345	فراس سيد يوسف	ادلب المدينة	2013-11-24
346	فراس عبد الكريم شحود	سرمين	2012-12-21
347	فراس علي الدبل	كفرتخاريم	2013-04-16
348	فراس محمد ديبو دهنين		2013-12-22
349	فراس مصطفى سلوم العبد	خان شيخون	2015-01-24
350	فواز عبد الرحمن الغجر	بلدة التح	2014-06-14
351	فياض عبد الحي عبد الحي	بسامس	2016-12-30
352	فياض فضل أبو راس	الهبيط	2014-06-24
353	قاسم القاسم	سنجار	2014-09-03
354	قاسم دياب القاسم	عين شيب	2014-05-08
355	قاسم مأمون حاج قاسم	سراقب	2012-03-27
356	قتيبة محمد علي الدغيم	جرجناز	2015-11-22
357	قدور حمدان حمادة	سراقب- كفربطيخ	2016
358	قدور صبحي الحسن	كفرنبل	2016-12-16
359	كرم مصطفى حالو	اريحا	2015-03-27
360	كمال محمد قشلوعة	ادلب المدينة	2014-03-13
361	ماجدة ميمو	جسر الشغور	2013-07-19
362	مازن فايز البيوش	كفرنبل	2012-04-05
363	مازن وجيه النجم	خان شيخون	2013-08-19

364	مالك حمود النعيمي	تفتناز	2014-06-17
365	مالك عدنان اصطيفي	بنش	2012-10-08
366	ماهر أبظلي	جسر الشغور	2013-12-05
367	ماهر رضوان النسر	سراقب	2013-10-12
368	ماهر عبد القادر شناني	كفرزيبا	2014-06-20
369	ماهر محمد الصح	خان شيخون	2013-08-22
370	ماهر محمد ديب	سلقين	2012-09-27
371	ماهر مظهر حاج موسى	أريحا	2014-08-12
372	الطفل ماهر نضال معرزافي	أريحا	2012-10-08
373	مجد محمد الأصفري	ادلب المدينة	2017-02-06
374	محمد أحمد البكري	التمانعة	2013-11-30
375	محمد أحمد الدغيم	جرجناز	2015-08-28
376	محمد أحمد المعروف كرميط	بنش	2014-03-08
377	محمد أحمد النجم	خان شيخون	2013-09-01
378	محمد أحمد سميسم	بنش	2014-03-08
379	محمد أحمد عبد المحسن	كفرتخاريم	2016-05-01
380	محمد أحمد عبيد	ادلب المدينة	2014-06-11
381	محمد أحمد عليوي	ترملا	2013-06-12
382	محمد ابراهيم أحمد الباكير	خان السبل	2014-05-06
383	محمد ابراهيم ابراهيم	جبل الزاوية: شنان	2014-06-25
384	محمد ابراهيم الفضل	احسم	2014-06-14
385	محمد ابراهيم قصاص	سرمين	2014-12-07
386	محمد ابراهيم يونس	أورم الجوز	2014-06-22
387	محمد إسماعيل الخاني	معرشورين	2016-07-01
388	محمد الأزرق	خان شيخون	2013-09-01
389	محمد الحسن علاء السيد عيسى		2014-05-19
390	محمد السعيد	معرة النعمان	2014-03-11
391	محمد القاسم	سراقب	2014-03-10
392	محمد بدر مصطفى الدبل	أريحا	2013-04-01
393	محمد برهو العلوان	معرة النعمان	2014-11-20
394	محمد جمال أرسلان	الجانودية	2015
395	محمد جمعة القاسم	الغدفة	2014-06-14
396	محمد حافظ الأحمد	معرة حرمة	2014-03-25
397	محمد خالد الحير	معرة النعمان- الدير الشرقي	2014-12-25

398	محمد خليل الأحمد	تلمنس	2017-08-06
399	محمد خير رحمو	معرة النعمان	2015-05-02
400	محمد خير الدين عبيد	ادلب المدينة	2012-04-08
401	محمد خير طلاع	ادلب المدينة	2013-12-01
402	محمد حسين الشيخ أحمد	سراقب- كفرعميم	2016-06-01
403	محمد ديب الحموية	جسر الشغور- كنيسة بني عز	2012-07-26
404	محمد رضا مصطفى مراوي	كللي	2016-02-09
405	محمد سامي البيوش	كفرنبل	2014-04-27
406	محمد سعيد الجمعة	الغدفة	2014-11-21
407	محمد سليم الطويل	معرة حرمة	2015-03-02
408	محمد سيف الدين المحمد	أريحا	2014-06-20
409	محمد شحادة الجاسم	قرية ام نير	2014-06-18
410	محمد صالح الشمروخي "العياشة"	سراقب	2012-03-28
411	محمد صطيف	جسر الشغور- فريكة	2012-08-15
412	محمد صلاح محمد ناجي بارودي	أريحا	2014-08-05
413	محمد طارق حامدي	بنش	2016-02-20
414	محمد عادل بعث	ادلب المدينة	2013-03-28
415	محمد عبد الجواد قربي	أريحا	2014-07-03
416	محمد عبد الحميد الشلح	معرة النعمان	2012-07-28
417	محمد عبد الرحيم الشيخ نجيب	حاس	2012-10-08
418	محمد عبد الستار الكامل	معرة النعمان	2015-03-17
419	محمد عبد السلام الشحود	جبل الزاوية- بلشون	2012-07-04
420	محمد عبد الكريم سماق	بنش	2014-10-15
421	محمد عبد الله العلوش	ابلين	2012-05-04
422	محمد عبد الوهاب الضعيف	حاس	2015
423	محمد عبدو الاسماعيل	معرة حرمة	2015-06-16
424	محمد عبدو برهوم	ادلب المدينة	2017-05-16
425	محمد عبدو خطاب	ادلب المدينة	2015-04-01
426	محمد علي السيد أحمد	جرجناز	2013-03-06
427	محمد علي السيد الدغيم	جرجناز	2016-02-13
428	محمد علي الهرموش	ابلين	2014-09-07
429	محمد علي محمد المنصور	كفرنبل	2014-12-16
430	محمد عمر الرحال	كفرنبل	2014-12-02
431	محمد عيد الريم	خان شيخون	

432	محمد فريد أصلان	سرمين	2014-02-15
433	محمد فطيم رمضان	جسر الشغور	2013-12-04
434	محمد فطين محيو	جسر الشغور	2014-07-15
435	الطفل محمد مأمون السلمو	كفرومة	2012-10-08
436	محمد محمد سمير الصبوح	معرة النعمان	2014-07-22
437	محمد محمود الضاهر	كفرعويد	2013-02-07
438	محمد محمود المنصور	كفرنبل	2014-04-28
439	محمد محمود تناري	معرة النعمان	2013-01-20
440	محمد محي الدين الخطيب	مرعيان	2013-12-13
441	محمد مسلم العمر	تفتناز	2014-06-09
442	محمد مصطفى السعيد	جبل الزاوية - بلشون	2012-07-04
443	محمد مصطفى دهنين	ادلب المدينة	2014-03-25
444	الطفل محمد مصطفى طلاع		2014-01-20
445	محمد مصطفى مصري	جسر الشغور	2014-02-09
446	محمد نهاد شحود		2014-01-06
447	محمد هاشم عز الدين وتد	أريحا	2014-06-12
448	محمد واصل الديوب	خان شيخون	2012-03-29
449	محمد يحيى الفرعة	جبل الزاوية- الرامي	2012-04-22
450	محمود أحمد حزاريني	حزارين	2015-09-01
451	محمود حمدو الرحال	كفرنبل	2014-03-01
452	محمود حمندوش	دركوش	2014-06-21
453	محمود صدقي سخيطة	أريحا	2012-07-22
454	محمود عبد الحميد محروق	كفرنبل	2016-09-04
455	محمود عبد الكريم سيد عيسى	ادلب المدينة	2015-03-18
456	محمود عبدو	جسر الشغور- بداما	2012-08-06
457	محمود محفوظ	كفرحايا	2012-08-02
458	محمود محمد الهاجر	كفرنبل	2014-09-22
459	محمود محمد دحنون	ادلب المدينة	2013-12-11
460	محمود موسى الشبيب	البارة	2012-10-29
461	مرام مصطفى النعسان	قميناس	2013-01-05
462	مصطفى أحمد زينو	جبل الزاوية: الرامي	2013-01-15
463	مصطفى أحمد صوفي	جسر الشغور	2014-09-08
464	مصطفى اليوسف اليوسف	احسم	2013-07-12
465	مصطفى حورية	ادلب المدينة	2016-02-27

466	مصطفى خالد بزارة	كورين	2014-05-08
467	مصطفى خالد عمرو	جسر الشغور- الحمامة	2013-01-03
468	مصطفى شمس الدين عبد الحي	بسامس	2016-04-21
469	مصطفى عجاج	بلشون	2016-08-29
470	مصطفى عبد الحميد خطاب	كللي	2013-04-13
471	مصطفى عبد الله رجب	جسر الشغور- خربة الجوز	2014-03-19
472	مصطفى محمد الأسعد	بنش	2016-11-01
473	مصطفى محمد قويري	أورم الجوز	2013-01-30
474	مصطفى فضل رضوان	احسم	2015-05-19
475	مصطفى هشام قنبر	جسر الشغور	2014-09-10
476	مصعب عبد القادر السرماني	خان شيخون	2012-10-08
477	مصعب عمر برد	تفتناز	2012-06-24
478	مضر أحمد الاسماعيل	الغدفة	2013-05-20
479	مظهر مروان العلواني	معرة النعمان	2012-12-24
480	مليح حسين المحمد «اللص»	سراقب	2013-04-21
481	منذر أحمد القاسم	الغدفة	2013-02-19
482	مهران بشير وتي	سلقين	2012-07-20
483	مهند صلاح الدين اسكيف	الزهراء	2014-03-18
484	الطفل موسى أحمد شغري	جسر الشغور- الجانودية	2014-01-25
485	موفق أماني	جسر الشغور	2015-03-20
486	نابغ غسان قريطبي	ادلب المدينة	2014-02-10
487	نادر أصفري	ادلب المدينة	2016-01-18
488	نادر السيد يوسف	ادلب المدينة	2014-09-25
489	نادر عبد اللطيف الأصلان	جبل الزاوية- شنان	2012-04-24
490	ناصر زهير السلمو		2014-06-22
491	نبراس فؤاد الخضر	كورين	2013-07-07
492	نبيل النعسان	أرمناز	2013-03-20
493	نبيل شحود العوض	بسقلا	2013-12-20
494	نبيل محمد حسن الشحاد	جرجناز	2015-03-11
495	نجيب عبد الحميد السلمو	كفرومة	2012-10-08
496	نديم أحمد يوسف	جبل الزاوية- المغارة	2012-06-27
497	نزار صبحي العلي اليوسف	خان شيخون	2013-11-21
498	نزار عبد الحميد شعبان	تفتناز	2012-08-13

499	نصر عيدو اليوسف	معرة النعمان- الدير الشرقي	2014-12-03
500	نضال الشيلي	الفطيرة	2014-06-25
501	نعمان اسماعيل الخطيب	جبل الزاوية- الرامي	2012-04-22
502	نمر ثروت ماهر	سرمين	2014-01-14
503	نهاد عبد العزيز البش	معرة النعمان	2012-10-08
504	نور الدين هماد	جسر الشغور	2016-03-10
505	نور كزعور	جسر الشغور	2014-05-08
506	هاجر كمال سعد الدين	قميناس	2013-01-05
507	هاني شاهين		2014-01-23
508	هشام أحمد خطيب	جوزف	2012-06-24
509	هشام حميدي	البارة	2015-10-08
510	هشام منى	ادلب المدينة	2014-02-21
511	وائل ابراهيم الشيخ أحمد	تلمنس	2015-02-26
512	وائل النمر	غانية	2013-11-15
513	وديع فاضل غنيمي		2013-09-22
514	وسام علواني	ادلب المدينة	2013-06-17
515	وسيم وجيه زكور		2013-01-24
516	وضاح النهتان	معرة النعمان	2015-03-29
517	الطفلة ولاء مصطفى النعسان	قميناس	2013-01-05
518	وليد زيدان	تفتناز	2012-12-24
519	ياسر أحمد الكفري	سراقب	2015-02-24
520	ياسر العبيد الشحود	سراقب	2014-11-25
521	ياسر حمودي	بداما	2016-02-02
522	ياسر ديبو الأخرس	كفرلاتة	2012-06-10
523	الطفل يامن حسن حيدر	معرة النعمان- الدير الغربي	2015-03-07
524	يحيى ابراهيم العبدو	جسر الشغور	2016-12-16
525	الطفل يحيى محمد سخيطة	خان شيخون	2014-06-21
526	يوسف عمر السيد عيسى	ادلب المدينة	2012-10-07
527	يوسف محمد كنعان	احسم	2013-08-04
528	يونس وليد الحلبي	معرة النعمان	2015-11-02

المصادر:

المصادر:

1- مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان

2- مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

3- قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية

4- موقع التسريبات الخاص بزمان الوصل

قائمة بأسماء شهداء مدينة خان شيخون الذين قضوا تحت التعذيب في سجون النظام، سلّمها النظام إلى دائرة النفوس في حماة (نفوس إدلب) في تموز ٢٠١٨:

الرقم	اسم الشهيد	١٣	لؤي خطاب
١	أحمد الجوهر	١٤	لؤي خطاب عبد الحكيم حاج رحمون
٢	أحمد خالد القطيني	١٥	عبد الكريم مصطفى القدور
٣	أحمد محمد عينداني	١٦	عبد الله قدح
٤	أسامة محمد خطاب	١٧	محمد إبراهيم النسر
٥	إسماعيل بكور	١٨	محمد عيد الريم
٦	باسل شعبان	١٩	مصعب عبد اللطيف
٧	حسين هواش الهواش	٢٠	سلوم العبد
٨	خالد زياد حاج رحمون	٢١	واصل خالد الحموي
٩	خالد صلاح النجم	٢٢	يوسف محمد الريم
١٠	خير الله بكور	٢٣	يوسف محمد خطاب
١١	طارق عز الدين الزين		
١٢	عبيدة عمر الرجب		

المصدر: صفحة عدسة مدينة خان شيخون وريفها

فهرس المحتويات

٧	مقدمة
٩	ولدي اسمه خالد.. خالد عامر الديري
١١	حلم بأن يكون إماماً وكان.. الشهيد عبد المنعم محمود عوض
١٥	البائع المتجول.. الشهيد محمد إسماعيل الخاني
١٨	نريد أن تبقى ذكراه حيّةً بيننا.. الشهيد عبد الكريم عبود شعبان
٢٠	الرجل الطموح.. وحلمه الضائع بعد الموت
٢٣	لم يقبل أن يبقَ في جيش يقتل أبناء بلده.. الشهيد محمد عبد الوهاب الضعيف
٢٥	لعينيه تنظم القصائد.. الشهيد بسيم خالد الجمعة
٢٧	أريد أن أعرف أين قبر ابني وأين ذهبوا بجثته؟.. الشهيد حذيفة أحمد الطراف
٢٩	ومن الحب ما قتل.. تهور ثائر.. الشهيد محمد إبراهيم الفضل
٣٢	كم تحمل من الوجع حتى مات بين أيديهم.. الشهيد محمد جمال أرسلان
٣٤	«نصادق على ما ورد في التقرير الطبي من عنف وشدة»
٣٧	حرموني حتى من قبر له.. الشهيد أحمد خالد عباس
٤٠	محمد صالح الشمروخي.. كيف هي السماء؟
٤٣	ابني وابن أخي في لحظة واحدة.. الشهيد محمد سعيد الجمعة
٤٥	«قولوا لإخوتي يديروا بالهن على أولادي».. الشهيد خالد عز الدين نجم
٤٧	اعتُقل أمام موظفي الأمم المتحدة.. الشهيد محمود أحمد حزاريني
٤٩	ما بين جرجناز وحلب.. حاجز للنظام يخطف حياة قتيبة محمد الدغيم
٥١	كانوا يتسلون بتعذيبه.. الشهيد أدهم غازي مرشان
٥٣	من مقاعد الجامعة إلى جثة في الظلام.. الشهيد أحمد ياسر حاج أحمد
٥٦	عندما أكبر سأصبح أستاذ عربي مثل أبي.. الشهيد محمد علي أحمد السيد
٥٨	عاشا فقيرين وماتا فقيرين بتهمة تمويل الإرهاب.. الشهيدان عبد الستار ومحمد أحمد عليوي
٦١	وعده بألا يعود إلا معه.. ولكنه عاد بجثته الشهيد حسن يحيى الحمد
٦٣	أطفاله وصوره ما تزال تزين البيت.. الشهيد عمر محمد العمر حماد
٦٥	لأنها أنثى كان الثمن باهظاً.. الشهيدة أمل أحمد الصالح
٦٨	كان رقم جثته ١٠٣٠.. الشهيد محمد محمود تناري
٧٠	لاعب الشطرنج.. الشهيد حسن محمد فائز السيد عيسى
٧٢	عاد بعلاج لابنته فكانت نهايته في معتقلات النظام.. الشهيد محمد عبد الكريم سماق
٧٤	بعد قطعنا للطرقات نقلوه بطائرة عسكرية.. الشهيد باسل وحيد الشيخ
٧٦	زوجك مات.. الشهيد مصطفى محمد الأسعد

٧٨	ثالث إخوته المعتقلين وثانيهم بالشهادة.. الشهيد زياد محمد خالد عبيد
٨٠	أراد أن يجنب أطفاله اليتم الذي ذاقه فتكررت المأساة.. الشهيد إبراهيم محمد العمر
٨٢	لو تعلمين ما نلقى لعذرتنا.. الشهيد عدنان محمد محلول
٨٤	هذا بابا الكبير وذاك بابا الصغير.. الشهيد إبراهيم رمضان زيدان
٨٦	قتلوه تحت التعذيب وشردوا أبناءه الثمانية.. الشهيد حمدو جمعة بارود
٨٧	«أريد أن أرتاح من عذابهم».. الشهيد محمد أحمد طلاع
٨٩	بضربة واحدة.. اثنا عشر طفلاً تحولوا إلى أيتام
٩٠	لماذا كل الأولاد لديهم آباء وأنا ليس لدي أب؟.. الشهيد أيمن علي الحبيب
٩٢	آخر العنقود.. الشهيد كرم مصطفى حالو
٩٣	بدل شهادته الجامعية أعطوها شهادة وفاته.. الشهيد عبد الله محمد الإبراهيم
٩٥	أتبكي زوجها الشهيد أم بِكرُها المعتقل؟.. الشهيد قدور حمدان حمادة
٩٧	«كان يرتدي قميصا أصفر».. الشهيد محمد أحمد دغيم
٩٩	اقتيد إلى المحكمة الجنائية السرية في دمشق.. الشهيد محمد حسين الشيخ أحمد
١٠١	مرح وخفيف الظل وصاحب نكتة.. الشهيد حسين حسن قنزوع
١٠٣	هزه الشوق إلى إدلب فتم اعتقاله.. الشهيد ظافر محمد خالد عبيد
١٠٥	انقطعت أخباره حتى أخبرتها قوائم النظام بمصيره.. الشهيد محمد عيد الريم
١٠٧	٤٠ يوماً.. كانت كفيلة ليصبح الطبيب الشهيد مازن وجيه النجم
١٠٩	من أريحا إلى القابون.. الشهيد «أ.م. أ»
١١٠	ليتني يا ولدي في السجن وأنت حر بين أولادك
١١٢	تقاسما كل شيء.. من رحم أمهما وحتى زنزانتهما وقبرهما.. الشهيدان التوأم علي وعبد الرحمن عبد الرزاق حمشو
١١٤	صانع الموزاييك والشهيد الرابع في العائلة.. أحمد سليم الخطيب
١١٦	وحيداً لتسع أخوات.. الشهيد صبحي عوض المسطو
١١٨	«بعد ما نقبروا إنبشي وخديه».. الشهيد عمر عبد الله بركات
١٢١	قائمة بأسماء شهداء إدلب الذين قضوا تعذيبا
١٣٧	قائمة بأسماء شهداء مدينة خان شيخون

.. أضافت خالة الشهيد "محمد" وهي تحاول تمالك نفسها: "في القابون أخبروا ابنتي أن محمداً مات، وأن جثته في البراد بمشفى تشرين العسكري بدمشق، وأعطوها ورقة تحويل إلى المشفى للحصول على شهادة وفاة".
خرجت ابنة خالة الشهيد محمد من مقر الشرطة العسكرية في القابون، وكان والده، ينتظر أن تخبره بما يبرِّد نار قلبه، كانت الورقة في يدها، والغصة واضحة في صوتها، إلا أنها لم تقوَ على إخباره بما عرفته، كما أنها لم تجرؤ على الذهاب إلى المشفى.
سألها زوج خالتها عن الورقة فأجابته بأنهم طلبوا إليها مراجعتهم بعد شهر.. خوفه من الورقة، وأمله بحياة ابنه منعاه من قراءتها، عادت ابنة خالة محمد إلى البلدة برفقة أبيه، وهناك أبلغت الجميع باستشهاد محمد، بحسب خالة الشهيد التي أضافت وهي تبكي:
"طوال مدة سجنه كانت عائلته تصارع لإنقاذه من براثن الموت، إلى أن كانت بداية العام ٢٠١٥، حيث استقر به المطاف في براد مشفى تشرين العسكري، ولم تعد جثته، كما لم يقوَ أحد على الذهاب لإحضار شهادة وفاته".
أجهشت خالة الشهيد "محمد جمال أرسلان" بالبكاء وهي تتساءل: "يا قلبي كم تحمّل من الوجع حتى مات بين أيديهم؟!".